بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN 978-9922-9465-7-3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٦٧٨ لسنة ٢٠١٩

مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC : BP193.1.A2 A23 2020
المؤلف الشخصي : ورود سعدون عبد – مؤلف.
العنوان : الرسائل والوصايا في نهج البلاغة : دراسة في ضوء علم لغة النص /
بيان المسؤولية : تأليف ورود سعدون عبد.
بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٠٢١ / ١٤٤٢ للهجرة.
الوصف المادي : ٤٩٦ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٩٤).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٩٧).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤٥٥-٤٩٢).
موضوع شخصي : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي : علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - حديث.
مصطلح موضوعي : تحليل الخطاب.
اسم مؤلف اضافي: شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية
(العـــراق - جـامـعـة الـقـادســـية)
(٤٦)
وحـدة عـلوم اللـغة

# الرسائل والوصايا في نهج البلاغة

## دراسة في ضوء علم لغة النص

تأليف
وُرود سعدون عبد

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الاولى

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ – ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

**تنويه:**

**إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة**

**تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية**

# الإهداء

إلى...

مَنْ في كلّ يوم يزداد حبّه في قلبي أبي تراب

قرّة عيني والدتي الغالية أطال الله عمرها

الأمل الذي طالما شدني إلى الأمام...

رفيق الدرب وموطن الحبّ ... زوجي العزيز

ثمرات قلبي ونور حياتي ... أبنائي الأحباء

أهدي هذا العمل العلمي حبّاً ووفاءً

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية الى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي في حقل العلوم اللغوية الحديثة المتمثلة بعلم لغة النص، الذي هو فرع من اللسانيات العامة، واعتمدت الباحثة فيه على معايير النص السبعة التي طبقتها على النص العلوي الشريف، للوقوف على بعض مقاصده وبيان مكنون معانيه ودلالاته، وفق الله الباحثة لما يحب ويرضى وجزاها خير الجزاء على جهدها هذا والحمد لله رب العالمين.

**السيد نبيل الحسني**

**رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة**

# المقدمة

الحمد لله، أحمده وهو المحمود المعظم، وأشكره على ما أولانا من جزيل النعم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المفضّل على سائر العرب والعجم، المصطفى من ولد آدم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي الكرم الذين باعوا أنفسهم لا بعرض ولا درهم صلاةً وسلاماً يحرسان قائلهما في يوم النّدم.

وبعد...

لقد شهدت أواخر الستينيات وبداية السبعينيات تطوراً ملحوظاً في ميدان الدرس اللسانيّ الحديث نتج عنه ميلاد فرع معرفي جديد عرف باسم (علم النّص)، وموضوعه الأساس هو النّص بوصفه أعلى وحدة لغوّية في الدراسات النصيّة، وقد دفعتني رغبتي في دراسة نهج البلاغة إلى تطبيق هذا الفرع المعرفيّ على هذا المتن التراثيّ، ليس الغاية هي إخضاع هذا المتن لعلم النّص، وإنّما بيان بعض المعاني والأفكار المكتوبة وايضاحها في نصوص الإمام علي (عليه السلام)، من خلال تطبيق هذا الفرع المعرفيّ على بعض هذه النصوص، ولأجل هذا جاء اختيار هذا الموضوع ليكون عنوان البحث، فوسم بـ ((الرسائل والوصايا في نهج البلاغة - دراسة في ضوء علم لغة النّص -)).

أمّا سبب اختيار هذا القسم من نهج البلاغة دون غيره؛ فكان لسبق دراسة خطب الإمام (عليه السلام) وفاقاً لهذا النمط من الدراسات النصيّة في رسالة الماجستير للطالب (راشد مدفون مخيف) وكانت تحت عنوان ((خطب الإمام

علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص)) في كلية التربية/ جامعة القادسية.

فضلاً عن أن الرسائل والوصايا قد واكبت مرحلة خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت انعكاساً لها بكلّ أبعادها السياسية والاجتماعية والدينية، ممّا جعل لها قيمة إنسانية، من ذلك يمكن عدّها من المصادر التاريخية والاجتماعية والدينية.

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد، وثلاثة فصول فخاتمة بأهم النتائج، وتناول التمهيد عرضاً لمفاهيم (النص، الرسالة، الوصية) اصطلاحاً لتحقيق غاية مهمة من الدراسة، وهي إثبات أن الرسالة والوصية نص، لذا صحّ دراستها وفاقاً للمعايير النصيّة التي أقرها دي بوجراند.

أمّا الفصل الأول فقد اختص بمعيار (الاتساق) وعرض عناصره ومظاهره، فكان على مبحثين: الأول: الاتساق الصوتيّ والمعجميّ، والآخر: الاتساق النحويّ.

وكان الفصل الثاني في معيار (الانسجام)، دُرِسَت فيه مبادئ الانسجام ومظاهره وعلاقاته والبنى النصيّة فجاء على مبحثين: الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره، والآخر: العلاقات الدلاليّة والبنى النصيّة.

على حين درس الفصل الثالث بقية المعايير النصيّة وعددها خمسة معايير، وقد توزعت على مبحثين: الأول: معايير تتصل بمستعملي النصّ (المتكلم، المتلقي) وتشمل (القصديّة، المقبوليّة، الإعلاميّة)، والآخر: معايير تتصل

بالمؤثرات الخارجيّة، هي (السياق، التناص).

وبعد الخاتمة تمّ إدراج مصادر الدراسة ومراجعها كافة التي اعتمد عليها. وقد جاءت متفاوتة من حيث القدم والحداثة ومتنوعة من حيث اللغة والأدب والبلاغة والمعجمات وشروح النهج والنقد والتاريخ، فضلاً عن الدراسات في علم النّص، التي أخذت مساحة كبيرة؛ بسبب حداثة الدراسة التي اخترتها، ولكن هذا لا يعني الانقطاع عن المصادر القديمة. وهناك بعض التنويهات التي ينبغي الالتفات إليها وهي:

أولاً: لقد كان اعتمادي في استقراء مادة البحث والاستشهاد بالأمثلة وتحليلها على نسخة (شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي) بتحقيق الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم؛ لما انمازت به هذه النسخة من الدقة في ضبط المتن والموضوعية والشمولية فضلاً عن اعتماد الكثير من البحوث والدراسات العلمية التي تناولت جوانب من نهج البلاغة هذه النسخة دون غيرها.

ثانياً: تمت الإشارة بالرّمز (ك) إلى الرسالة أو الكتاب، والرّمز (و) إلى الوصية والرمز (خ) إلى الخطبة في حال الإحالة إليها و (ق) إلى قضية و (م) إلى مستوى و (ك) في مخططات العلاقات الدلالية إلى البنية الكلية.

ثالثاً: لم يكن اعتماد بعض الشروحات أكثر من غيرها في أي مبحث إلا لوجود ما يسوغ ذلك، فنجد تنوعاً بتنوع الحاجة إلى هذا الشرح، أو ذاك دون غيره.

رابعاً: انحصرت النصوص المدروسة بـــ (٧٨) نصاً من أصل (٧٩) نصاً، إذ تـمّ استبعاد النص (المرقم ١٥) من هذه الدراسة؛ لأنه لا يدخل ضمن حدود مفهوم الرسالة أو الوصية فقد جاء بأسلوب دعاء، وهذا نصه: كان (عليه السلام) يقول إذا لقى العدو محارباً: «**اللهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ، اللهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ، اللهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ**»[1]. فكان مجموع الرسائل (٦٦) رسالة والوصايا (١٢) وصية.

ولا يسعني بعد هذا التقديم إلا أن أقف وقفة أجلال وإكبار لأتقدم ببالغ الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ المساعد الدكتور (تراث حاكم الزيادي) الذي تابع عملي هذا خطوة خطوة وبذل جهداً كبيراً في تصحيح ما جاء فيه من هَنات، فأجدني عاجزة عن إيفاء الشكر إليه، فجزاه الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء، وأسأل الله جلّ وعلا أن يكتب له بكل حرف كتبته حسنة ينتفع بها، ونوراً يمشي به.

وأخيراً... لا أزعم أني قد وفيت البحث حقّه غير أنّي أقول: قد بذلت فيه قصارى جهدي وأخلصت فيه كثيراً آملةً في أن يكون عملي هذا مقبولاً عند الله وأهل العلم، فإن كان ذلك فهو من الله فضل ورحمة وإنْ لم يكن فحسبي أني سعيت واجتهدت.

فالكمال لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٢.

# التمهيد

لابد في دراسة أي موضوع من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقفه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة، ويتمكن المستقبِل من الولوج إلى المفاتيح القائمة على تلك المفاهيم؛ لذلك سوف نركز النظر ونسلط الضوء في ها هنا على ثلاثة مفهومات رئيسة وهي: (النّص، الرّسالة، الوصيّة)، إذ إنها المفاتيح التي تمكننا من ولوج أبواب الموضوع، والوصول إلى الطريق الصحيح في هذه الدراسة، وتحقيق الغاية المرجوة من دراسة نصوص الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة من منظور علم لغة النّص؛ لذا أرتأيت عرض التعريفات الاصطلاحية لهذه المفاهيم دون أن أعرج على معانيها اللغوية، لأنها لا تخدم النتيجة التي يصبو إليها البحث هنا، وفيما يأتي عرض لتعريفات هذه المفهومات.

**أولاً: تعريف النَص.**

توجد تعريفات عديدة للنص لا يمكن حصرها، وقد تنوعت بتنوع التخصصات المعرفيّة، وبتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانيّة، هذا ما أدى بالدراسين والباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، فكلّ تعريف يعكس وجهة نظر صاحبه والمنطلقات النظريّة والخلفيات المعرفيّة التي ينطلق منها، فهناك من ابتدع تعريفاته من ثقافاته وفهمه الخاص للنصوص، ومنهم من أضاف أو أجتزأ، فكلهم ساعون إلى

توضيح هذا المفهوم، الذي يعدّ أساساً لا يقوم بدونه هذا العلم، وإيماناً بان تعريف المصطلح هو أول خطوة علميّة لكل دراسة تالية له.

وسنعرض -هنا- لمفهوم النّص من خلال مجموعة من التعريفات التي تتناسب وطبيعة هذه الدراسة، ممّا جاء عن بعض الدراسين والباحثين سواء الغربيين أو العرب.

لقد قدّمتْ الدراسات الغربية والعربية الكثير من التعريفات لمصطلح النّص، ومرد هذه الكثرة حداثة هذا الضرب من اللسانيات، فمفاهيمه ومصطلحاته لم تستقر بعد، علاوة على تناوله من غير نظرية لغوية، وتداخله مع النظريات النقديّة الحديثة، فظهرت تعريفات تشرح مفهوم النّص بصفة عامة، وأخرى تبرّز الخواص النوعيّة الماثلة في بعض أنماطه المتعينة، وسندرج تعريفات النّص التي تتناسب مع طبيعة مفهومي الرسالة والوصية، وقد سارت في إتجاهين:

الأول: يرى أن النص مصطلح يطلق على المكتوب والملفوظ، وتظهر ملامح هذا الإتجاه -على سبيل المثال- عند جان ماري سشايفر، جورج مونان، شلوميت، هاليداي ورقية حسن، وهيلمسلاف[1].

فيعرفه جان ماري سشايفر بأنه ((سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية))[2]، وذكر كلّ من هاليداي ورقية حسن أن كلمة

(١) ينظر: العلاماتية وعلم النص، منذر عيّاشي: ١١٩، معجم اللسانيات، جورج مونان: ٤٦٦، انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ١١، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٢، من لسانيات الجملة إلى علم النّص (بحث منشور)، بشير إبرير: ٢٣، ٢٨.
(٢) العلاماتيّة وعلم النّص: ١١٩.

نص تشير ((إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة))[1]، وغير بعيد عن هذا التصوّر فان دايك يحدد النّص بأنه ((منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة، تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراءً لأبنية المنطوقات اللغوية))[2]، فإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات نجدها تطلق مفهوم النص على المكتوب، وقد يطلق على المنطوق (الشفوي) مع الاحتفاظ بتماسك أبنيته وتحقيق وظيفته الاتصاليّة بين المبدع والمتلقي.



والآخر: يتمثل في النظر إلى النص على أنه المكتوب فقط، ومن القائلين بهذا الرأي -على سبيل المثال- بول ريكور فقد عرّف النص بأنه ((كل خطاب تثبته الكتابة))[3]، وكذا الحال عند رولان بارت، فقال إنّ: النّص هو الكتابة[4]، ومن تطبيقاته في الدراسات العربية قول رشيد بن جدو إن النّص ((ما تنقرئ فيه الكتابة وتنكتب فيه القراءة))[5]، وقد اتخذ المسلك نفسه كل من بشير إبرير والدكتور محمد مفتاح[6]، وسوف تقوم هذه الدراسة على تعريف للنص يوافق طبيعتها، أو على الأقل يتمتع بأكبر قدر متاح من الدقة والشمول، وهو تعريف سمير حجازي في الملحق الخاص بالمصطلحات الأدبية ضمن كتابه (المدخل في مناهج النقد الأدبي المعاصر)، فالنص عنده ((نتاج تاريخي للكتابة التي تمّ تنظيمها وفق بداية ونهاية، أو

(١) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٢.
(٢) علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان دايك: ٧٤.
(٣) من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، بول ريكور: ١٠٥
(٤) ينظر: لذة النص، رولان بارت: ٢٨.
(٥) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢١.
(٦) ينظر: نفسه: ٢٨، تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح: ١٢٠.

كل ما يبدي قابلية لبناء بنية داخلية تتميز بقدر من المتانة تمكنها من مقاومة الوقائع اللسانية الاجتماعية والنفسية، أما الكتابة فتتميز بالانفتاح والسيولة وقوة النفوذ أمام مختلف المؤثرات الخارجية))[1].

فهذا التعريف يركز على الطابع الكتابي للنص من جانب ويشير من جانب آخر إلى المعايير النصّية التي أقرها دي بوجراند، وسارت عليها كل الدراسات في علم النص، فالنص عندنا هو المكتوب وكل ذلك ينسجم مع رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة.



**ثانياً: مفهوم الرسالة والوصيّة.**

تعدّ الرسائل والوصايا من الفنون النثرية التي عرفت ذيوعاً وانتشاراً واسعاً لدى العرب، واهتموا بها اهتماماً كبيراً؛ وذلك لما تؤديانه من وظائف مهمة في حياتهم، وسنقف فيما يأتي عند مفهوم كل منهما عند القدامى والمحدثين لتحقيق الغاية المرجوة من البحث إلا وهي ربط مفهومي الرسالة والوصية بمفهوم النص.

**مفهوم الرّسالة.**

لقد كانت الرسائل ((وسيلة تواصل بين الأشخاص قد فرّق بينهم الزمان والمكان وهذا التواصل يحققه الرسول الحامل للرسالة))[2]، إذ إنّ لفظ

(١) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي: ١٦٦.

(٢) موضوع النثر في الشعرية العربية (رسالة ماجستير)، كريمة بوطران: ٦٨.

الرسالة يعبر به ((عمّا يرسل به من موضع إلى موضع))[1]، ومن هنا كانت الرسائل ذات قيمة كبرى في المجتمع الإسلامي – ولاسيما الرسمية منها – نظراً لأثرها المهم في تنظيم الحياة للمسلمين في جميع المجالات.

فهذا الشيخ أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) كان له كبير الاهتمام بفن الترسل ولاسيما الجانب الرسمي حيث خصص لها مؤلفاً ضخماً سماه ((صبح الاعشى في صناعة الإنشا))، ويرى أن هذا الفن وُجدَ لخدمة المصالح العامة والخاصة للأمة وأهدافها المتمثلة في المكاتبات التي تهتم بالأمور الدينية والدنيوية، فقال إن: ((الترسل مبني على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحال، وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها))[2].

وذكر أن مفهوم الرسائل الذي هو جمع رسالة يراد به ((أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حال من عدوٍّ، أو صَيْدٍ، أو مدحٍ وتقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى. وسُميت رسائل من حيث أن الأديب المنشيء لها ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات))[3].

(١) الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي، العلوي: ٥/ ٢٠٩٩.
(٢) صبح الأعشى، القلقشندي:١/ ٦٠.
(٣) نفسه: ١٤/ ١٣٨-١٣٩.

ويشير هذا الكلام إلى أن مفهوم الرسالة يطلق على المكتوب من النصوص، كذلك يهتم بذكر أطراف التواصل وهي: الكاتب، المرسَل إليه، الرّسالة، والغرض من كتابة الرسالة. وهذه أمور نجدها حاضرة في رسائل الإمام علي (عليه السلام)، وكان للمحدثين بالغ الاهتمام بهذا الفن وتوضيح مفهومه، فهذا أحمد الشايب يذكر أن المراد بالرسالة ((هو الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر))[1]، ويقول جبور عبد النور إن الرسالة هي: ((ما يكتبه أمرؤ إلى آخر معبراً فيها عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطوراً محددة، وينطلق فيها الكاتب على سجيته، بلا تصنع أو تأنق. وقد يتوخى حيناً البلاغة والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع))[2].



ويذكر الدكتور محمد نبيه حجاب أن مفهوم الرسالة يراد به ((ما ينشؤه الكاتب إلى غيره في غرض من الأغراض))[3]. ويعرّفها فايز القيسي بأنها ((ما يدبّجه الكاتب ويبعث به إلى غيره))[4]. فلفظ (الكاتب) في هذه التعريفات يشير إلى أن الرسالة مكتوبة وليست ملفوظة، والدليل على ذلك أن بعض الباحثين يجعل لفظ (الرسالة) مرادفاً للفظ (الكتاب) فقال فيه إنه يشير: ((إلى النص المكتوب الذي يبعث به الكاتب إلى غيره في أي موضوع))[5].

---

(١) الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب: ١١٣.

(٢) المعجم الأدبي، جبور عبد النور: ١٢٢.

(٣) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، د. محمد نبيه حجاب: ٩٥.

(٤) أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي: ٧٩.

(٥) نفسه: ٨٠.

ومن علماء النّص الغربيين زتسيسلاف وأورزنياك يعرفان الرسالة بأنها مثالٌ لنمط نصيّ مكتوب، فيذهبان إلى أنّه ((نوع نصي مكتوب، يبدو بسبب أبعاد تحقيقه العادي...أنه قابل للتحليل إلى حد ما أكثر من أنواع نصيّة أخرى، ونعني هنا نوع النّص المسمى الرسالة))[1]. نستشف من ذلك أن مفهوم الرّسالة يطلق على النص المكتوب وهذا الرأي يتفق مع طبيعة رسائل الإمام (عليه السلام)، فقد جاءت رسائله مكتوبة جميعها.



**مفهوم الوصية.**

من الفنون النثرية التي لها مكانة بارزة في حياة الإنسان، لأنها تركز على الوعظ والإرشاد والتوجيه والتسمك بالأخلاق الحميدة، التي تقود الموصى إليه إلى الراحة والسعادة والحياة الأفضل والأكمل[2].

وقد ذُكرت تعريفات عديدة للوصية منها ما قاله التهانوي في كشافه من أن الوصيّة ((هي أن يوصي الراوي عند موته أو سفره لشخص معين بكتاب يرويه))[3]، وعرّفها الدكتور أحمد مطلوب بأنها ((لون من الكلام فيه توجيه أو إبلاغ))[4]، وعُرّفتْ أيضاً بأنها ((كلام مستخلص من تجارب الحياة، غالباً ما يتفوه بها من عُرف بين الناس بالحكمة، لينتفع بها من تُلقى

(١) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسيسلاف وأورزنياك: ٤٥.
(٢) ينظر: النثر في العصر الجاهلي، د. هاشم صالح مناع: ١٠٧.
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ٢/ ١٧٩٤.
(٤) معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب: ٢/ ٤٤٠. وينظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب: ٤٤٥.

إليه، ويتجنب الوقوع في الأخطاء))[1].

نلحظ في هذه التعريفات أن أكثرها تؤكد على أن الوصايا فن نثري يلقى شفاهاً، كذلك تشير إلى الغرض من إنشائها وأركانها، وهي: المُوصي، والمُوصى إليه، والشيء المُوصى به، وتركز الأهمية على (المُوصي)؛ لأنه هو الذي يريد إعطاء خلاصة مركزة عن تجربته الذاتية[2]، فالوصية هي وسيلة ((إيصال الخبرة ونقل التجربة ومد جسور المعرفة التي يتناقلها البشر بغية تحقيق الخير لهم بصورة عامة أياً كان ميدان تلك الوصية، فالوصية تضمن اتصال السلوك السليم والرأي السديد عن طريق نقله للأجيال))[3]. بعد هذا العرض لهذه المفهومات، قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، هل الرسائل والوصايا نصوص؟ علماً أن الجواب على هذا السؤال يحدد صحة هذه الدراسة وعدمها. لقد استقر عندنا في ضوء التعريف الذي تبناه البحث أن النص هو المكتوب، ووفاقاً لهذا الفهم، فالرسائل نصوص لا إشكال في ذلك؛ لأنها مكتوبة.

أما الوصايا فبعدّها فناً نشأ في العصر الجاهلي؛ لذا كانت تتصف بالشفاهية، إلا أنّ وصايا الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة كانت -على الأكثر- مكتوبة، وهذا الكلام يوجب أدلة، وهي عديدة أهمها:



(١) أدب الوصايا في نهج البلاغة (قراءة في خصائص الأسلوب)، بحث منشور، د. مزاحم مطر: ١٨٩.

(٢) ينظر: نفسه: ١٨٩.

(٣) الوصايا في الأدب الأندلسي، (رسالة ماجستير)، حذيفة عبد الله عزام: ٨.

إن هذه الوصايا انتجت في العصر الإسلامي، وقد عاش المجتمع الإسلامي حياة تختلف عمّا كان عليه في العصر الجاهلي إذ بدأ الاهتمام باستخدام الكتابة بفعل الدين الجديد.

وأشارت دراسة حديثة إلى إلحاق وصايا الإمام برسائله، ومن المبررات التي قدمتها هذه الدراسة:



إنّ الوصايا سارت على آداب الكتاب المقررة وتلتزم بقيودها الموضوعة.

إن الإمام كان يكتب وصاياه ولا يلقيها شفاهاً، كما كان الأوائل يلقون وصاياهم على أبنائهم وأقربائهم شفاهاً.

إن الوصايا كانت موجهة إلى الشاهد الغائب ولا يقتصر (عليه السلام) على من كان بحضرته وهذا وجه الشبه بين الوصايا والرسائل في كونها نصوص تدون إلى أولئك الغائبين[١]. وهذا يتوافق مع الرأي القائل إن النص: ((هو التتابع الجملي الذي يحقق غرضاً اتصالياً، ولكنه يتوجه إلى متلقٍ غائب، وغالباً ما يكون مدونة مكتوبة تمتلك الديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النصّ، وتتجدد، بتعدد قرائه، وتعدد وجهات النظر فيه، وحسب المناهج النقدية المتعددة))[٢].

ومن كل هذا يتضح عندنا أنّ الوصايا في نهج البلاغة هي نصوص أيضاً لأنها مكتوبة على الأكثر؛ لذلك يصحّ دراستها دراسة نصيّة في ضوء (علم لغة النص) وتطبيق المعايير السبعة التي أقرها (دي بوجراند) وهي:

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) (دراسة أدبية نقدية)، كامل حسن البصير: ١٥٣-١٥٤.
(٢) النص الغائب، د. محمد عزام: ٤٦.

(الاتساق، الانسجام، القصدية، المقبولية، الإعلامية، المقامية، التناص)[1]، وهو ما سنتناوله في فصول هذا البحث، لكن تجدر الإشارة إلى أنّ وجود هذه المعايير جميعها في النص يحقق ما يسمى بالاكتمال النصي[2].



(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣- ١٠٥.

(٢) ينظر: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، (بحث منشور)، د. بشرى حمدي البستاني، د. وسن عبد الغني المختار: ١٨١.

# الفصل الأول

## الاتســـاق النــصي
## فــي الرسائل والوصايا

# المبحث الاول

## الاتساق الصوتي والمعجمي

إن الاتساق النصيّ هو موضوع أساس في اللسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها في سبيل التكونّ والتأسيس والتطور، الانطلاق من فرضية التوسع، إذ توجب عليها الانتقال من دراسة الجملة بوصفها وحدة لغوية كبرى، تبنى عليها نظريات اللغة ومدارسها وإتجاهاتها، إلى النص؛ بوصفه ممثلاً شرعياً للغة، يمتاز بكل خصائص ومميزات الاتساق والانسجام.

وهو ما تقوم عليه كل الدراسات الحديثة والابحاث اللغوية المعاصرة، لأنه بنية منتظمة متسقة ومنسجمة، تحتكم إلى علاقات معينة بين متتالياتها الجملية في أداء معناها، بالصورة التي تكون فيه قابلة للقراءة والفهم والتأويل؛ إذ يمثل الاتساق المعيار الأول من المعايير النصية السبعة التي وضعها (دي بوجراند) وقد نال هذا المصطلح عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين، بتوضيح مفهومه وأدواته وإبراز عوامله وشروطه، ولم يتفق الباحثون والدارسون حول المصطلح العربي المقابل له. والجدول الآتي يوضح المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الإنكليزي (COHESION) التي وضعها الباحثون والدارسون.

| المصطلح العربي المقابل | اسم الباحث أو الدارس | الموضع |
|---|---|---|
| الاتساق | ☒ جبار سويس حنيحن الذهبي | الاتساق في العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث (رسالة ماجستير): ٢٦. |
| | ☒ زاهر بن مرهون الداودي | الترابط النصّي بين الشعر والنثر: ٣٧. |
| | ☒ عبد الله خليف خضير عبيد الجنابي | الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته (أطروحة دكتوراه): ٤٢. |
| | ☒ عثمان أبو زنيد | نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية): ١٠٥. |
| | ☒ لبنى عبد الرحمن، أكمل خزيري عبد الرحمن، شمس الجميل يوب | مظاهر الاتساق في النص القرآني دراسة وصفية لغوية (بحث منشور): ٥. |
| | ☒ ليندة قيّاس | لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً: ٢٧. |
| | ☒ محمد خطابي<br>☒ محمد يحياتن | لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١١.<br>المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٧. |
| الانسجام | ☒ د. أحمد مداس | لسانيات النص نحو منهج التحليل، الخطاب الشعري: ٨٣. |
| الترابط | ☒ د. محمد الشاوش | أصول تحليل الخطاب: ٢٥/١. |
| الترابط القواعدي | ☒ د. موفق محمد جواد | أسس لسانيات النص: ١٥١. |
| التضام | ☒ إلهام أبو غزالة | مدخل إلى علم لغة النص: ١١. |
| التماسك | ☒ د. الأزهر الزناد | نسيج النص: ١٥. |
| | ☒ راشد مدفون مخيف | خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص (رسالة ماجستير): ٢٠. |
| | ☒ د. صبحي إبراهيم الفقي | علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٩٣/١. |
| | ☒ د. فالح بن شبيب العجمي | مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٣. |
| التناسق | ☒ بشير إبرير | من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٣. |
| الرّبط | ☒ نوال لخلف | الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور انموذجاً (أطروحة دكتوراه): ١٠. |
| الرّبط اللفظيّ | ☒ د. عزة شبل محمد | علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ٩٩. |
| الرّبط النحوي | ☒ د. سعيد حسن بحيري | علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠٠. اتجاهات لغوية معاصرة (بحث منشور): ١٧٠. |
| السّبْك | ☒ أحمد حسين حيال | السّبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام (رسالة ماجستير): ٤٨. |
| | ☒ د. أحمد عفيفي<br>☒ أحمد محمد عبد الراضي | نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٧٥.<br>نحو النص بين الأصالة والحداثة: ١٠١. |
| | ☒ تمّام حسّان | اجتهادات لغوية: ٣٦٥. |
| | ☒ د. جميل عبد المجيد | البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٧١، ٧٧. |
| | ☒ د. حسام أحمد فرج | نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٧٨. |
| | ☒ د. سعد مصلوح<br>☒ شريفة بلحوت | نحو إجرومية للنص الشعري: ١٥٤.<br>الإحالة دراسة نظرية: ٩٠. |

والحقيقة أنه لامشّاحة في تعدد التسميات للمسمى الواحد، إذ كل تسمية تعبر عن وجهة نظر الباحث أو الدارس في النظرة الوظيفية التي يؤديها هذا المصطلح؛ لأنها تشير إلى معنى الترابط أو التماسك بين الكلمات أو الجمل وغيرهما من أجزاء النص، إذ لا يتحقق ذلك في نص ما إلا باستعمال العناصر اللغوية التي تساعد في ذلك، فالمتكلم (المرسل) يهدف عند صياغته نصاً لغوياً إلى إرسال رسالة للمخاطب (المتلقي)، وقد تعبر تلك الرسالة عن انفعال أو شعور القائل تجاه أمر معين، وهو ما يوضحه المخطط الآتي[1]:



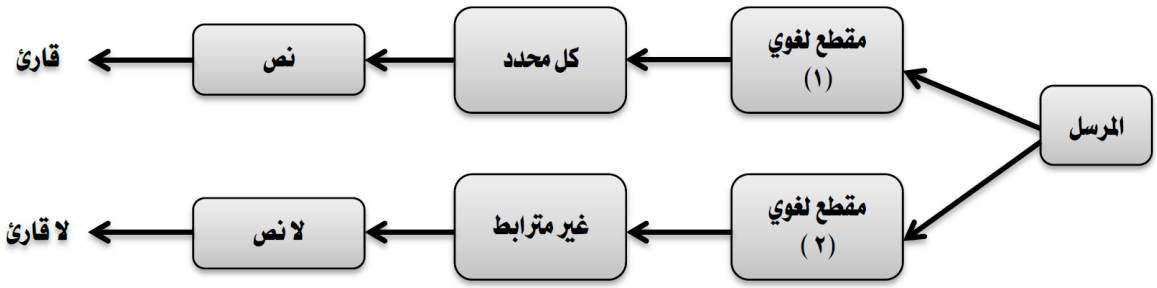


ما يلحظ على هذا المخطط أن الاتساق شرط ضروري لتحديد ما هو نص وما هو ليس نصاً، فإذا توافرت وسائله كان المقطع اللغوي كلاً موحداً وإذا ما افتقر إليها أصبح جملاً غير مترابطة (لا نص) وهذا يؤدي بالقارئ إلى رفضه لعدم فهمه وذلك لغياب الاتساق، ولعل هذا ما قصده ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) بقوله في باب النظم: ((إذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق

(١) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ١٢، من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف) (بحث منشور): أ. م. مراد حميد عبد الله: ٥١.

به، ومَجَّتْهُ المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء))[1]؛ ففي المقولة إشارة إلى الاتساق في الكلام لكنه يختلف عن الوحدة العامة للنص التي نتوصل إليها عن طريق الانماط التنظيمية الكبرى لجميع الأفكار في النص. ويتبنى البحث الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطاً بالجانب الشكلي للترابط النصي جاعلاً الاتساق بوصفه أقدم مصطلح عربي مقابلاً للمصطلح الانكليزي (COHESION)[2]*.

أما مفهوم الاتساق عند النصيين فهو ((ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على هيئة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفيّ، إذ يمكن استعادة هذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار، والألفاظ الكنائيّة، والإحالة المشتركة (Co-reference)، والحذف والروابط))[3]. أو هو ((خاصية دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم في الجمل الأخرى))[4]، وبذلك فالاتساق مظهر من مظاهر عملية إنتاج النص الكبرى التي تشتمل على عناصر أخرى سياقية.

ويرى أسامة عبد العزيز جاب الله (أنّ الاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويكون مناط العناية فيه منصباً على الوسائل اللغوية التي تربط بين العناصر المكونة للنص مثل: الإحالة، العطف، والضمائر، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، وغيرها من الوسائل.

(١) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ١/ ٢٥٧.

(٢)* إن أول من أطلقه هو د. محمد خطابي في (لسانيات النص) ويعد كتابه هذا من أقدم مصادر الدراسات النصية الحديثة.

(٣) الاتساق في العربية: ٢٧، ينظر: الإحالة دراسة نظرية: ٩٠.

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٤٥.

ويرى أنّ الاتساق إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الرّبط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية حيث تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل)[1].

وفي إطار هذه المعالجات فإنّ البحث سيعمد إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من خلال النظر إلى بنية النص من الداخل، وهذا يقتضي وضعاً وتحليلاً للنظام الذي تأتلف فيه البنى النصية، بحيث يتم تمحيص علاقات الارتباط الأفقية التي تنشأ بين مكوناتها، وبيان مقوّماتها التي تحكم النص[2]. وقد اختلف الدراسون في تحديد وسائل الاتساق النصي، لذلك اعتمدت على نصوص الرسائل والوصايا في تحديدها. وهي تتوزع على ثلاثة مستويات (صوتيّ، معجميّ، نحوي)، وكل منها يرتكز على وسائل عدّة ومظاهر لغوية تنسج العلاقات بين البنى الداخلية وبين وظائفها:



**أولاً: الاتساق الصوتيّ.**

من المعروف أنّ اللغات تختلف في نظامها اللغوي العام، فلكل لغة خصائصها التي تميزها من غيرها من اللغات، وعلى ذلك فإن العناصر الصوتية تختلف من لغة لأخرى. فضلاً عن ذلك فإنّ اللغة العربية لغة ذات

(١) ينظر: نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، www.alfaseeh.com

(٢) ينظر: نسيج النص: ٢٥، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة: ٢.

طبيعة ايحائية، إذ إنّ (لكل نوع من الحروف والأصوات وظيفة في تكوين المعنى وتثبيت أصله وتنويع شكله وألوانه مع تناسب بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة)[1].

ونتيجة لما يترتب على العلاقة بين الصوت والمعنى كان الاتساق الصوتي من أنواع الاتساق التي يمكن للباحث - في ضوئه - الحكم على اتساق النص إذ نجده حاضراً في أغلب النصوص النثرية والشعرية إلا إنّ عناية علماء النص المحدثين أنصبت نحو الاهتمام بالاتساق النحويّ والمعجميّ.



إن الاتساق الصوتي يقترب في الدرس العربي من علمين من علوم البلاغة، هما: علم البديع وعلم المعاني، وسيكون السجع والجناس، أبرز المحاور التي سنقف عليها ويضاف لهما التنغيم الذي لم ينل تلك العناية وذلك الاهتمام في بحوث الدراسين والباحثين؛ لذا كانت دراسة (دي يوجراند) عن الاتساق الصوتي وعن التنغيم على وجه الخصوص هي الدراسة الأولى التي جعلت هذا النوع من الاتساق يرى النور، وكان ذلك في كتابه الموسوم (Introduction to Text Linguistics).

إن ما جاء في هذا الكتاب يعّد اهتماماً بالغاً وإشارة واضحة إلى هذا النوع من أنواع الاتساق إذ عدّ التنغيم من المحاور الصوتية الرئيسة لمصطلح الاتساق الصوتي وجعله على نوعين (التنغيم الصاعد، والتنغيم الهابط)[2]، أما وظيفة الاتساق الصوتيّ في النص (فيعتمد الربط معه على وجود عناصر صوتية تشيع جواً من التوحد السمعي بين جمل النص عند القارئ من

(١) فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٢٦٣.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١١٦.

خلال تكرار نفس المقاطع الصوتية بإيقاع منتظم على مسافات ثابتة ويجعل هذا الانتظام الايقاعي جمل النص تبدو للوهلة الأولى مترابطة، فيؤدي هذا إلى قبولها مبدئياً من القارئ)[1].

إنّ دراسة الاتساق الصوتي تدور في ثلاثة محاور هي: (السجع والجناس والتنغيم)، وقد أهملنا دراسة الوزن الشعري والسبب في ذلك يعود إلى أن أحد الباحثين تناول دراسة كلام الإمام (عليه السلام) في رسائله وقد أثبت أنه جاء وكأنه قصائد شعرية صُبّتْ في قوالب نثرية[2] فهو أشبه ما يكون بقصيدة نثرية، فشكلت بذلك ألحاناً موسيقية رائعة عزفت على أوتار العروض المختلفة.



**الف ـ السجع .**

يعرف بأنه (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)[3]، ويعد السجع واحداً من العناصر الموسيقية التي اعتمدت عليها رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه بشكل أساس في صنع الاتساق الصوتي من حيث أنه يسهم في منح النص طابعاً بنيوياً واضحاً ومنظماً. لذا يمثل مقوماً من مقومات الموسيقى الداخلية، غير أنّ قيمته النغمية لا تنحصر في تمثل الحروف المتكررة في نهايات الفواصل فهو ليس (مجرد تشابه صوتي)[4]، وإنّما تكمن قيمته في أنّ علاقاتها داخلية تتحدّد بالمدلول[5].

(١) نفسه: ٨١.
(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، د. كامل حسن البصير: ٣٤٠-٤١٥.
(٣) المثل السائر، ابن الأثير: ٢١٠.
(٤) بنية اللغة الشعرية: ٣١.
(٥) ينظر: نفسه: ٣٢.

ويرى (كارل بروكلمان) أنّ نظام السجع من أول مظاهر ارتقاء العربية إلى لغة شعرية بفضل ما يقدمه من تنظيم إيقاعي، فهو يجمع إلى صفة البيان ضرباً من الايقاع[1]، فالسجع بطبيعته الصوتية (إيقاع محبب إلى النفس.. والقلب.. وكأنه تمهيد للشعر، وصورة مصغرة عنه.. يحبه الرجل كبيراً، ويأنس إليه صغيراً، بل لا يكاد الطفل يغفو في حضن أمه إلا إذا هدهدته بأنشودة مسجوعة، إيقاعية، رتيبة النغمات)[2].



لقد كان السجع في الرسائل والوصايا المظهر الصوتي الأبرز لاتساق عناصر النص الواحد إلى جانب عناصره الأخرى النحويّة والمعجميّة، فخلق نوعاً من أنواع الوحدة داخل النص؛ إذ حفلت نصوص الرسائل والوصايا بزخرف واسع من الاسجاع المتنوعة التي أدت إلى توليد أنغام موسيقية تعزف على اوتار الرّغبة والرّهبة والخوف والرّجاء عند المتلقين؛ إذ إنّ (النهايات المتشابهة التي يخلقها السجع تعطي له الدّعم الصوتي الذي يشكل وسيلة قوية للإقناع، ولا سيما إذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة دلالية)[3]، وقد استقريت أنماط السجع في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه فوجدتها موزعة على ثلاثة أنماط رتبتها بحسب كثرتها، كما يوضحه الجدول الإحصائي الآتي:

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي: ١/ ٥١.
(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ أمين: ١٢٦.
(٣) نظرية علم النص: ١١٧.

| نوع السّجع | الرسائل (عدد المرات) | الوصايا (عدد المرات) | المجموع |
|---|---|---|---|
| المطّرف | ٢٧٩ | ٦ | ٣٤٧ |
| المتوازي | ٧١ | ٣٢ | ١٠٣ |
| المرصّع | ١ | ١ | ٢ |



نلحظ من خلال هذا الجدول تنوع بنية السجع في الرسائل والوصايا، إذ هيمن السجع المطرّف عليها ثم تلاه المتوازي فالمرصّع، وذلك ليتناسب صوتياً ودلالياً مع كل نص ذكر فيه، وفيما سيأتي من مادة البحث سنبين مفهوم كل نوع من الأنواع مع تحليل لبعض النماذج من الرسائل والوصايا.

١ـ **السّجع المطرّف** .

وهو أن يتفق اللفظ الأخير من الجملة مع نظائره في الجمل الأخرى في حرف الروي دون الاتفاق في الوزن أو عدد الحروف[١]. ومثل هذا النوع من السّجع ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)، فقال: «**فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ**»[٢].

فالسّجع المطرّف حاصل بين الألفاظ (سوّاك، تعبدّك، رغبتك، شفقتك)، وقد أخذ صوت (الكاف) مأخذاً كبيراً في هذا النص، وهو صوت شديد[٣]،

(١) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي: ٢٠٩، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٢/ ٥٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٦ (و ٣١).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ٨١، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي: ٣١٥.

إذ جاء متلائماً وفكرة النص التي أراد الإمام (عليه السلام) ترسيخها من جانبين، الأول: إخباره بعظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته، فهو خالقنا ورازقنا وهذه العظمة تتناسب وصفة صوت الكاف. والآخر: يأمره (عليه السلام) بوجوب الاعتصام بالخالق عزّ وجلّ، وان تكون له العبادة خالصة حتى يبلغ ذلك مجامع قلبه ومكامن لبّه، والإخلاص له في النية والعمل فهذه الأعمال تنسجم وصفة صوت (الكاف) التي كان لها أثرها النغمي في قرع أسماع المتلقي وهزّ مشاعره.



وفضلاً عن الاتساق الصوتي نجد أن للاتساق النحوي أثره البارز في النص مما يظهر لنا من الإحالات المتنوعة (اسم الموصول، والضمائر) فضلاً عن العطف (بالواو) الذي أسهم في ترتيب الأفعال على نحو منظم، فلا يمكن تغيير أي من هذه الألفاظ عن موقعه أو حذفه لأن في ذلك إخلالاً بالسلسلة الكلامية، إذ جاءت الألفاظ متسلسلة ومتتابعة على أساس منطقي ومثله قوله (عليه السلام) في كتابه له إلى بعض عُمّاله: «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ**»[1].

نلحظ مجيء فواصل هذه الرسالة وقد هيمن على رويها صوت (الكاف) في (ربك، أمامك، امانتك، قدميك، يديك، حسابك)، وهذا يتناسب ومعنى النص الذي بدا واضحاً للقارئ، فخيانة الأمانة من أقبح وأفظع الخيانات

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٤ (ك ٤٠).

ويبوء فاعلها بغضب الله ووليِ الأمر، فجاء صوت (الكاف) معبراً خير تعبير عن شناعة وفظاعة هذا العمل، لذلك فوجود (الكاف) جاء متناغماً مع الغرض الرئيس من الرسالة.

**٢ـ السجع المتوازي** .

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي[١].



وهذا النوع من السّجع تحفل به رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه وذلك لما يمثله من حضور بارز في المواقف التي يتطلب حضوره فيها لإتمام المطلوب، ومن أمثلته ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عُمّاله: «**فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَنِكَتْ وَشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ**»[٢].

جاء هذا النص يحمل تلويناً صوتياً يصور لنا خيانة هذا العامل لأمانته، فالسّجع المتوازي حاصل في موضعين، الأول: في قوله (كلب، وحرب) فجاء صوت (الباء) وهو من الأصوات الشديدة[٣] متناسباً مع دلالة الاشتداد التي تشير إليها هذه الأفعال[٤]، فضلًا عن مجيئها على صيغة (فَعِلَ) التي

(١) ينظر: نهاية الإيجاز، الفخر الرازي: ٦٩، كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٦٢، حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ٢٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٧ (ك ٤١).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦، مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١١٩.

(٤) حَرِبَ الرّجلُ، بالكسر، يَحْرَبُ حَرباً: اشتدّ غضبه، لسان العرب، مادة (حَرِبَ): ٤/ ٧٠، وكَلِبَ أي: أشتدّ يقال: كَلِبَ الدّهرُ على أهله إذا ألحّ عليهم واشتد، نفسه، مادة (كَلِبَ): ١٣/ ٩٧.

تدل على الحركة والاضطراب[1]، لتوضح اضطراب الأوضاع السياسية وتدهورها، والسّجع المتوازي الآخر في قوله (الخاذلين والخائنين)، وقد سبق جناس مطرف بين (مفارقين وخاذلين)، إذ جاء (النون) روياً لثلاث فواصل نثرية، فهو ((صوت متوسط مجهور أغن))[2] يعمل على إحداث غنّة عند النطق به ممّا أدى إلى ((زيادة الترّنّم وإلى إضفاء إيقاع أعلى على النص عن طريق مدّ المدّة الزّمنيّة التي يستغرقها النّغم الصوتي لكونها فاصلة يتوقف عندها الكلام))[3]، فأحدث تكراره فيضاً في النغم الموسيقي وروعة في الأداء، وقد زاد هذا النص جمالاً واتساقاً للتكرارات الجزئية التي حفلت بها بنية النص بين (فارقته- المفارقين) ، (خذلته- الخاذلين)، (خنته- الخائنين)، فقد اتحدت هنا الدلالة الصوتية والدلالة اللغوية لبيان شدة خيانة هذا العامل وعدم حفاظه على ما أوتمن عليه.

ومن هذا كله نجد أن إيقاع السّجع المتوازي إنما يحدث من خلال تشابك التجانس الصوتي في الحروف الأخيرة التي تنتهي بها الجمل مع النغم الذي يبعثه وزن الفاصلة ممّا يعمل ذلك على تصاعد الموسيقى الداخلية ((فإذا كانت الفواصل أذن على زنة واحدة وحرف واحد كانت صورة التوازن أكمل))[4].

ومثله ما جاء في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عاملة على البصرة: **«فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلا أَعْدَدْتُ**

(١) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي: ٣٨٤.
(٢) فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي: ٤٩١.
(٣) النون في العربية، (رسالة ماجستير)، مشتاق عباس: ٢٥٨.
(٤) الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل: ١٨٩.

**لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً**»[1]. فالسّجع المتوازي حاصل بين الألفاظ (طمراً، شبراً)، وقد سبق بالسّجع المطّرف في قوله: (تبراً، وفراً) ليخرج النص بأبهى صورة، وقد جاء صوت (الراء) هنا روياً لهذه الفواصل الأربع، إذ أضفى تكرار صوت (الراء) ايقاعاً داخلياً واضح المعالم وقيمة صوتية فهو صوت ((مجهور ... مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية))[2]، فهذه الضربات المتتابعة جاءت متناغمة مع الغرض الأساس من هذا الكتاب وهو تنبيه المخاطب على قيمة الدنيا الحقيقية ومدى رخصها في نظر الإمام موشحاً ذلك بأسمى معاني الزهد.



ونلحظ مجيء هذا النص قائماً على بنى نصية متوازية ومتوازنة في نهاياتها وذلك ليلقى قبولاً واستحساناً عند متلقيه، وهذا ما أثبته علم النفس الموسيقي بأن هناك ميلاً غزيراً نحو الإيقاع الموسيقي المنظم إذ تشعر معه النفس الإنسانية بنوع من الرضا[3].

### ٣ـ السجع المرصّع .

هو (أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، مُتّفقة الأعجاز)[4]، ويعني ذلك مقابلة كل لفظ على وزنه ورويه (فهو أحسن وجوه السّجع)[5]، والغاية من استعمال مثل هذا النوع من السّجع هي (المقاربة بين الكلام

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٠٥ (ك ٤٥).
(٢) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٩٦.
(٣) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي: ٦٢.
(٤) نهاية الايجاز: ٧١، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٠٣.
(٥) كتاب الصناعتين: ٢٦٣.

بما يشبه بعضه بعضاً)[1]، ولكنه لا يصلح في كل المواضع إلا ما اتفق مع المعنى المقصود، لذا يشترط فيه (سهولة المأخذ وعدم التكلف، وهو أن يكون المتكلم مستمراً على ديدنه، والكلام جارياً على سننه حتى إذا عرضت له فرصة، السّجع وعنت نزهة الترصيع متيسرة من غير عسف، سهلة من غير عنف، انتهزها حذراً من التكلف الغثّ والبارد الرثّ)[2].

ومّما جاء من السّجع المرصّع من كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة- وعبد الله عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) يومئذ عليها وعلى كوز الأهواز وفارس وكرمان وغيرها: «**وَ إِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ. وَالسَّلامُ**»[3]. حاصل النص تحذير زياد بن أبيه من خيانة ما يليه من مال المسلمين، وقد توعده (عليه السلام) بالعقوبة إن وقعت منه وكنّى عنها بالشدة، حصل الترصيع بين القرائن الثلاث الأخيرة:

قليل / الوفر

ثقيل / الظهر

ضئيل / الأمر

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٨٥.

(٢) المنزع البديع، السجلماسي: ٥٠٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٨، (ك ٢٠).

وقد ولّد ايقاعاً قوياً، أسهم في تكوينه تكرار صوتي اللام والراء فهما ((من أوضح الأصوات الساكنة في السمع))[1]، فضلًا عن تكرار صيغة (فعيل) في قوله (قليل، ثقيل، ضئيل). واستعمال هذا الوزن ((في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه وطبيعة فيه))[2]، وقد جاء كل ذلك في سياق التهديد؛ لأن الإمام (عليه السلام) أراد أن تبلغ دلالة التهديد منتهاها في نفس عامله وتؤثر فيه سبب سلب الكمالات الدنيوية والاخروية منه.



فالسّجع (مقصد من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس)[3] من خلال الأثر الواضح الذي يقوم به من تكوين الإيقاع وإظهاره (من خلال التقسيم المنظم للجمل والعبارات من ناحية، ولوجود النغمة الموسيقية التي يوفرها السّجع آخر السجعة من الناحية الأخرى)[4]. فأسهم السّجع المرصّع في شدّ انتباه المتلقي نحو النص وذلك لقوة موسيقاه فضلاً عن ذلك ما يحفل به النص من تنغيم وهو ما سنفصله فيما سيلحق من مادة البحث. ومثله ما جاء في كلام له (عليه السلام) قاله قبل موته على سبيل الوصية لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ**»[5]. تم الترصيع-

(١) الأصوات اللغوية: ٦٣.

(٢) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي: ١١٧.

(٣) الطراز، العلوي: ٣/ ٢١.

(٤) الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم (دراسة اسلوبية دلالية)، (رسالة ماجستير)، عبد الواحد زيارة إسكندر: ٣٩.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣ (و ٢٣).

هنا- بين ألفاظ الفقرتين الأخيرتين إذ أتت الألفاظ متفقة وزناً وقافية وهي:

قارب / ورد

طالب / وجد

فاعل / فعل

فقد أوحى اختتام الفواصل بصوتي (الباء والدال) وهما من الأصوات الشديدة[1]، بقوة إيمان الإمام (عليه السلام) وهو مقبل على الموت، فقد عبرت تعبيراً صادقاً عن حاله إذ شبه نفسه بأنها كقارب أبحر في الدنيا وها هو قد ورد مرفأه، أو كطالب قد وجد ما يبتغيه. وقد جاءت هذه السجعات متناغمة بقوتها مع ما يتطلبه ذلك الإبحار من قوة تشق عباب الدنيا من أجل الوصول إلى الآخرة وما يتطلبه ذلك الطلب من السعي الحثيث والجهد الجهيد، وقد يراد أن حاله كالضمآن الذي يريد الوصول إلى منهل أسرع موظفاً بذلك دلالة (قارب) وهو الذي يبحث عن الماء ليلاً أو الشخص الذي تفصله عن الماء مسير ليلة واحدة[2] ومما زاد هذا النص جرساً وتنغيماً الجناس الذي حصل بين (ورد ووجد) وهو جناس لاحق فهو بهذين المظهرين الصوتيين (السّجع المرصّع والجناس اللاحق) خلق جواً من التناغم الموسيقي والاتساق الصوتيّ.

**باء- الجنـــاس .**

وهو من وسائل الإيقاع والموسيقى الداخلية التي اتشحت بها رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، فقد أسهم في إضفاء قدر أوفر من الإيقاع والنغم

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦، ٤٩، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٥.
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (قرب): ١٢/ ٥٥.

الموسيقي مع تحقيق درجة من التوافق بين الدلالة والإيقاع، فهو مصطلح يتصل (باللفظ أي بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية)[١]. فالجناس هو اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما[٢] أو هو أن (يتحد أو يتقارب اللفظان المتجانسان في المستوى الصوتي، ويفترقان في الدلالة)[٣].

إذن فالجناس عبارة عن ((مدلولات مختلفة بدوال متشابهة))[٤] فيشتمل (الجناس على خصيصة أسلوبية صوتية متميزة تجمع بين التكرار إذ تتمظهر الحروف بمتوالية صوتية في سياقات الجمل، وبين تحقيق التشابه الصوتي للتركيب، واختلافها في المعنى)[٥]. وقد أشير قديمًا إلى الجناس وعلاقته بالمعنى، فقال عبد القاهر الجرجاني: (إنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى)[٦]. وأكد ذلك في قوله الآخر: (إنّك لا تجد تجنيساً مقبولاً... حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه)[٧].

وتبرز فاعلية التجانس الصوتي من خلال تكرار وحداته اللفظية المتجانسة، فإن له (ما للتكرار من تأكيد النغم ورنته، ويزيد عليه بأنه يوجد



(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي: ٧٣.
(٢) ينظر: المثل السائر: ١/ ٢٦٢، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٢/ ٥٣.
(٣) في البنية والدلالة، د. سعد أبو الرضا: ٥٣.
(٤) بنية اللغة الشعرية: ٧٥، ينظر: قراءات بلاغية، د. فاضل عبود التميمي: ٦٣.
(٥) قراءات بلاغية: ٨٣.
(٦) أسرار البلاغة: ٩.
(٧) نفسه: ١٠.

نوعاً من الانسجام بين المعاني العامة ورنة الألفاظ العامة)[1].

وللأديب في استعماله غايات عديدة منها قدرته العالية على إحداث موسيقى مميزة داخل النص، وعلى لفت الانتباه إلى وجود أسلوب آخر موجود معه، أو يرد لمعنى خاص وهو لأجل التقارب بين مدلولي المتجانسين بالاعتماد على تناسبهما كأن يأتي بلفظين مترادفين على الرغم من اختلاف أصل كل واحد منهما[2]. ولهذا فإن قوة الجناس تكمن (في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ... من جهة أخرى)[3]، ويقترح بعض الباحثين شكلًا منهجياً لتناول الجناس مبيناً أنواعه وأقسامه[4].



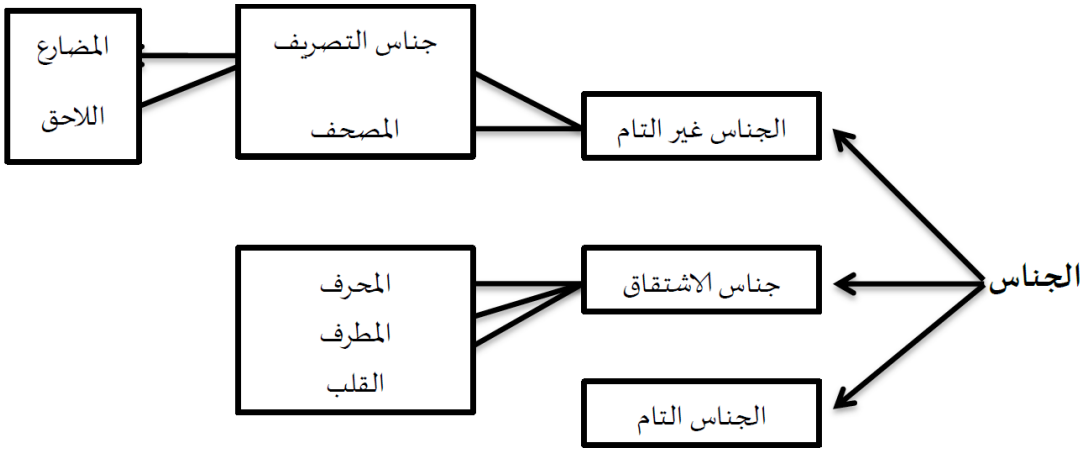


(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب: ٢/ ٢٦١.
(٢) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٦٨-٦٩.
(٣) المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها: ٢/ ٢٦٢.
(٤) ينظر: قراءات بلاغية: ٨٥.

وفي دراسة هذا الأسلوب في رسائل الإمام علي (عليه السلام) وهو أقل من أسلوب السجع، يتخذ الجناس صوراً وأنواعاً مختلفة بحسب درجة التقارب أو الاتفاق بين اللفظين المتجانسين، وقد توزعت على نوعين وفق التوصيف السابق لأنواع الجناس هما (جناس الاشتقاق، والجناس غير التام) وتخلو النصوص المدروسة من الجناس التام والجدول الإحصائي الآتي يبين ذلك[1]*:

| نوع النص | الجناس غير التام عدد المرات | جناس الاشتقاق عدد المرات | المجموع |
|---|---|---|---|
| الرسائل | المضارع (٥) | المطرف (٦) | |
| | اللاحق (٥) | القلب (٢) | اللاحق: ١٠ |
| | المصحف (-) | | المضارع: ٧ |
| | | | المصحف: ٢ |
| الوصايا | المضارع (٢) | | المطرف: ٩ |
| | اللاحق (٥) | المطرف (٣) | القلب: ٢ |
| | المصحف (٢) | القلب (-) | |

ويلحظ من الجدول كثرة الجناس غير التام، فلم يكن باعثه الأساس في ذلك توليد الموسيقى الداخلية فحسب، وإنما هو (مرتبط بالدلالة يستدعيها وينبثق عنها)[2]، فالإمام علي (عليه السلام) أراد (خلق مواءمة تعبيرية بين موسيقى اللفظ ودلالته)[3] وذلك لقدرة هذا الفن على تحريك مشاعر المسلمين بوجه خاص سواء أكان في وعظ وإرشاد أم في حرب أو غيرها، والمتلقين بوجه عام وهذا ما سندرسه فيما يأتي، أما عن أثره في تحقيق الاتساق الصوتي في

(١)* ينظر: تفصيلات الجناس في الملحق الخاص بالجناس في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه: ٢٧٧.

(٢) أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث، البدراوي زهران: ٢٧-٢٨.

(٣) الأسلوبية الصوتية (بحث منشور)، د. ماهر مهدي هلال: ٧٥.

النصوص النثرية خاصة؛ فإن النصوص النثرية (تتخذ من العناصر الصوتية وسيلة تخلق موسيقى في النثر توازي موسيقى الوزن والقافية في الشعر، مراعاةً لعملية التلقي وعمليتي الحفظ والرواية)[١].

وهو يحتاج إلى قدر كبير من الفصاحة والبلاغة التي لا يأتي بها إلا من كان له باع طويل وقدرة لغوية عالية على اختيار الألفاظ على وفق نظام صوتي يراعي فيه مطابقته للغرض المقصود من الكلام على اختلاف أنواعه وتباين تنوعه مع مراعاة موافقته لما أريد به بعد تركيبه لذلك فهو (غرض عظيم لابّد من رعايته ونظيره في العقد... والكلام بعد تركيبه إذا وضعته في غير موضوعه ولم تقصد به ما هو موضوع له انخرم المقصود به وكان خالياً عن البلاغة)[٢].



### أ- الجناس غير التام .

هو (مقطعان صوتيان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول)[٣] ويتناول البحث هنا (جناس التصريف) والذي يراد به اختلاف المقطعين في هيأة الحروف مما يؤدي إلى الاختلاف في مسافة الايقاع[٤]، والجناس المصحف (وهو الجناس الذي تكون النقط فيه فرقاً ما بين الكلمتين أي تحقق التماثل في اللفظتين خطاً واختلافهما نطقاً)[٥].

---

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٣٠.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١/ ١٢١.

(٣) البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان: ٧٦.

(٤) البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان: ٧٧.

(٥) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي، دراسة بلاغية، (رسالة ماجستير)، حيدر حسين الزبيدي: ٦٢.

**١ـ جناس التصريف :**

ويشمل:

**- الجناس اللاحق :**

(وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف آخر من غير مخرجه، ولا قريب منه)[١]. ومن أمثلته قوله (عليه السلام) في كتاب له كتبه لشريح بن الحارث قاضيه: «**اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ**»[٢].



فالجناس اللاحق قائم بين حرفي (الميم والجيم) في اللفظتين (الأمل والأجل) وهما صوتان مختلفان في المخرج، فالميم من الأصوات الشفوية وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة[٣]. أما الجيم فمخرجه وسط الحنك[٤]، فهذا التباعد بين مخارج الأصوات جاء متناغمًا مع الغرض الذي كتبت لأجله هذه الرسالة وهو التنفير عن متاع الدنيا وعن الركون إلى مغرياتها، وقد قوى هذا المعنى التضاد في قوله: ((الخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة))، لذلك فقد ((وصف المشتري بالمغتر بالأمل باعتبار أنّ نظره إلى أمله في الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الآخرة وما خلق لأجله وكان ذلك الاغترار سبباً لشرائه لتلك الدار، وجعل الثمن

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني: ١/ ١٤٠، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٤٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧-٢٨ (ك ٣).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦.

(٤) نفسه: ٧٦.

هو الخروج عن عز القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضراعة استلزام شرائه لذلك كما يستلزمه الثمن... غاية ذلك التنفير عن اقتناء فضول الدنيا بما يستلزمه من ذلّ الحاجة إلى الخلق))[1].

وكذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ**»[2]. فالجناس اللاحق حاصل ما بين الكلمتين (المهالك والمسالك)، فالاختلاف المخرجي حصل بين (الهاء والسين)، فصوت الهاء مخرجه من (أقصى الحلق)[3]، أما صوت السين فمخرجه من (طرف اللسان فويق الثنايا العليا)[4]، فجاء ذلك متناغمًا مع بعد هذه النفس عن الحق ومجانبتها طريق الصواب ((فهي مولجة في الشر في بدايتها، مقحمة في الغي في منتصفها، موردة المهالك في نهايتها، فالجناس بتلاحمه مع المعنى أظهر هذه الهوة الشعورية في نفوس المتلقين))[5].

وقد استثمر الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص أدواته اللغوية لإظهار النص على نحو مترابط ومتسق، فتكرار لفظ (نفسك) ثلاث مرات في النص لإبراز هذه اللفظة كونها مركز التعبير في النص ومنحت تاء التأنيث الساكنة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤١٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦ (ك ٣٠).
(٣) الأصوات اللغوية: ٨٦.
(٤) الأصوات اللغوية: ٧٤.
(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية (رسالة ماجستير)، سعد عزيز شنو: ١٢٠.

في (أولجتك، أقحمتك، أوردتك وأوعرت) الشعور بمدى اتباع هذه النفس والانقياد وراء شهواتها كذلك منحت المتلقي فرصة في التأمل فيما يطرق سمعه من كلام فضلاً عن ذلك فقد عرض الإمام علي (عليه السلام) كل هذا في مقاطع صوتية متشابهة شحنت الموسيقى الداخلية للنص بقيم موسيقية إضافية، كل هذا يعكس مدى براعة الإمام علي (عليه السلام) فهو ((لا يهدف من جملته إلى مجرد النقل والإخبار، وإنما يهدف منها إلى التأثير في القارئ أو السامع، ولا يتأتى له ذلك ما لم يصطنع لغة خاصة، تتجاور فيها المفردات على نحو غير مألوف في لغة الكلام العادي، وتتغير فيها العلاقات المعهودة بين الألفاظ))[1]. وهناك أمثلة أخرى متداخلة ضمن أنواع الجناس الأخرى سيتم تناولها فيما يأتي:



**- الجناس المضارع:**

((هو الجناس الذي يكون الحرفان المختلفان فيه متقاربين في المخرج))[2].

وهذا النوع موجود في الرسائل والوصايا، فمنه قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَ لا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً**»[3].

(١) الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (بحث منشور)، د. نعمة رحيم العزاوي: ١٧٥.

(٢) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٥٨، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٤٩٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٧ (ك ١٧).

فالجناس حاصل ما بين اللفظتين (رغبة ورهبة)، فالغين والهاء في هاتين الكلمتين تعدان من (الأصوات الحلقية)[١]، فمخرج صوت الغين من أدنى الحلق[٢]، ومخرج صوت الهاء أقصى الحلق[٣]. فقد أسهمت هذه الأصوات في تعزيز دلالة النص من جانبين، الأول: إحكام الانتشار الكامل للدين الإسلامي والآخر: إبراز دلالة التضاد، فمعنى الأولى مختلف عن معنى الأخرى، فالأولى تعني الدخول في الإسلام طواعية عن عقيدة وإيمان، في حين تعني الأخرى الدخول فيه كراهية تحت وطأة السيف خوف القتل. وقد تضافر معها دلالة التضاد في قوله: (طوعاً وكرهاً) الذي جاء موقعها منتظماً معها، كما مبين في المخطط الآتي:

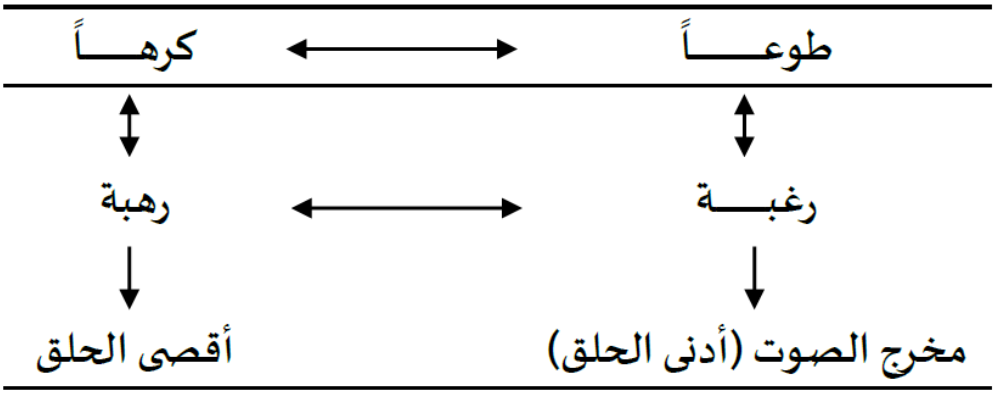


فقد عضد مخرج الصوت هذه الدلالة، ومن جانب آخر تناغم التنوين في إبراز الايقاع الموسيقي للنص في (أفواجاً، طوعاً، كرهاً، رغبةً، رهبةً، نصيباً،

(١) الأصوات اللغوية: ٨٥.

(٢) ينظر: نفسه: ٨٥، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٥.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٦، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٤.

سبيلاً)، فكان خير وسيلة لإثارة انتباه المتلقي إلى مضمون كلامه (عليه السلام) ولاسيما أن هذا النص جاء في أواخر رسالة بعث بها (عليه السلام) إلى معاوية رداً على رسالة له يبين فيها دعوى الاشتراك في النسب بإظهار وجوه المفاضلة.

وقوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**اسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[1]. فالجناس المضارع حاصل بين (العاجلة والآجلة) فالعين والهمزة من الأصوات الحلقية[2]، والعين ((صوت مجهور مخرجه وسط الحلق))[3]، وأفاد دخوله على اللفظة خلق معنى يختلف عن اللفظة التي بعدها، إذ أفادت الدلالة على الدنيا حيث رمز لها الإمام (عليه السلام) (بالعاجلة) والهمزة صوت حنجري يتميز بكونه شديداً ومهموساً ومرققاً[4] الذي أفاد دخوله على الكلمة بمعنى الآخرة، فأفاد ورودهما في هذا النص إحداث نغمة صوتية وتغيراً دلالياً مع التأكيد على المعنى وذلك بالتكرار الترادفي الحاصل في (العاجلة ، الدنيا) و (الآجلة ، الآخرة).

ويلحظ في هذا النص أنه جاء ختاماً للوصية لذلك نجد توجه الإمام (عليه السلام) بالأمر إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) والتسليم إيذاناً بإتمامه الغرض من الوصية من النصح والوعظ والإرشاد. فهذا النص يحمل في فضائه ثنائية الصوت والدلالة، فمن جهة الدلالة ما حمله من تضاد ومن جهة الصوت

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٢٢ (و ٣١).
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٥.
(٣) نفسه: ٨٥.
(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٢٥.

جاء الجناس المضارع وهذه مسألة طبيعية لأنه جعل آخر نص الوصية حسن الانتهاء، وكما يمثله المخطط الآتي:

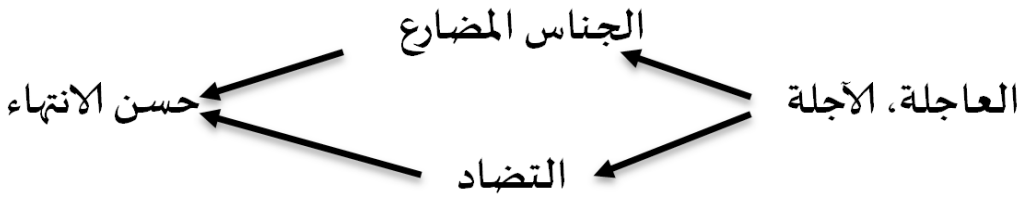




إذن فالجناس يكون ممتعاً إذا تحقق بالتناسب بين الألفاظ بعضها أو كلها وأن يكون هناك تجاوب موسيقي نتيجة تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً فإن الإذن تطرب لذلك والنفس تتشوق لذلك وتهتز أوتار القلوب له[١].

**٢ـ الجناس المصحّف :**

هو ((ما تماثل ركناه في الحروف وتخالفا في النقط))[٢] ويسمى جناس الخط[٣]، وقد ورد هذا النوع من الجناس مرتين فقط في الوصايا، وذلك في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) يصف من خبر الدنيا: «**إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ**»[٤]. تم الجناس

(١) ينظر: فن الجناس، علي الجندي: ٢٩.
(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ١/ ١٨٠، ينظر: فن الجناس: ١٤٠.
(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٢/ ٤٩٧.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٢ (و ٣١).

المصحف بين (خشونة وجشوبة) لكن هذا الجناس تكرر مرتين في هاتين الكلمتين ليزيد من قوة الايقاع والذي قدّم معنى إضافياً إلى النص إذ وقع بين (الخاء والجيم) و (النون والباء).

وكل حرفين جاءا في هذا الجناس كانا مختلفي المخارج، فالخاء صوت حلقي يوصف بأنه مهموس[١]، والجيم صوت غاري يوصف بأنه مركب مجهور مرقق[٢]، والنون ((صوت لثوي أنفي مجهور مرقق))[٣]، أما الباء فهو صوت من الأصوات الشفوية يتميز بأنه شديد مجهور[٤].

فعكس هذا التغاير في المخارج الصوتية صورة التغاير في حال هؤلاء القوم من حال الغنى والرفاهية إلى حال الفقر والعوز. وقد جاء استعمال الصيغة الصرفية (فُعُولة) متلائماً مع سياق النص لترسم مدى ثبات هؤلاء القوم واحتمالهم لهذه الصعوبات إذ دلت صيغة فُعُولة ((على الصفة الثابتة في الشيء الصادرة عنه بفعل خارجي مؤثر))[٥]، وهذا ما يعكس رأي من يقول عن الجناس بأنه فن يثير إعجابنا يمس الأذن والنفس بجمعه بين تناسب

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٥.
(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٣١.
(٣) نفسه: ١٣٤.
(٤) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦.
(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢١١.

الصورة المتأتية عن التماثل الحاصل بين اللفظتين المتجانستين[1].

**ب- جناس الاشتقاق** :

ونعني به ((أن يجمع اللفظين الاشتقاق))[2] وغاية الإمام (عليه السلام) كما يرى الدكتور حسن البصير هي إشاعة الموسيقى داخل النص[3] وأرى أن غاية الإمام (عليه السلام) لا تقتصر على إحداث الموسيقى فحسب بل كانت غايته تنصب على ايصال الدلالة بالصورة المثلى. ومما جاء في الرسائل والوصايا نوعان فقط هما:



**١ـ المطـــرّف :**

وهو ((ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول))[4]، وقد تكون الزيادة بأكثر من حرف[5]، وقد تكون في أول الكلمة أو وسطها أو منتهاها[6]، ومن أمثلته ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة في شأن عثمان بن عفان (رضي الله عنه): «**فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ**»[7].

(١) ينظر: فن الجناس: ٣٠.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٣٩٨، ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ٦٥.
(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣٤٥.
(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع: ١/ ١٧١.
(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٩٦.
(٦) ينظر: نفسه: ٣٩٥.
(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٦ (ك ١).

فالإمام (عليه السلام) يكلّم أهل الكوفة ليوضّح لهم براءته من دم عثمان بعد أن وقعت الفتنة على ذلك فالجناس المطرّف حاصل بين (استعتابه وعتابه)، وقد زيد في أول الكلمة الأولى ثلاثة أحرف والمعنى مختلف فصيغة الاستفعال لها دلالات متعددة ويتناسب مع سياق النص أن تكون دالة على طلب حصول الشيء وهي الدلالة الغالبة في معاني الاستفعال[1]، فالأولى تشير إلى إكثاره (عليه السلام) طلب العتبى عليه والاسترضاء له، أما الأخرى فتعني قلة تعنيفه وعتابه على الأمور التي لا يرضاها منه ومما زاد من قوة هذا الجناس التضاد الحاصل بين (أكثر وأقل) وكون الكلمتين جاءتا طرفاً في سجع مطرف بصوت الهاء الذي يعبر به عن الحالات الانفعالية المختلفة[2]، فعكس مدى حسرة الإمام (عليه السلام) وتوجعه لمقتل عثمان وقيام الفتنة.

فأتى هذا الجناس ليأخذ صداه في النص، فهو يحمل طاقة ايحائية تعزز الدلالة في النص، ويبعث على إشاعة الإيقاع عن طريق التأكيد، إذ يرى الدكتور حسام أحمد فرج أنّ ((مشاركة السجع والجناس في العمل من خلال ظاهرة واحدة، يخلق نوعاً من أنواع المفارقة: فالقارئ يتوهم أن الكاتب يقصد مجرد التجنيس بين كلمتين، فإذا به يرى ما بينهما من سجع، فيدعم ذلك المعنى عنده ويجعله أشد بروزاً لقارئه))[3].

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) لأصحابه عند الحرب: «**وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ**

(١) ينظر: الكتاب، سبيويه: ٤/ ٧٠.

(٢) ينظر: الهاء في اللغة العربية، د. أحمد سليمان ياقوت: ٢١.

(٣) نظرية علم النص: ١٢٠.

**أَظْهَرُوهُ»**[1]، بين (أسلموا، واستسلموا) جناس مطرّف، فمعنى الأولى مختلف عن معنى الأخرى، وقد زيد في الأخرى حرفان، فالأولى تعني الدخول في الإسلام في حين تعني الأخرى التحول والاتخاذ[2]، وهذا المعنى يتناسب مع سياق النص[3]*، ولو أمعنت النظر إلى النص لوجدت أن -الاستدراك- قد توسط ما بين المتجانسين أي إنهم لم يسلموا حقيقة ولكن ((تحولوا من الكفر الصراح، والمواجهة العلنية للإسلام إلى الكفر المبطن (النفاق)، أو اتخذوا من دخولهم الشكلي في الإسلام وسيلة لتمزيقه وتمييعه))[4].

وقد غذى استشعار التضاد السلوكي التضاد اللغوي في قوله (أسروا وأظهروا) فضلاً عن ذلك توظيفه (عليه السلام) الصفة الصوتية لصوت السين، فقد تكررت خمس مرات وهو من الأصوات الصفيرية التي يضيق مخرجها جداً عند النطق بها فتحدث صفيراً[5]، وتعد هذه الصفة من الصفات الصوتية في اللغة العربية[6]، فهو إذن من الأصوات الواضحة عند النطق به الذي كان لازمة من لوازم الوقع الدلالي إذ عبرّ عن انكشاف أمر المنافقين رغم

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٤ (ك ١٦).

(٢) ينظر: شافية ابن الحاجب: ١/ ١١١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩.

(٣)* أشارت الباحثة رملة خضير مظلوم البديري أن صيغة استفعل على هذه الدلالة جاءت في رسائل النهج مرتين فقط في الفعل (استودع) والفعل (يستريح)، ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٨٩.

(٤) الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة، دراسة دلالية، (رسالة ماجستير)، معتصم جابر محمود: ٨٤.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٣.

(٦) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٥٢، فقه اللغة العربية: ٤٧٤.

تسترهم تحت غطاء الدين، فهذا إعلان صريح من الإمام (عليه السلام) من أنّ استسلام خصومه مبني على نفاقهم وهذا يعني أن الإمام علي (عليه السلام) قد ((استثمر الأصوات المجردة من المعنى لتوليد دلالة رمزية ايحائية نتيجة استعمالها في سياق تألفت فيه لتصبح دالة ومؤثرة))[1].

**٢ـ القلـــب:**

وهو الجناس الذي تختلف الكلمتان فيه من جهة الحروف بالتقديم والتأخير[2]، فالأمر اللطيف في هذا الجناس أن الكلمة هي نفسها من جهة الحروف، إلا أن مواقع تلك الحروف تتغير بين الكلمتين مغيرة معها الايقاع والمعنى، وقد تكرر جناس القلب مرتين فقط في قوله (عليه السلام): «**وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاةَ أَمْرِ الأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلا شَرَفٍ بَاسِقٍ**»[3].

وهذا الكلام يخاطب فيه الإمام (عليه السلام) معاوية ليثبت له عدم أحقيته بولاية أمر المسلمين، وهنا جاء جناس القلب (سابق، باسق) ليوضّح له هذه المسألة، وممّا زاد من جرس هذا المقطع أنه سبق باستفهام خرج إلى معنى الإنكار التوبيخي في قوله: (متى كنتم يا معاوية)؟، وهذا يدل على أن الإيقاع تنازلي (هبوطي) فالاتساق حاصل ما بين جناس القلب والتنغيم الموجود في النص.

(١) أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: ٨٦.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٩٨، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤/ ٤٩٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

وقوله (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي (رحمه الله) قبل أيام خلافته: «**فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالاتِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ**»[1].

يدور النص في الموعظة وذم الدنيا، فجاء جناس القلب بين (مسها، سمها) معبراً عن تقلب حال الدنيا بعقد مماثلة بينها وبين (الحية) من حيث أنّ ((الممثل به أمران: أحدهما: لين المس وتماثله من جانب الدنيا رفاهية العيش ولذاته. والثاني: قاتل سمها يماثله من الدنيا هلاك المنهمكين في لذاتها يوم القيامة))[2]، فجاء جناس القلب ليوضّح ذلك وقد عززت دلالة النص ما جاء من تضاد في آخره بين (ايناس وايحاش) وهذا الترتيب يتناسب مع تقديم المغريات ثم هلاك المنهمكين بهذه المغريات وتناغم ذلك مع وجود السجع بصوت الهاء في (مسها، سمها، منها، فراقها، بها، منها) والذي يشعر المتلقي بمدى خسارته عند من غلبة الدنيا عليه.

كذلك منح الإسكان الموجود في أفعال الأمر (أعرض، ضع، كن) حالة من الاستقرار النفسي لدى المتلقي وكأنه يعطيه الفرصة للتأمل والتفكير في أحوال الدنيا. وهذا يكشف عن قدرة عالية عند الإمام (عليه السلام) للتحكم في الألفاظ والصيغ الكلامية التي يعمد إليها لضرورة لغوية يفرضها السياق،

(١) نفسه: ١٨/ ٣٤ (ك ٦٨).

(٢) الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام): ٨٠.

ولعل الدافع من وراء ذلك إفاضة قدر أوفر من الأنغام الموسيقية التي تهفو لها النفوس وتلذ بها الأسماع، فتحقق الوقع الدلالي المطلوب عند المتلقين.

فالجناس أذن لا يقل شأناً عن السجع؛ لما له من تأثير عند المتلقي من خلال أنواعه المذكورة في البحث، بل أنه ((ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه الكلي أو الجزئي في تركيب الألفاظ، فهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى))[1].



إن ورود الجناس في خطاب الإمام علي (عليه السلام) من خلال رسائله ووصاياه استطاع أن يلهب العقول ويشد القلوب لما يحققه هذا الفن من دعم صوتي ودلالي أسهم في تحقيق ما يراد الوصول إليه من ترغيب أو ترهيب، أو نصح وإرشاد، وتوجيه ووعظ.

**جيم ـ التنغيم :**

يعد التنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات لكونها تؤثر في تغير الدلالة دون أن تتغير المفردات، ومفهوم التنغيم من مصطلحات الدرس اللساني الحديث يقابله مصطلح (Intonation) ويعني الارتفاع أو الانخفاض في طبقة أو درجة الصوت، ويرتبط هذا الارتفاع والانخفاض بتذبذب الوترين الصوتين اللذين يحدثان النغمة الموسيقية[2].

---

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: ٢٨٤.

(٢) ينظر: المعنى في الدراسات البلاغية -الثراء- التمكين- التوجيه، د. مزاحم مطر حسين: ٧٥.

أي إنّ التنغيم بهذا المفهوم يدل على العنصر الموسيقي في نظام أي لغة، فهو ((موسيقى الكلام... وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام))[1] ويعرفه الدكتور أحمد مختار عمر بأنه ((تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة)). وهذا يعني أن مفهوم التنغيم ((يدور على وصف التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت المتكلم أثناء استرساله في الكلام))[2] ووصفه الدكتور محمود السعران بأنه ((المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام))[3]، وقد أطلق المحدثون عليه تسميات متنوعة منها: النبر الديناميكي أو الموسيقي[4] أو موسيقى الكلام[5]، وله وظائف متعددة تشكل مجتمعة وظيفة في ذهن المتكلم اهتزازاً عما شابهه في التركيب وهي: الوظيفة النحوية والوظيفة الصوتية، والوظيفة الدلالية، والوظيفة الانفعالية[6]. ولكل وظيفة من هذه الوظائف عمل خاص بها، فالأولى تعنى في تحديد الاثبات أو النفي في جمل لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، والثانية تعنى بالنسق الصوتي



(١) علم الأصوات، كمال محمد بشر: ٥٣٣.
(٢) المعنى في الدراسات البلاغية الثراء-التمكين-التوجيه: ٧٧.
(٣) علم اللغة، (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران: ١٩٢.
(٤) ينظر: العربية الفصحى، هنري فليش: ١٨٢.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٦٣، علم الأصوات: ٥٣٣، الكلمة، دراسة لغويّة معجميّة، د. حلمي خليل: ٤٦.
(٦) ينظر: ظاهرة التنغيم في العربية، (بحث منشور)، الاء حسين الشرع، دريد عبد الجليل: ١٤٩.

الـذي يستنبط التنغيـم منـه، والثالثـة تتمثـل في الترتيـب العـام لنغـمات المقاطـع في النمـوذج النغمـي، والأخـيرة تعكـس الحالـة الشـعورية للمتكلـم[1].

أمـا عـن أهميـة ظاهـرة التنغيـم وأثرهـا في تحقيـق الاتسـاق الصـوتي، فعـلى الرغـم مـن أنّ القدمـاء لم يدرسـوا هـذه الظاهـرة الصوتيـة عـلى نحـو مستقل فإننـا لا نعـدم مـن وجـود إشـارات عـن أهميتهـا مـن ذلـك مـا جـاء في البيـان والتبيـين مـن أن ((الصـوت هـو آلـة اللفـظ، والجوهـر الـذي يقـوم بـه التقطيـع، وبـه يوجـد التأليـف ولـن تكـون حـركات اللسـان لفظـاً ولا كلامـاً موزونـاً ولا منثـوراً إلا بظهـور الصـوت، ولا تكـون الحـروف كلامـاً إلا بالتقطيـع والتأليـف، وحسـن الإشـارة باليـد والـرأس مـن تمـام حسـن البيـان باللسـان مـع الـذي يكـون مـع الإشـارة مـن الـدّل والشّـكل والتقتّـل والتثنّـي))[2].

فكلام الجاحـظ (ت: ٢٥٥هـ) إشـارة إلى أهميـة التنغيم في السـياقات التنظيمية للمتكلـم – وفيـه التفاتـة واضحـة إلى الجـرس الصـوتي الـذي يرافـق الحركـة اثنـاء تأديـة الفعـل الكلامـي. أمـا المحدثـون فقـد أولـوا هـذه الظاهـرة الصوتيـة عنايـة بالغـة لأهميتهـا إذ يذهـب الدكتـور تمـام حسـان إلى ((أنّ التنغيـم أوضـح مـن الترقيـم في الدلالـة عـلى المعنـى الوظيفـي للجملـة... لأن مـا يسـتعمله التنغيـم مـن نغـمات أكثـر ممـا يسـتعمله الترقيـم مـن علامـات، كالنقطـة، والفاصلـة، والشرطـة، وعلامـة الاسـتفهام، وعلامـة التأثـر، وربـما كان ذلـك لسـبب أخـر))[3]، فهـذا هـو الـذي جعـل التنغيـم أوضـح مـن الترقيـم. ويذهـب بعـض الباحثـين إلى

(١) ينظر: نفسه: ١٤٩.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ: ١/ ٧٩.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢٢٦-٢٢٧.

أن للتنغيم تأثيراً مهماً في (علم المعاني)؛ لأنه يعد عاملاً مهماً في التمييز بين الجمل الخبرية والانشائية لأن الجمل الخبرية تكون نبرتها العامة ميالة إلى قطعية الحدوث وإلى الصرامة في تقرير الأحداث. أما الانشائية فإن نبرتها تميل إلى نوع من التلطف[1]، وهذا التغير في التنظيم يتطلب ((تغيراً في الحالة النفسية والانفعالية للمتكلم، لأن من غير المنطقي أن تكون الحالة الانفعالية للمتكلم في الحالين واحدة وكيف يمكن أن تكون حال الإنسان وهو يقرر الحقائق والوقائع كحاله وهو يريد أن يؤثر ويستجلب اهتمام السامعين؟! لا يمكن أن يكون الأمر في الحالين واحداً. وهذا يقودنا إلى الإقرار بأثر التنغيم في تصنيف الجمل إلى خبرية وانشائية))[2].



وبما أن التنغيم يعبر عن الحالات الانفعالية المختلفة أدى ذلك إلى تنوع النغمات التي تنسجم معها، وعلى ذلك اختلف الباحثون في أنواع النغمات فهناك من جعلها ثلاثة أنواع[3] وهذه هي اشهر الأنواع (النغمة المستوية، والنغمة الهابطة، والنغمة الصاعدة). لكن الدكتور سعد مصلوح جعلها أربعة أنواع (النغمة المستوية، النغمة الهابطة، النغمة الصاعدة، النغمة الهابطة الصاعدة)[4]، وهناك من يجعلها على خمسة أنواع وهي[5]:

(١) ينظر: المعنى في الدراسات البلاغية الثراء-التمكين-التوجيه: ٨٢-٨٣.
(٢) نفسه: ٨٤-٨٥.
(٣) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: ١٥٣-١٥٤، المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد: ٢٥٨، مناهج البحث في اللغة: ٢٠٠.
(٤) ينظر: أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية (أطروحة دكتوراه)، مشتاق عباس: ٢٣٣.
(٥) ينظر: الاصوات اللغوية، زين الخويسكي: ١٥٣.

النغمة المستوية، وتشمل:

(أ) نغمة مستوية منخفضة.

(ب) نغمة مستوية مرتفعة.

(جـ) نغمة مستوية متوسطة.

النغمة الصاعدة.

النغمة الهابطة.

النغمة الهابطة الصاعدة.

النغمة الصاعدة الهابطة.

وسيقوم البحث على دراسة النغمات الثلاث (المستوية، الصاعدة، الهابطة)؛ إذ إنّ دراسة ظاهرة التنغيم عند المحدثين في تطور مستمر وقد لا تقف عند حدود هذه التقسيمات، فهذه التقسيمات ((لا تنتهي عند حدّ ثابت، فالتنغيم درجات لا حصر لها، ولا تخضع لهذا النمط القسريّ من التقسيم، ما دام يعبّر ... عن غرض المتكلم وحالاته النفسية والانفعالية))[1]. كذلك في النظر لأنواع التنغيم نجد أن هذه الأنواع هي الأكثر وجوداً في تقسيمات الباحثين. ولبيان الأثر الذي يحدثه التنغيم في تحقيق الترابط والاتساق الصوتي، سنكتفي بإيراد نماذج لأنماط التنغيم آنفة الذكر للوقوف على الغرض الرئيس من النص.

(١) قضايا صوتية في النحو العربي (بحث منشور)، د. طارق عبد عون الجنابي: ٣٧٤.

**(أ) النغمة المستوية** :

تعني النغمة المستوية ((وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة))[١]. أي إنّ النغمة المستوية هي النغمة الثابتة؛ لأن الثبات على المستوى يولد عبر أدائه نغمة مستوية (ثابتة)[٢].

وهذا النوع من التنغيم يتمثل في معاني التقرير والخبرية، والتذكير، والنصح، والإرشاد، والنداء المحض، وطلب الانتباه[٣]، وتكثر النغمة المستوية في نصوص الرسائل والوصايا ذات طابع النصح والإرشاد، من ذلك ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ،وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ))[٤].

فنلحظ في هذا النص من وصيته أن تراكيبه سارت على نمط واحد ونسق موسيقي ثابت إذ خلت هذه التراكيب من (الوقف)؛ لأن التراكيب التي تحتوي على الوقف تقتضي التغيير في المعنى، لتأثرها بالتنغيم الموجود فيها[٥]. ويمكن أن نوضح مستوى التنغيم في النص بالمخطط الآتي:

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٥٨.
(٢) ينظر: أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية: ٢٣٣، الاتساق في نهج البلاغة: ٤٠.
(٣) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزاوي: ١٥٧.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦٢ (و ٣١).
(٥) ينظر: أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية: ٢٣٥.

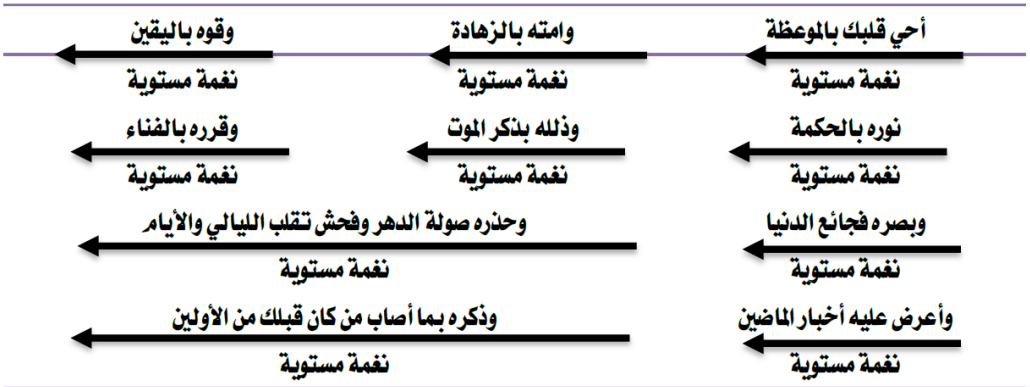




فهذا الثبات في مستوى التنغيم قصده الإمام (عليه السلام) ليخلق جواً من الهدوء والاستقرار النفسي عند المتلقي، وهو يبث له تلك المواعظ والنصائح ممّا يساعد على بقائها في ذهن المتلقي ولاسيما أن هذه هي الغاية المرجودة من الوصية.

ونلحظ أيضاً في النص الآنف الذكر تداخلاً بين الاتساق الصوتي والاتساق النحوي الذي سوف نتناوله في موضوع الإحالة بالضمائر ومن الربط بين نوعي الاتساق تبين لنا أنّ النص لا يجيز وجوداً مستقلاً لعناصره، إذ لا تكون القيم الجزئية ذات شأن كبير إلا باشتراكها في القيمة الكبرى الناتجة من ذلك التكوين الأكبر. وهذا ما دفع (فان دايك) إلى وصف التتابعات الجملية في النص بأنها اشبه ما تكون بسلسلة المفردات في الجملة التي تحكمها قيود الربط والترابط الجملية، وبتر جملة من مجموعة التتابعات الجملية يؤدي إلى غموض معناها[1]. إذن فقيمة كل جملة في النص السابق متأتية من ترابطها مع الجمل الأخرى الموجودة في في النص، فإذا نزعنا أيّاً منها من السياق

(١) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٧٣-٧٤.

فإنها لا تؤدي الأثر ذاته التي تؤديه في وجودها داخل النص. ومثل ذلك في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: «**فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَ إِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي**»[1].

خدمت النغمة المستوية النص المذكور لتحقيق حالة الاستنفار لدى المسلمين على اختلاف أحواله (عليه السلام) (ظالماً- مظلوماً) (باغياً- مبغياً عليه) (محسناً-مسيئاً) لأن ((مراده عليه السلام يحصل على كلا الوجهين، لأنه إنما أراد أن يستنفرهم، وهذان الوجهان يقتضيان نفيرهم إليه على كل حال))[2]، فنجد أن هناك ترابطاً بين الاتساق المعجمي المتمثل بالتضاد والاتساق الصوتي المتمثل بالنغمة المستوية، إذ انعدم (الوقف) في النص الذي يوجب تغيراً في المعنى، لكن الإمام (عليه السلام) قصد ثبات المعنى في النص، فكان وجود النغمة المستوية متوافقاً مع مقصدية الإمام (عليه السلام) فكان وجودها في النص على النحو الآتي:

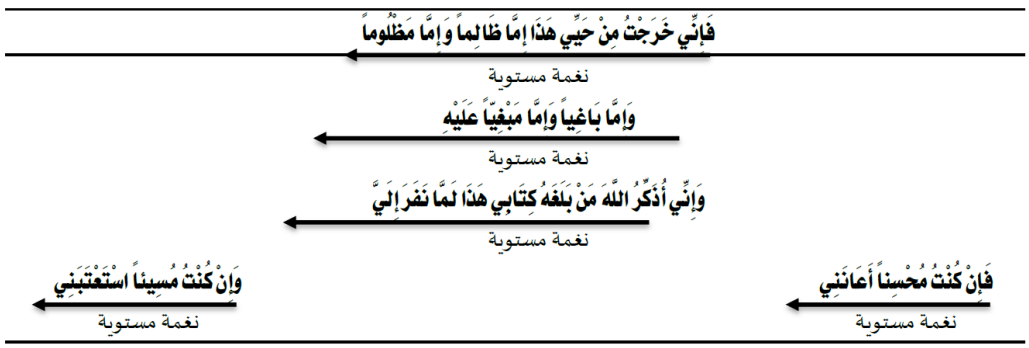


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤٠ (ك ٥٧).
(٢) نفسه: ١٧/ ١٤٠.

فكان وجود النغمة المستوية متناسباً مع الغرض الذي سيق النص من أجله وهو الإخبار.

**(ب) النغمة الصاعدة** :

سميت النغمة الصاعدة بهذه التسمية لصعودها في نهاياتها[1]، ((وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علواً منها))[2]، فهي تتطلب وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر أو مستوية تليها درجة اكثر علواً منها[3]. ويكثر وجود هذه النغمة في الجمل الاستفهامية التي تبدأ بالهمزة وهل، والجمل المعلقة (غير التامة) لارتباطها بما بعدها[4]، ومنها جمل الشرط أو القسم.

وتوجد النغمة الصاعدة كذلك في الأمر والترغيب والتعجب والإثارة والضراعة والنهي المحض[5]. ويمكن أن نلحظ هذه النغمة في كتابه (عليه السلام) إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عاملة عبد الله بن عباس على البصرة: «**وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ؛ ضَئِيلَ الأَمْرِ**»[6].

(١) ينظر: علم الأصوات: ٥٣٦.
(٢) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٥٨.
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، د. زين الخويسكي: ١٢٤.
(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٠، مناهج البحث في اللغة: ٢٠٢-٢٠٣.
(٥) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٧.
(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٨ (ك ٢٠).

عبّر التنغيم الصوتي عن مراد الإمام (عليه السلام) خير تعبير، إذ أراد أن يبلغ التهديد أقصى درجاته في نفس زياد ابن أبيه، فنجد حضوراً مميزاً للنغمة الصاعدة في جواب القسم المؤكد باللام ونون التوكيد الثقيلة التي تعزز للمتلقي وقوع ذلك الحدث وإلى الصرامة في وقوعها، فضلاً عن ذلك جاء السجع المرصع متناغماً مع النغمة الصاعدة التي سارت في النص على النحو الآتي:



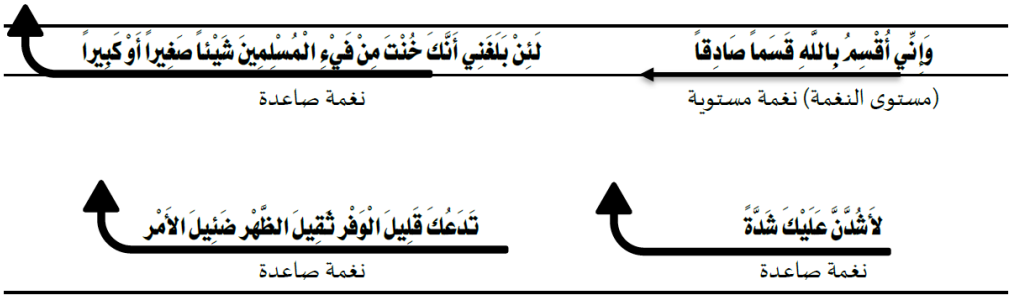


إذ بدأ الإمام (عليه السلام) نصه بنغمة مستوية ثم تلتها نغمة صاعدة، وهذا التغيير في مستوى النغمات هدفه إثارة المتلقي وشده إلى النص عن طريق التنوع في أساليب الكلام وذلك يستدعي وجود التنغيم الكفيل ببيان نوع الأداء للتراكيب، فتبدأ النغمة الصاعدة من قوله: ((لئن بلغني ...))، فهي تمثل مرحلة تغيير المعنى نحو التهديد.

ويعتضد مع الاتساق الصوتي (التنغيم) في شحن الدلالة المعنوية للنص (الاتساق المعجمي) المتمثل في التكرار الجزئي في قوله (أقسم، قسماً) و (لأشدنّ، شدة) والتضاد في قوله: (صغيراً او كبيراً) ليقدم لنا نصاً مترابطاً ومتسقاً اتساقاً جمالياً بما يحققه من الانطباع النفسي عند المتلقي إثر التنوع النغمي الحاصل فيه. وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب: «**وَذَكَرْتَ**

**أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ»**[1].

حوى النص تلويناً موسيقياً بتنوع النغمات التي اشتملت عليها هذه التراكيب اللغوية متضمناً بذلك أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى معنى مجازي وهو (الاستبعاد والافتخار)، فيعد ((التنغيم فيصلاً مهماً يقف إلى جانب عناصر السياق والمقام ليميز الأغراض المختلفة للجمل الاستفهامية))[2]. ويمكن أن نوضحّ هذه التلوينات الموسيقية للنغمات بالمخطط الآتي:

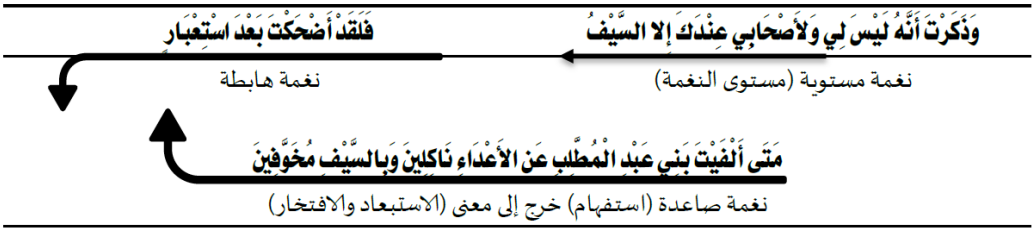


فنلحظ أنّ النص بدأ بنغمة مستوية لأن فيه إعادة لكلام معاوية ثم حصلت الانعطافة المعنوية بخروج الكلام إلى معنى السخرية والاستهزاء، فجاءت النغمة الهابطة منسجمة مع هذا المعنى، محققة بذلك بعداً دلالياً في الكلام بخروج الاستفهام إلى غرض الفخر ببني عبد المطلب واستبعاد خوفهم من سيوف الأعداء، فكان من الطبيعي استعمال الإمام (عليه السلام) للنغمة الصاعدة لتنسجم وتتناسب مع الغرض الذي سيق الكلام لتحقيقه.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).

(٢) المعنى في الدراسات البلاغية الثراء-التمكين-التوجيه: ٨٩، وينظر: ظاهرة التنغيم في العربية: ١٥٨.

وهنا يبرز لنا تفنن الإمام (عليه السلام) في تنويع أسلوب كلامه ما أسهم في جعل النص متسقاً اتساقاً صوتياً واضحاً.

**(ج) النغمة الهابطة**:

تخالف النغمة الهابطة النغمة السابقة (الصاعدة) في درجة نطقها وإتجاهها، فتعني ((وجود درجة عالية في مقطع أو اكثر تليها درجة أكثر انخفاضاً))[١] وهبوط هذه النغمة في نهايتها سببٌ في وصفها بهذه الصفة[٢]. ويكثر وجود هذه النغمة في الجمل التقريرية التامة المعنى، وجمل الطلب ولا سيما الصادرة من الأدنى إلى الأعلى، والاستفهام غير المبدوء بـ (هل) والهمزة[٣]، وتتمثل في معاني الانكار، والتفجع، والتمني، والتهكم، والتوبيخ، والدعاء[٤].

وتكثر هذه النغمة مع الكتب الموجهة إلى أعداء الإمام (عليه السلام) ومناوئيه او من هو أدنى منه منزلة إدارية، وقد ارتسمت هذه النغمة في كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه: «**فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ**»[٥]. نستشعر هنا خروج

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٥٨.
(٢) ينظر: علم الأصوات: ٥٣٤.
(٣) ينظر: علم الأصوات: ٥٣٥-٥٣٦، مناهج البحث في اللغة: ٢٠٢.
(٤) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٧، المعنى في الدراسات البلاغية-الثراء-التمكين-التوجيه: ٩٠.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٩ (ك ٢١).

الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية فالاستفهام الأول في قوله (اترجو) خرج إلى معنى الإنكار التوبيخي والاستفهام الآخر الذي حذف منه أداة الاستفهام في قوله (وَتَطْمَعُ)، فتقدير الكلام ((وأتَطْمَعُ...))، فقد خرج إلى معنى الاستهزاء والسخرية وهذه الأساليب تستوجب وجود نغمة هابطة ويمكن توضيحه على النحو الآتي:

فلا يكفي وجود الوقف لبيان المعنى والمقصود من النص، لأن ((حضور الوقف في النص لا يكفي لفهم النص فهماً كاملاً بل يستدعي وجود التنغيم الكفيل ببيان نوع الأداء للتركيب المميز له مما سواه في المعنى مع تماثل المبنى))[1]، حتى إن وجود التنغيم أحياناً أهم من وجود أداة الاستفهام فقد تكون الأداة موجودة لكن معنى التركيب يبقى متأرجحاً بين الاستفهام والتقرير حتى يأتي التنغيم فيكون فيصلاً حاكماً بين المعنيين[2]. ومن النغمة الهابطة أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: «**فَسُبْحَانَ اللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ**

(١) أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية: ٢٤١.

(٢) ينظر: المعنى في الدراسات البلاغية-الثراء-التمكين-التوجيه: ٨٦-٨٧.

**بِالْمَعَادِ! أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ، وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ»**[1]. ضم النص المدروس تلوينات موسيقية لأنه ((بعلو درجة الصوت وانخفاضها، وجنس صاحب الصوت إن كان ذكراً ام أنثى، وشدة الصوت؛ بالجهر والهمس، تتحدد لنا موسيقى الكلام وتتنوع وفقاً لذلك))[2] فارتسمت هذه التلوينات الموسيقية كما في المخطط الآتي:

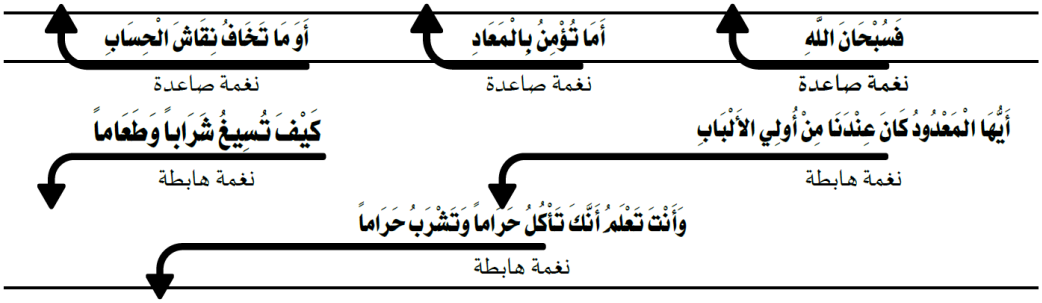


فيسبق ظهور النغمة الهابطة وجود النغمة الصاعدة التي تمثلت بأسلوب التعجب سواء الصريح (فسبحان الله) أو من الاستفهام المجازي التعجبي الذي يحمل في طياته تعجبه (عليه السلام) من حال هذا العامل الذي انغمس في تناول المحرمات متناسياً بذلك المعاد والحساب في يوم القيامة، والمناسب لمعنى الاستفهام الذي يجيء للتعجب أن تكون نغمة الأداء صاعدة لتؤدي إلى ايصال هذا المعنى. وحصل التبدّل في النغمة من الصاعدة إلى الهابطة؛ لأن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٧ (ك ٤١).
(٢) الأصوات اللغوية، د. زين الخويسكي: ١٢٤.

المعنى انتقل من التعجب إلى السخرية والاستهزاء، فالنغمة الهابطة ملائمة لهذا المعنى.

**ثانياً: الاتساق المعجمي.**

يعد الاتساق المعجمي من أنواع الاتساق التي وضعها (هاليداي ورقية حسن) للربط اللفظي، والقصد منه بيان كيفية ترابط الِألفاظ بوصفها عناصر في جملة معينة لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى جملة أخرى[1].

فالربط المعجمي ((هو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر؛ أي هو ذلك الربط الإحالي Phoric Cohesion الذي يقوم على مستوى المعجم Lexis))[2].

وقد وضّح علماء اللغة النصيون كيفية حدوث الربط على مستوى المعجم، فأشاروا إلى أنّ الربط يحصل بوساطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية وذلك يتم عندما ((تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص (Topic) وتكوينه))[3]. إذ يوفر المخزون اللغوي ((للمؤلف خلال لحظة الإبداع طائفة من التنسيق ترتسم في ذهنه على المحور التزامني، والألفاظ التي يختارها تأتلف فيما بينها وتنتج على محور النظم، وبهذا تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجمية الذاتية إلى دلالة جديدة يحددها ائتلافها مع المكونات اللفظية الأخرى ضمن السياق الجديد))[4].

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ١٠٥، لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٢٤.
(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل: ١٠٥.
(٣) م.ن.
(٤) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٨.

والاتساق المعجمي يختلف عن الاتساق النحوي في كون الأول لا يبحث عن العنصر المفَترض أو المفترَض، ولا عن علاقات نحوية تشكل نسيج النص[1] بل يتحقق الاتساق المعجمي بوسائل معينة وهي التكرار والمصاحبات المعجمية؛ إذ يمثل المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات عماداً للاتساق المعجمي، ((فكلما ازدادت الوحدتان المعجميتان قرباً في النص ازداد الاتساق الذي تحققانه قوّة ومتانةً، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوحدة المعجمية التي تدخل في علاقة اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور أو عدم قيامها به))[2]. وقبل الولوج في بيان وسائل الاتساق المعجمي وأثرها في تحقيق الاتساق النصي لابد من بيان الفارق بين دراسة المفردة في المعجم وبين دراستها في علم النص؛ لأن هناك تبايناً تاماً بينهما ((فالوحدة الدلالية في المعجم نتاج تجريد من معانيها النصية، ويصحُ على العكس من ذلك أن يفسر كل معنى نصي بأنه تحقيق (تفعيل) اتصالي لمعنى معجمي))[3]. وفيما يأتي عرض لأهم وسائل الاتساق المعجمي، مع بيان أثرها في تحقيق تماسك النص وترابطه واتساقه.



**١ـ التكـــرار.**

التكرار عبارة عن تشاكل لغوي يلفت الانتباه، ومظهر من مظاهر الاتساق المعجمي، إذ يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، مما

(١) ينظر: لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٢٤.
(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٩.
(٣) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، (بحث منشور)، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة: ٥٩.

يحقق اتساقاً وترابطاً للنص، فالعناصر المكررة تحافظ على بنية النص وتغذي الجوانب الدلالية والتداولية فيه؛ بتكاثر الألفاظ وكثافتها مما يحقق اتساق النص وتماسكه، وإعادة تأكيد كينونته واستمراريته واطراده[١]، وقد حظي مبحث التكرار بعناية كبيرة من علماء البلاغة العرب و ((تشير الدراسات البلاغية المستفيضة لوظيفة التكرار إلى أنه يأتي لأغراض متعددة أهمها: التعظيم، والتهويل، والوعيد، والتهديد، والتعجب، والتنبيه، والأمن من اللبس أو السهو، وعند تعدد المتعلق، لذا كانت دراسة البلاغيين للتكرار، وإن كانت تخدم الدراسة النصية إلا أنها تختلف عن دراسة علماء النص له، إذ أنّ النصيين لا ينظرون إلى الوحدة المعجمية وما تحمله في ذاتها؛ بل بحسب موقعها، ودورها في تماسك النص واتساقه، مما يسهم في ثبات النص، واستمراريته))[٢].

فقد نال مصطلح التكرار عناية علماء النص، لأنه مظهر من مظاهر الاتساق المعجمي الذي يؤدي إلى اتساق النص، وقد تعددت تعريفاته؛ ولكن من قراءة دقيقة متمعنة يمكن أن نقول: إنّ التكرار النصي هو ((إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة))[٣]. فيشير هذا التعريف إلى الوظيفة النصية للتكرار.

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٣.

(٢) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد منيف: ٢١-٢٢.

(٣) الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوستة: ١٢٩.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب للإمام علي (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانتفاعي بهذا الكلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»[1].

وقد اتفق العلماء قدماء ومعاصرون على شروط التكرار منها: أن يكون للفظ المكرر نسبة ورود عالية في النص[2]، وأن يساعد رصده على فك شفرة النص وإدراك أثره الدلالي فيه، أو في النص الواحد[3]. وقد يكون التكرار ضاراً للنص الأدبي إن لم يحسن استعماله، كذلك أنّ الإكثار منه قد يظهر الفقر اللغوي لدى الكاتب، وينتج عنه عدم قبول النص لعدم تماسكه[4].

أمّا عن أثر التكرار النصي، فهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي على مستوى النص[5]، وهو من الأساليب التي يستعان بها لتأكيد القول وتثبيته، حينما يستلزم المقام ذلك[6] ويعد من الروابط التي تصل بين العلاقات

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٠ (ك ٢٢).
(٢) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٢٢.
(٣) ينظر: علم اللغة النصي: ٢/ ٢٢.
(٤) ينظر: نظرية علم النص: ١٠٨.
(٥) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٤.
(٦) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن حبنكة: ٢/ ٧١..

اللسانية[١] ومن هنا فإن وظيفة التكرار لا تقف عند كونه ظاهرة موسيقية تستلذها الأسماع وترتاح لها النفوس بل إنه يؤدي دوراً بنائياً في عملية الربط بين أجزاء النص محققاً ضرباً من التلاحم والاتساق والوحدة، لأنّ ((تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل في الربط (من حيث كان التكرار خير وسيلة للتذكير بما سبق))[٢]. وعليه فالتكرار هو المعيار الذي يميز بين النص واللانص[٣].



ولكن لا يقف أثر التكرار على وظيفته النصية، إذ إنّ ((تداخل علوم النص مع البلاغة الجديدة، جعل للتكرار وظيفته الاتصالية الإقناعية فهو وسيلة لغوية من وسائل الحجاج، خاصة في الحجاج العربي، وهو بشقيه اللفظي والمعنوي يقوم بدوره في إقناع المتلقي والتأثير فيه واستمالته، وقد يصل إلى الإذعان له؛ وذلك بشدة القرع إما على اللفظ أو المعنى))[٤]، فهو ((أقوى طرق الإقناع وخير وسائط تركيز الرّأي والعقيدة في النفس البشرية، على هينة وفي هوادة دون استثارة لمخالبها بالجدل أو المشادّة))[٥]. والمتعارف عليه والمشهور الأسام الآتية[٦]:

---

(١) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة: ١٠٠.

(٢) مقالات في اللغة والأدب: ١/ ١٨٩.

(٣) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٢٥.

(٤) م.ن.

(٥) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي: ٢١٠.

(٦) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٠٦-١٠٧، نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٤١-١٤٧، أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية في مقالات د. خالد المنيف: ٢٣.

(أ) التكرار الكلي، (ب) التكرار الجزئي، (جـ) التكرار الدلالي.

كذلك يذهب بعضهم إلى أنّ ضبط الحاجة للتكرار في أي نص أمر عسير، بل من غير الممكن؛ لأنه أمر يتصل بإقرار المستمعين، ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة ويترك هذا الضابط لبصر المتكلم بالمقام[1].

وفي تتبعي لصور التكرار في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه وجدت أنّ التكرار بأنواعه وصوره المختلفة يمثل ملمحاً أسلوبياً، لا يكاد تخلو أي رسالة أو وصية منه وفيما يأتي محاولة لدراسة تأثيره في الاتساق النصي.



### (أ) التكرار التام أو المحض .

هو ((إعادة العنصر المعجمي نفسه))[2]. أو هو ((خطاب يكرر كلًا ... نفس الصورة الصوتية))[3]. وهذا يعني تكرار الكلمة نفسها كما هي من دون أي تغيير، أو تكرار الجملة نفسها كما هي بلا تغيير في مركباتها التكوينية ونعرض فيما يأتي أنواع التكرار الكلي (المحض). منها تكرار الاسم وتكرار الفعل وتكرار الجملة أو التركيب لبيان أثر كل منها في تحقيق الاتساق النصي.

قال الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لأبنه الحسن (عليه السلام): «**وَ اعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَ أَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي**»[4]، فقد تكرر الضمير (هو) في هذا النص أربع مرات،

(١) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد: ٨٦-٨٧.
(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد: ٨٤.
(٣) بنية اللغة الشعرية: ٥٢.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ (٧٤و ٣١).

فلو كان النص بدون تكرار الضمير لأصبح: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأن الْخَالِقَ الْمُمِيتُ وأن الْمُفْنِيَ الْمُعِيدُ وأنّ الْمُبْتَلِيَ الْمُعَافِي)؛ فثمة فارق دلالي بين النصين، فالنص من دون تكرار الضمير لا انقطاع فيه وإنما نجد فيه إطالة في المعطوفات التي ترجع كلها للفظ الجلالة (الله). أما مع تكرار الضمير فقد حقق دلالات إضافية أخرى من أهمها:



١- التأكيد على أن هذه الصفات هي لله لدفع الشك أو التوهم أنها لغيره أو مما شاركه فيها غيره.

٢- إن تكرار الضمير يؤكد مسألة عقائدية وهي إنّ صفات الله عين ذاته، فالخالق هو المميت والمفني هو المعيد ...أي إن الله عز وجل لا يختص بواحدة دون أخرى بل إن هذه الصفات كلها من صفاته، وقد أثرى تكرار الضمير دلالة التضاد الطاغية في السّياق، التي تمثلها الألفاظ:

(الموت × الحياة ، الفناء × الإعادة، الابتلاء × المعافاة)

التي جاءت لتؤكد القدرة اللامتناهية لله عزّ وجلّ، وقد أغناها في هذا حرف التوكيد (أنّ) الذي تكرر أربع مرات أيضاً، فساعد ذلك على إشاعة الهدوء والثبات في النص الذي توحي به الجملة، نتيجة إحكام السيطرة الإلهية والقدرة العظيمة على فعل المتضادات، فالله سبحانه هو المحيي والمميت، والمفني والمعيد والمبتلي والمعافي. ومن أمثلته أيضاً قوله (عليه السلام) في رسالة بعث بها إلى معاوية يوم بويع بالخلافة: «**وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وَأَقْبِلْ**»[1]، أراد الإمام (عليه السلام) إخبار

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٦٨ (ك ٧٥).

معاوية بأن ما جرى من أحداث قد أدبر وولّى ووقع حسابه على الله سبحانه وتعالى وحده، فلا فائدة من الكلام فيه، والمهم هو الحاضر والمستقبل والاهتمام بأمور المسلمين وشؤونهم، والعمل على قمع الفتنة بتوحيد الأمة ولم الشمل، وهكذا جاء تكرار الفعلين (أدبر وأقبل) تنفيراً له عن الخوض في أمور تشتت وحدة الإسلام وترغيباً له في الإقبال توحيداً للصف والكلمة. وقد عززت دلالة التكرار بوساطة دلالة التضاد والمستوحاة من افعال تمثل السّير في اتجاهين متعاكسين[1]، كما يوضحها المخطط الآتي:



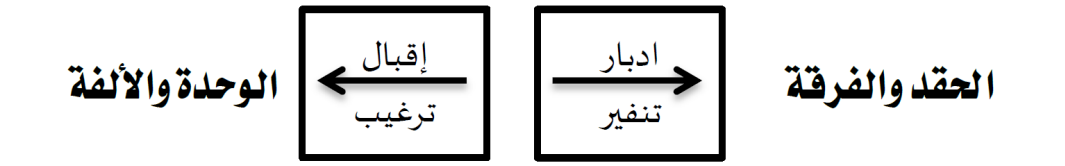


ومن تكرار التراكيب قوله (عليه السلام) في وصيته للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه واله) يَقُولُ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ. اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاةِ،**

(١) ذكر ابن منظور أن القبل نقيض الدّبر، ينظر: لسان العرب، (مادة قبل): ١١/ ١٣ وأن الدّبر نقيض القبل، ينظر: نفسه، (مادة دبر): ٥/ ٢٠٩.

**فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا. وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ»**[1].

إن تكرار تركيب (الله الله في) في حقيقته إلحاح إلى أهم مقصود في النص، وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في النص ويكشف عن اهتمام الإمام (عليه السلام) بها وهو يعبر عن الباعث النفسي المتمثل في إعادة ما وقع في قلب الإمام ولصق بنفسه فاتجهت همته إليه وعنايته وهو ان الله سبحانه هو المتصرف في الأمور؛ ورضاه هو الغاية والهدف وفي تكرار لفظ الجلالة في هذا التركيب يضفي على نفوس المتلقين جواً من الاستمالة والتأثير والإقناع؛ إذ إنّ تأمل ((مجموعة التكرارات التي سجلت علامة فارقة في جسد النص وهي تكرارات لفظية تتمركز حول لفظ الجلالة المكرر في قوله (الله الله)، فقد كرر هذا التركيب ست مرات على التوالي مقترناً في كل مرة بحرف الجر نفسه الذي يأتي بعده وهو (في) الذي يصب كل مرة في قيمة إنسانية وإسلامية تختلف عن التي تليها، وقد جيء بهذا التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم التأكيد عبرها على المفاهيم التي أوجزها الإمام (عليه السلام) وهو على فراش الموت، لافتاً نظر السامع وانتباهه ومستدعياً اهتمامه من خلال هذا التركيب وهي وصية لا تنحصر بالمخاطبين الرئيسين وهما ولداه الحسن والحسين، بل تتعداهما إلى جميع ولده وأهله، لتنفتح بعد ذلك زمكانياً على كل من بلغه كتابه (عليه السلام)، وقد أرتأى الإمام أن يسلسل موضوعاته التي ركز عليها في نسق التكرار لتوكيد لفظي (الله) بحسب الأولوية التي وصفها، فقد انتقل

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٥ (و ٤٧).

بعد توصيته بتقوى الله، وصلاح ذات البين، ونظم الأمر، على طريقة الوصية العادية إلى وصايا مركزة سعى إلى ترسيخها من خلال إحاطتها بنسق تكراري واحد))[1].

ولعل السبب في التوكيد اللفظي للفظ الجلالة (الله) مع كل تركيب إشارة إلى هذه الثنائية التي تدور عليها فكرة الوصية، إذ يبرز النص نوعين من العلاقات الأولى: علاقة الناس ببعضهم (الأيتام، والجيران)، والأخرى: علاقة الناس بربهم من خلال (القرآن، والصلاة، وبيت الله الحرام (الكعبة)، (والجهاد)[2] وكما في المخطط الآتي:



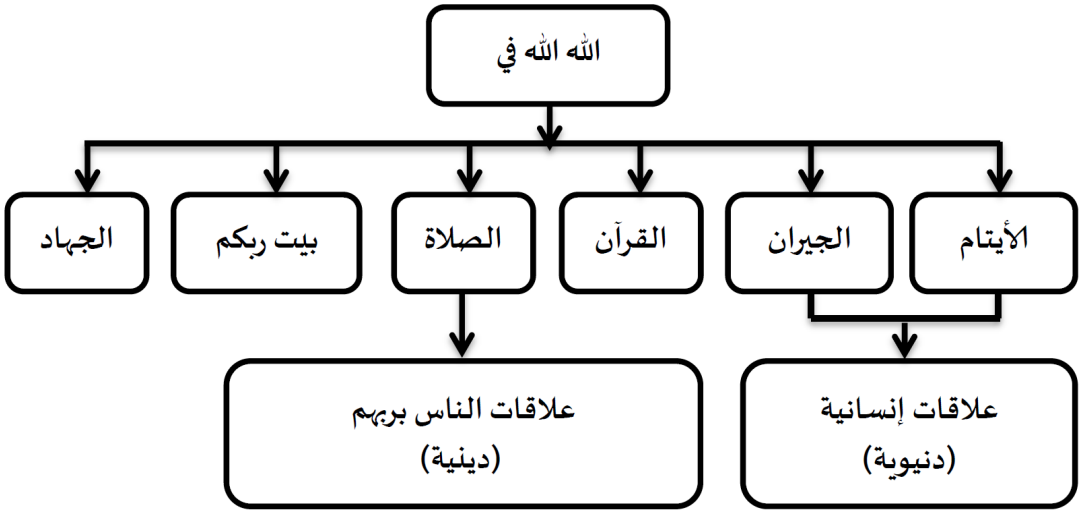


(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف: ٧٠.

(٢) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: ٩١.

لقد رصفت ظاهرة التكرار في هذه الوصية بطريقة مترابطة ومتسقة مع مركز مهم في النص تأكد وجوده وهو لفظ الجلالة (الله) ((فالصلاة والقرآن والجهاد وبيت الله (الكعبة) والأيتام والجيران تتجانس مع ما يحققه لفظ الجلالة من حضور روحي يستدعي استحضار القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية التي وجدت من أجلها ظاهرة التكرار في النص))[1]، وقد أثرت فيه من خلال ما أشاعته من جو ((من التلذذ بذكر لفظ الجلالة، ويتضمن التكرار تعظيم الخالق أيضاً))[2].



ومن هنا يتضح أن التكرار اللفظي أسهم في تحقيق علاقات متبادلة بين العناصر المكوّنة للنص. ومثل هذا التكرار نجده في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني: «**واحذر كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وْاعْتَذَرَ مِنْهُ**»[3].

تكررت جملة (واحذر كل عمل) في بداية كل وصية من الوصايا الثلاث، فكان التكرار ((أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه))[4]. وأفادت ((تمكين المعنى وتقريره في نفس المتلقي، ففي كل وصية من الوصايا الثلاث يرسم الإمام صورة موحية عن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، فتكرار العبارة هنا يستخدم للترابط أو التماسك بين أجزاء النص، إذ إنه يعمل على جعل

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: ٧١.
(٢) اساليب البديع في نهج البلاغة: ٩١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤١ (ك ٦٩).
(٤) التكرار، د. حسين نصار: ٧٥.

النص قادراً على تكوين تركيب متناسق، ومن خلال ذلك يشعر المتلقي أن النص وحدة متكاملة مترابطة من ناحية الموضوع والبناء أيضاً))[1].

فقد أدى التكرار التام لجملة (واحذر كل عمل) أثراً كبيراً في انطباع هذه الجملة في ذاكرة المتلقي مما يجعله مستعداً لتلقي ما يحذر منه من عمل، فضلاً عن ذلك فقد ساعد التضاد الموجود في النص على دعم الدلالة المعنوية للنص التي توزعت على النحو الآتي:

**يرضاه صاحبه لنفسه × يكره لعامة المسلمين**

**يعمل به في السر × يستحي منه في العلانية**

لقد تمكن الإمام (عليه السلام) – وهو يجمع بين المتضادات في هذا النص – من تبيان صورة العمل الحقيقي الصالح الذي يوصي به؛ إذ نجد النص يدور في حركة متناقضة، مما يحقق الهدف الأساس منه وهو التحذير من كل الأعمال التي تقلل من قيمة الإنسان في تعامله مع الآخرين. يُزاد على ذلك توظيف الأفعال المضارعية في النص التي أفادت انفتاح النص زماناً ومكاناً ليشمل كل متلقٍ لكلامه (عليه السلام) ولم يخصه بالمخاطب الذي وجّه إليه نص الكتاب.

**(ب) التكرار الجزئي.**

يؤدي التكرار الجزئي للعنصر المعجمي أثره في اتساق النص على صعيدين: صوتي ودلالي. أمّا الاتساق الصوتي فيكون بتكرار حروف معينة تولد إيقاعاً

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٣٤.

معيناً في النص الذي يسهل على المتلقي عملية استدعاء الألفاظ، وأمّا الاتساق الدلالي الذي يفيده التكرار الجزئي فهو ما يحققه من ارتباط الوحدات النصية المكونة للنص بعضها ببعض[1]، ذلك أنّه ((يشير إشارة خالصة إلى عموم الترابط المفهوميّ مع تجنب الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار))[2].

وقد برز التكرار الجزئي في نصوص الرسائل والوصايا بروزاً يلفت النظر، ومعتمداً عليه في إظهار المعاني وتسليط الضوء على قضايا النصوص المهمة وهذا يكشف لنا اهتمام الإمام (عليه السلام) وحرصه على توضيح كل محور من محاور حديثه.



ومن أمثلته في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه ما جاء في عهد له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: «**صَلِّ الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ**»[3].

يحفل هذا النص بنوعي التكرار الكلي والجزئي؛ إذ تكررت المادة (صلى) ثلاث مرات (صل، الصلاة، لصلاتك)، كما تكررت مادة (وقت) أربع مرات (لوقتها، المؤقت، وقتها، عن وقتها)، فعلى الرغم من تعّدد الصيغ لكل منها فإنّ دلالتها المركزية واحدة ورئيسة في النص ويؤكد أثر التكرار الجزئي في تحقيق الترابط؛ وهكذا يمثل الربط المعجمي الممتد في النص عبر جذر الكلمة عاملاً من عوامل اتساق النص معجمياً.

(١) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، د. زاهر بن مرهون الداودي: ١١٧.
(٢) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٦٤ (ك ٢٧).

فقد أسهمت التكرارات اللفظية في ابراز مركزية القضية الرئيسة في النص وهي ضرورة أداء الصلاة في وقتها، وقد دعمت هذه القضية ما تضمنه النص من تضاد يمثل سلوكين مختلفين.

**لا تعجل ≠ لا تؤخر**

**لفـــراغ ≠ لاشتغال**



ثم يختتم الإمام (عليه السلام) كلامه بأن كل الاعمال مرتبط قبولها بقبول الصلاة؛ لأنها عمود الدين فإذا قبلت قبلت سائر الأعمال وإذا رفضت رفضت سائر الأعمال.

والذي نلمحه أيضاً في هذا النص إضمار (فواعل) كل الأفعال مما يحدث انفتاحاً نصياً (زمانياً ومكانياً) لكل متلقٍ لهذا النص على مختلف الأزمنة والأمكنة ولا يتحدد بزمانه ومكانه الذي قيل فيه.

وعليه فإن بناء النص على بنى مكررة يوضح القضية الكبرى في النص فتلك هي المفاتيح التي تربط محتوى النص، فيحمل التكرار طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وابقائه عليها في بؤرة التعبير[1]، مما يؤكد الأثر الذي يتركه التكرار في الدلالات الدينية والاجتماعية فإن اللفظ المكرر وإن كان بسيطاً فإنه يحظى عبر التكرار بقوة دافعة. ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمذاني: «**وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ**

(١) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر: ١١٤.

**أَثَـرُ مَـا أَنْعَـمَ اللهُ بِـهِ عَلَيْـكَ»**[1].

في هـذا النـص تكـراران، الأول: كلي للفـظ الجلالـة (الله) الـذي تكـرر ثـلاث مـرات وهـو محـور أسـاس في النـص، فـلا عجـب مـن ورود لفـظ الجلالـة في النص أو مـن تكـراره فهـو المحـدِث لهـذه النعـم. والآخـر: التكـرار الجزئـي الـذي بـرز بـروزاً يلفـت النظـر ويكشـف عـن اهتـمام الإمـام (عليه السلام) وحرصـه عـلى جـذب انتبـاه المتلقـي، فأحـدث هـذا التكـرار غايتـين ((غايـة معنويـة تؤكـد المعنـى الـذي أراده الإمـام وتزيـده إيضاحـاً، مـن أنّ اسـتدامة النعمـة بشـكر الله تعـالى، والمسـاواة بـين النـاس بجعـل بعضهـا لنفسـك وبعضهـا للصدقـة والإيثـار، وغايـة موسـيقية تحـدث في النـص إيقاعـاً موسـيقياً متشـابهاً يقـرع أسـماع المتلقـين فيـترك فيهـم إحساسـاً لهـذه النغمـة الموسـيقية المتولـدة مـن أصـوات مكـررة))[2]. وهـذا يظهـر في (نعمـة، أنعمهـا، نعـم، أنعـم) فكثـرة التوليـد مـن الجـذر اللغـوي داخـل البنيـة النصيـة يـؤدي إلى بـث الـروح في النـص، وإشـاعة حركتـه لهـذه الصـور اللغويـة في ظاهرهـا والمشـتركة في جذرهـا فـكان لهـا أثـرٌ في اتسـاق النـص والحفـاظ عـلى اسـتمراريته ولاسـيما أن مفـردات هـذا التكـرار تـضرب عـلى وتـر واحـد وهـو الاهتـمام الواضـح بـضرورة حسـن التـصرف بالنعـم التـي أنعمهـا الله سـبحانه وتعـالى عـلى عبـاده.

لقـد أظهـر لنـا التكـرار الجزئـي قـدرة الإمـام (عليه السلام) عـلى الاسـتثمار اللغـوي لجـذور اللغـة، ممـا أكسـب النـص خصوبـة وثـراء وتجـاوز بمتلقيـه حـد السـآمة، وزاد ذلـك في اتسـاق النـص وترابطـه.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤١ (ك ٦٩).
(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٣٣.

**(جـ) التكرار الدلالي.**

يقع التكرار الدلالي بين الألفاظ وهو يمثل ((محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي))[١]، فتكون الألفاظ التي تقع ضمن هذا النوع من التكرار أما ذات معنى واحد او متقارب، ويشتمل على:

**ـ الاستبدال:**



عملية تتم داخل النص، يتم فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات[٢]، وهذا يعني أنّ الاستبدال ((نوع من الإحالة اللفظية؛ لأنه إشارة بعنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر يتفق معه في الدلالة... فيترك أثراً يسترشد به المتلقي))[٣].

وتعرّفه د. عزة شبل محمد بأنه: ((إحلال كلمة محل كلمة أخرى، وهذه الكلمة لا تكون ضميراً شخصياً))[٤]. ويخضع الاستبدال إلى قواعد دلالية ومعنوية تحكمه؛ إذ إنّ ((وجود العنصر المُسْتَبْدَل رهين بموقعه في التركيب الداخلي للخطاب، وتقابله بما يسبقه وما يليه من عناصر معجمية أو تركيبية تستدعي عناصر أخرى من خارج الخطاب في الذاكرة))[٥].

(١) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٩٨.
(٢) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٢-١٢٣، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٣.
(٣) نحو النص بين الإصالة والحداثة، د. أحمد عبد الراضي: ١٣٠-١٣١.
(٤) علم لغة النص، د. عزة شبل: ١١٣.
(٥) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٢.

ويأتي أثر الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين عنصرين وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق في النص يحقق نوعاً من التلاحم والاستمرارية على مستوى الكلام[١]. ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية (أي وجود العنصر المستبدل منه، بشكل ما، في الجملة اللاحقة كما إنه لا يمكن أن يفهم العنصر المستبدل منه إلا بالعودة إلى ما هو متعلق به قبلياً) فهذه الاستمرارية في الأدوار في السياق النصي تمنحه قوة السبك[٢].



وهذا ما دفع هاليداي ورقية حسن إلى القول بأنه ((ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص))[٣]؛ ((إذ يحتل العنصر المستبدِل موقع المستبدَل منه ويكسب بعض ملامحه وسماته ولا يأخذها كلها لأنه ليس إياه))[٤]. وشرط الاستبدال في النص أن يتم استبدال وحدة لغوية بآخرى تشترك معها في الدلالة، إذ ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي نفسه[٥]، والغاية منه إمّا الايجاز والاختصار أو الاتساع والتجوّز أو التفصيل زيادة في البيان[٦].

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٠.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً (بحث منشور)، د. نادية رمضان النجار: ٢١.

(٣) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٠-٢١.

(٤) دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها (رسالة ماجستير)، وليد عبد الله: ٢٣-٢٤.

(٥) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٤، الاستبدال ودوره في تماسك النص، أ. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح http://www.ta5atub.com/montada

(٦) ينظر: دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها: ٢٩-٣١.

وهو معلم من معالم الاتساق النصي ومعالجته في اللسانيات الحديثة تعتمد على مجموع العلاقات التي تنشأ بين العنصر اللغوي والعناصر الأخر التي يحل محلها في السياق نفسه ((فهو مرتبط باتحاد السياق أو البيئة اللغوية؛ فلا استبدال خارج السياق أو البيئة اللغوية التي يشغلها العنصر المستبدل به))[1]، أما العلاقة بين عنصري الاستبدال، فهي علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد[2]، وهذا يعني أنّ العلاقة الاستبدالية ((علاقة تحمل علاقتي تطابق واختلاف في آن واحد فالتطابق وضع بين المستبدِل والمستبدَل، إلا أنّ علاقة الاختلاف ما بين وصفيهما هي التي دفعت هذا التطابق وحولته إلى اختلاف جوهري بينهما مما نشأ عن ذلك علاقة تقابل، فلولا الوصفان لكانت جملة: (رأيت رجلاً وآخر) تماثل جملة: (رأيت رجلين)، فلا فارق بين (رجلاً) و (آخر) في الجملة إذ وقعا بمرتبة واحدة تحت فعل الرؤية مع تطابقهما بعدم التحديد... أما عند التحديد: (رأيت رجلاً كريماً وآخر بخيلاً) فإنّ الوصفين قد أثّرا في الجملة تأثيراً مباشر اً مما ولد علاقة مقابلة فالرجل الكريم غير الرجل البخيل وإن وقعا تحت فعل الرؤية))[3]. فلا يعني الاستبدال البدل في النحو العربي[4]، وعليه فإن ((الاستبدال لا يكون مستوفياً لشروطه إلا إذا تمّ تحت شرط التساوي في الوظيفة النظميّة وسائر



(١) دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها: ٢٥.

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢١.

(٣) الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته (أطروحة دكتوراه)، عبد الله خليف خضير عبيد: ١٠٨.

(٤) ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي: ٩٢، الاستبدال ودوره في تماسك النص، أ. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح http://www.ta5atub.com/montada.

الوظائف الشكلية والدلالية))[1]، وقسمه (هاليداي ورقية حسن) وفاقاً لوظائفه التركيبية على ثلاثة أقسام هي[2]:

الاستبدال الاسمي: ويتمثل بـ (واحد، واحدة، آخر، أخرى، ...، الخ).

الاستبدال الفعلي: ويتمثل بـ (فعل، يفعل، عمل، .... الخ).

الاستبدال القولي: ويتمثل بـ (ذلك، لا).



ويذهب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أنّ الاستبدال ((علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، وعلى هذا يقسمان أنواع الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال وهي...الاسم...الفعل... الجملة))[3] وهما وفقاً لهذا وضعا الأنواع الآنفة الذكر فضلًا عن ذلك أنّ هذه العلاقة ((تمكن كاتب النصّ من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الاستعمال المفرط للضمائر، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على مقروئية النص))[4].

وقد ورد الاستبدال في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه كما موضح في الجدول الآتي[5]*:

(١) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٤.

(٢) ينظر: الاتساق في العربية، (رسالة ماجستير)، جبار سويس حنيحن الذهبي: ٦٠، أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٣٣، علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل: ١١٤، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٣، نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣، لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٠.

(٣) علم لغة النص: ١١٤، وينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

(٤) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٩٢.

(٥) ينظر: تفصيلات الاستبدال في الملحق الخاص به: ٢٧٨-٢٧٩.

| نوع النص | الاستبدال القولي(**) عدد المرات | الاستبدال الفعلي عدد المرات | الاستبدال الاسمي عدد المرات | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| رسائل | (٤٧) ذلك (٤٤)<br>هذا (٣) | (٤) | (٢) | (٥٣) |
| الوصايا | (١٨) | (٢) | (١) | (٢١) |



ونلحظ من هذا الجدول أنّ الاستبدال القولي من أكثر أنواع الاستبدال مقارنة بالأنواع الأخرى من الاستبدال الفعلي والاسمي، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة النصوص المدروسة؛ إذ يرى بعض الباحثين أنّ مجال استعمال الاستبدال الفعلي يكثر في المحادثة عنه في الخطاب المكتوب[١].

ولتلمس أثر الاستبدال في الاتساق النصي لرسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، ننظر كيف استبدل الإمام علي (عليه السلام) الوحدات التركيبية إلى وظيفة الوحدة التركيبية في السياق، والعلاقة التي تربط بينها وبين الوحدات التركيبية الأخرى، فمن أمثلة الاستبدال الفعلي و ((هو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحلّ محلّ الفعل مؤدية وظيفته التركيبية))[٢]. قال الإمام علي (عليه السلام) في عهد له إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة: «**وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ الله الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَالسَّائِلُونَ وَالْمُدْفُوعُونَ، وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ**»[٣].

(١) ينظر: علم لغة النص، عزة شبل: ١١٤.

(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٥٨ (ك ٢٦).

يتجلى الاتساق في عملية الاستبدال الفعلي التي وقعت في هذه الرسالة، فاستبدل الفعل (وفّهم) بالفعل (إلا تفعل) ونجد أن العلاقة بينهما تقضي إعادة التحديد والاستبعاد، فقد قامت على مبدأ الاختلاف الذي ولّد تضاداً وقع بين الفعلين (الإيفاء بالحقوق وعدم الإيفاء) (وفّهم، لا تفعل)، فلم يكرر الإمام الفعل في النص، فلم يقل: (وإلاّ توفّهم)؛ وذلك ((ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل (العبارة الفعلية الأكثر تحديداً)))[1]، وعليه فإننا أمام فعلين اتسقا عبر الاستبدال والحذف اللذين تولّدت عنهما بنية التقابل بين النفي والاثبات، وعلى النحو الموضح في المخطط الآتي:

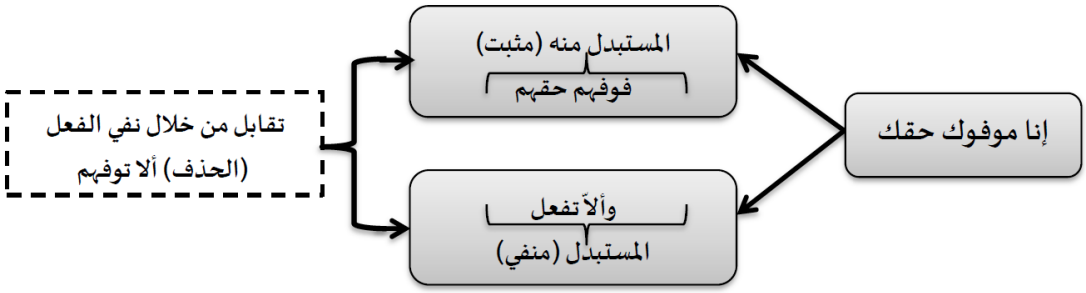


ومثل هذا الاستبدال الفعلي الذي يقوم على مبدأ التقابل بين النفي والإثبات قوله (عليه السلام) في رسالة إلى بعض عماله: «**فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ، لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلا دَخَلَ النَّارَ**»[2].

(١) علم لغة النص: ١١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٨ (ك ٤١).

فالاستبدال حصل بين الفعل (أردد) وصيغة الفعل (تفعل) فعنصرا الاستبدال بينهما علاقة تقابل توجب إعادة تحديد فعل (الرد) (ارْدُدْ)؛ لكنه استبدل عنه بالصيغة (لم تفعل) إذ لم يكرر الفعل فلم يقل (إن لم تـرْدُدْ)، فجاء الحذف والاستبدال معاً ليحققا الاتساق؛ إذ لم يتضح معنى (يفعل) إلا بالرجوع إلى ما تقدم وكما يوضحه المخطط الآتي:

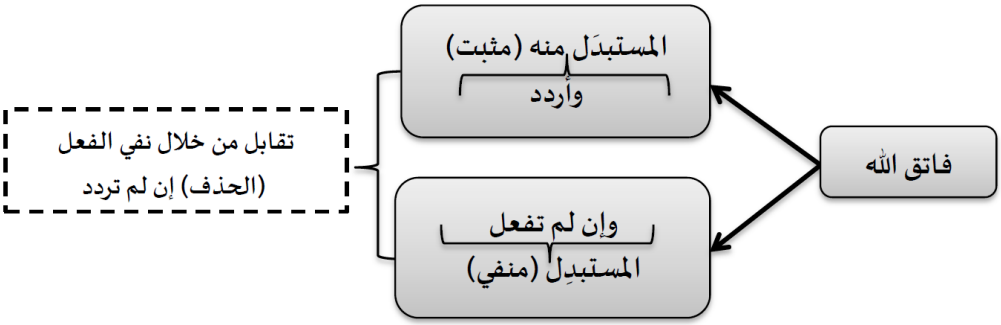


ومن أمثلة الاستبدال الاسمي وهو ((مجموعة المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤدية وظيفته التركيبية))[1]. قوله (عليه السلام) في رسالة إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة: «**وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُك عَلَيْهِمْ؛ وَ إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ**»[2].

فالاستبدال حاصل بين الاسمين (نجم وآخر)، إذ حلّ الاسم (آخر) محل (نجم). فأراد الإمام (عليه السلام) أن يقول بـــ: ((أنه لم يمت لهم سيد إلا قام لهم آخر مقامه، واستعار له لفظ النجم، ووجه المشابهة كون سيد الجماعة

(١) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٥ (ك ١٨).

وكبيرهم قدوة يهتدون به ويقتدون بآرائه في الطرق المصلحية))[1]. فالتقابل حاصل بين الغياب والطلوع، وقد قدم الغياب على الطلوع؛ لأن سيادة الآخر ملزومة بوفاة وموت السيد الأول، فالاختلاف بين السيدين بأن الأول سيد ميت والآخر سيد حيٌّ وتمّ تحديد التقابل في (نجم)، ومن ثم جاءت عملية الاستبعاد (للنجم الميت) لصالح (النجم الطالع)، ومع الاستبعاد تمّ الاحتفاظ بأثر مشترك وهو (النجم) لتبقى عملية الاتصال في النص قائمة وكما موضح في المخطط الآتي:



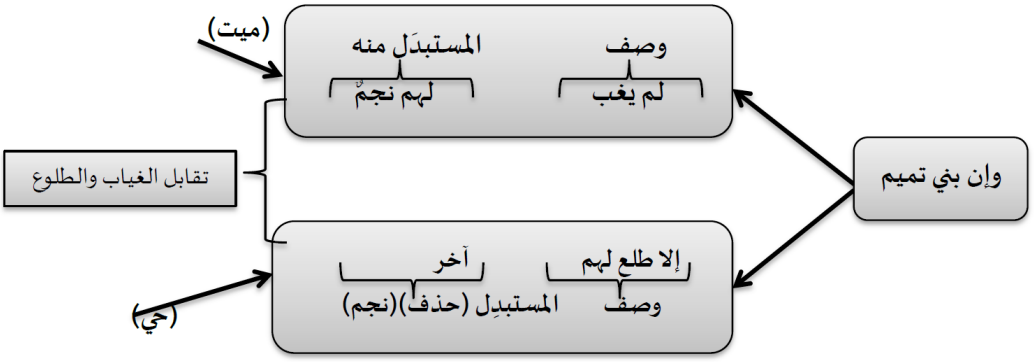


ومن الشراح من يذهب إلى أن هذا الاستعمال مجازي وليس حقيقياً وبذلك حمل غياب النجم وطلوعه دلالتين: الأولى غيبوبة النجم كناية عن الضعف وطلوعه كناية عن القوة[2] والأخرى: أنهما كناية عن أن بعضهم معادون وبعضهم الآخر موالون[3].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤٧٢.
(٢) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٤٠٤.
(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة، الشيرازي: ٣/ ٤٩١.

وقد حذف لفظة (نجم) من قوله: (إلاّ طلع لهم آخر) وأحل (آخر) محله؛ لأنهما ضدان، والضدان كما يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد[١]، فتكون ((العلاقات الاستبدالية بين عناصر حاضرة وأخرى غائبة ولا يجمع بينهما))[٢].

ومن أمثلة الاستبدال الاسمي أيضاً قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، ونَعَتْ لَكَ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا**»[٣].

فالاستبدال حصل بين الاسم (نَعَمٌ) والاسم (أخرى) وقد أفادت على المستوى المعنوي الذي تمثل باستبدال صورة بصورة مغايرة، ولا يمكن فهم الصورة الثانية إلا بالرجوع إلى الصورة الأولى وهي صورة النعم المعقلة فالعنصر (أخرى) استمد قيمته الاتساقية من تلك العلاقة، فلا يمكننا فهم (أخرى) أو تأويلها إلا بالرجوع إلى العنصر المستبدل منه السابق (نعم)، فالتقابل قائم بين (المعقلة والمهملة) وتم تحديده في (النعم)، ثم جاءت عملية الاستبعاد للنعم المعقلة لصالح النعم المهملة مع الاحتفاظ بأثر مشترك وهو (النعم)، وكما موضح على النحو الآتي:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ضدّ): ٣/ ٣٦٠.

(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ٢٤٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ٨٩ - ٩٠ (و ٣١).

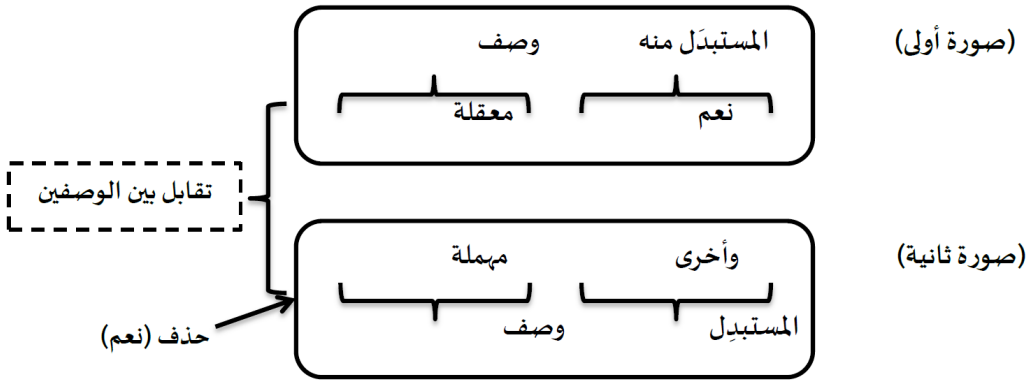




وقد اختلفت دلالة (معقلة ومهملة) عند الشراح، فهناك من يذهب إلى أنّ النعم المعقلة استعارة ((للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والإمام العادل فقّيدهم بالدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات .... وأشار بالمهملة إلى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة إمامهم .... فهم كالبهائم المرسلة))[١].

بينما يرى آخرون أنّ النعم (المهملة) هم الأقوياء والنعم (المعقلة) هم الضعفاء[٢]. ((وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، إلا سبيل الاستمائة من أجل تحريرهم وحياتهم))[٣]. ويبدو لي أن تفسير (محمد عبده) كان معتمداً فيه على المعنى اللغوي[٤] لعقل البعير بمعنى شدّ وظيفه إلى ذراعه وبذلك تضعف قواه عن الحركة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانّي: ٥/ ٥٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٤٢٩.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٥/ ٢٢٥، وينظر: توضيح نهج البلاغة، الشيرازي: ٤/ ٦٨.

(٤) عَقَلَ البعير يَعْقُلهُ عَقْلًا وعقّلَهُ واعْتَقَلَهُ: ثَنَى وظيفه مع ذراعه وشدّهما جميعاً في وسط الذراع، لسان العرب، (مادة عقل): ٤/ ٣٠٤٦.

**ـ التـرادف:**

هـو ((أن يـدل أكثـر مـن لفـظ عـلى معنـى واحـد))[1]، وقد أجمـع علـماء الدلالة عـلى أنّ الـترادف التـام لا يقـع إلا في حـالات نـادرة؛ إذ ((إنّ الكلمـة في سـياقها لا تتضمـن إلا معنـى واحـداً وتقابـل تصـوراً ذهنيـاً واحـداً))[2]، فشـبه الـترادف- هنـا- قائـم عـلى قـدرة منتـج النـص عـلى اسـتبدال إحـدى المفردتـين بالأخـرى مـع الإقـرار بوجـود فـروق دلاليـة حقيقيـة بينهـما.



وقـد اسـتعمل الإمـام (عليه السلام) عـلى الـترادف لتركيـز النظـر عـلى قضيـة محوريـة في النـص، وإنـما وظـف الـترادف بـدلاً مـن إعـادة اللفـظ لإشـاعة روح التجـدّد عند المتلقـي، ذلـك أنـه ((يمكـن لإعـادة اللفـظ في العبـارات الطويلـة أو المقطوعـات الكاملـة أن تكـون ضـارة لأنهـا تحبـط الإعلاميـة، مـا لم يكـن هنـاك تحفيـز قـويّ: ومـن صـواب طـرق الصياغـة أن تخالـف مـا بـين العبـارات بتقليبهـا بواسـطة المترادفـات))[3].

وفي دراسـة أثـر الـترادف في تحقيـق الاتسـاق النـصي لابـد مـن أن تـدرس الكلـمات عـلى صعيـد حركتهـا في النـص؛ لأن مجـيء الكلمـة في سـياقات محـددة يمكـن أن يؤثـر في كونهـا مرادفـة لكلمـة أخـرى أو لا، فـإن دلتـا عـلى الـشيء نفسـه فهـما مترادفتـان، وإلاّ فـلا، كذلـك إن أمكـن إحـلال أحـدى الكلمتـين مـكان الأخـرى في السـياق نفسـه كانتـا مترادفتـين، وإن لم يكـن فليسـتا كذلـك. ومـن أمثلـة الـترادف مـا جـاء في وصيتـه (عليه السلام) إلى الإمـام الحسـن (عليه السلام): «**وَاعْلَـمْ أَنَّ**

(١) علم الدلالة: ١٤٥.

(٢) الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد: ٢٢٩.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

**أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ أمراً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بك لا مَحَالَةَ، إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ»**[1].

ينبني هذا النص على فكرة المفاضلة بين عالمين متناقضين تنتهي إلى تفضيل عالم (الجنة) على (النار) و (الآخرة) على (الدنيا)، فاجتمع في النص علاقتا الترادف والتضاد اللتان تعاضدتا لإبراز فكرة النص، فنلحظ احتشاد المترادفات بصورة بارز في النص؛ مما يفضي إلى إشاعة روح التجدد والتنوع لإثارة المتلقي وتذكيره -على سبيل الوعظ- بمصير الإنسان فترتب النص على نحو متسق، كما يوضحه التوزيع الآتي:

**علاقة التضاد:**

(المخف ≠ المثقل)[2].

(أحسن حالاً ≠ أقبح حالاً)[3]

(المبطئ ≠ المسرع)

فالنص يتحدث عن انفاق المال والصدقة، ومعناه ((إنّ بين يديك طريقاً بعيد المسافة، شديد المشقة، ومن سلك طريقاً فلا غنىً له عن أن يرتاد لنفسه، ويتزود من الزاد قدر ما يبلغه الغاية، وأن يكون خفيف الظهر في

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٥ (و ٣١).
(٢) جاء في اللسان ((ثقل: الثّقل: نقيض الخفّة))، لسان العرب، مادة (ثقل): ٣/ ٢٩.
(٣) الحسن: ضد القبح ونقيضه، ينظر: لسان العرب، مادة (حسن): ٤/ ١٢٣.

سفره ذلك؛ فإياك أن تحمل من المال ما يثقلك؛ ويكون وبالاً عليك؛ وإذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافيك به غداً وقت الحاجة فحمله أياه))[1].

أما علاقة الترادف فقد وقعت بين الألفاظ الآتية:

(المخف = المسرع)

(المثقل = المبطئ)

(مهبطك ، نزولك ، حلولك) تشترك هذه الألفاظ بمعانيها المعجمية[2].

ومثله أيضاً ما جاء في موضع آخر من الوصية ذاتها: «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ**»[3]. لو أمعنا النظر في هذا النص لوجدنا في البنية النصية الأولى تكتلات دلالية حول حقول معينة، جامعها الدلالي هو انها كلها حقول معنوية غير محسوسة وداخل كل حقل تجمعات دلالية تربطها علاقة الترادف.

(١) شرح ابن ابي الحديد: ١٦/ ٨٦.

(٢) فدلالة هبط ((الهبوط: نقيض الصعود، وهبط هبوطاً: نزل))، لسان العرب، مادة (هبط): ١٥/ ١٣.

ودلالة نزل ((النّزول: الحلول، والمنزَل بفتح الميم والزاي: النزُول وهو الحلول))، نفسه، مادة (نزل): ١٤/ ٢٣٧.

ودلالة حلَّ: ((نقول: حلّ بالمكان يحلُّ حلولاً ومحلاّ وحلا وحَلَلاً، بفك التضعيف نادر: وذلك نزول القوم بمَحَلة))، نفسه، مادة (حلل): ٤/ ٣٠٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٩ (و ٣١).

وهـذا يعنـي إننـا ((عندمـا نتحـدث عـن التكـرار كأداة للربـط المعجمـي او اللفظـي فإننـا لا نقصـد فقـط إعـادة اسـتعمال مفـردة بعينهـا وإنـما يشـمل ذلـك اسـتعمال مفـردات أو الفـاظ ترتبـط بهـا معنويـاً))[1]، كـما يوضحـه المخطـط الآتي:

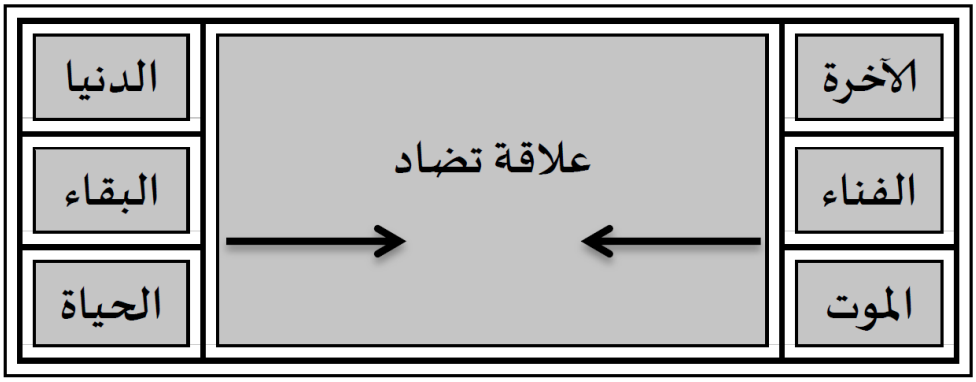


أمـا في البنيـة النصيـة الثانيـة فقـد أوجـد الإمـام (عليه السلام) تبئيراً للفظـة (الدنيـا) التـي ذكرهـا آنفـاً في البنيـة النصيـة الأولى، إذ ذكـر لهـا مرادفـات ثلاثـة هـي: الـدار، المنـزل، طريـق.

فقـد عملـت هـذه المترادفـات عـلى إبـراز بنيـة النـص العميقـة ((بحيث تشـكل مجتمعـة شـبكة موحـدة تدعـم الغـرض المتصـل بالنـص. كـما تتيـح لـه الفرصـة في تنويـع الوجـوه والملامـح المختلفـة للمعنـى؛ باعتبـار أنّ كل مـرادف يضيـف مـن ظـلال المعنـى مـا يجعلـه يختلـف ولو بقـدر ضئيل عـن المـرادف الآخـر الـذي يمتلك ظـلالاً أخـرى لنفـس المعنـى))[2]. فضلًا عمّا أسـهمه في تركيز هـذه الألفاظ في ذهن المتلقـي، وفتـح مجـال فسـيح أمـام المتلقـي ليُـدَوّرَ معـاني النـص، ويقلبهـا حـول بؤرة

(١) أثـر التكـرار في التماسـك النـصي، مقاربـة معجميـة تطبيقيـة في ضـوء مقـالات الدكتـور خالـد المنيـف: ٦٠.

(٢) نظرية علم النص: ١١٠.

واحدة، مما يضفي على النص تنوعاً دلالياً أسهم في اتساق النص وترابطه، وهناك امثلة أخرى للتكرار تمّ شرحها في موضوع التضاد أغنى عن ذكرها هنا.

فالتكرار من خلال الترادف يشدّ الانتباه إلى أهمية هذا الشيء المكرر في عالم النص، إذ يعّد نوعاً من أنواع الالتفات[1]. وتترابط كلتا البنيتين لأنهما قامتا على مبدأ التوزيع الثلاثي للألفاظ مما يدل على انّ هناك تنظيماً مسبقاً للأفكار حتى يشعر المتلقي باتساقها وترابطها.



**ـ علاقات التضمّن.**

وتشمل:

**أ- علاقة الاشتمال:**

وهي علاقة من علاقات التكرار الدلالي والتشاكل المعنوي إلا أنه ((من نوع آخر إذ لا يذكر الشيء نفسه، بل تذكر بعض أصنافه وأنواعه))[2]، وتنطوي هذه العلاقة على علاقة العموم والخصوص وتسهم في ترابط النص واتساقه عن طريق((تداول الكلمة العامة، وفئاتها داخل النص هذا علاوة على خلق شبكة دلالية أثرت داخله وحققت الاتساق فيه))[3]. فهذا التنوع الدلالي أشبه ما يكون بالدوائر المتداخلة التي تسهم في تنامي النص وتفرع قضيته مما يجعله كلاً موحداً متسقاً.

---

(١) ينظر: الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين: ٢٤٤.

(٢) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٥٥.

(٣) نفسه: ٥٣.

ومن الألفاظ التي وردت في الرسائل والوصايا التي تتضمن هذه العلاقة (القوم، أهل بيته، الأمة، الناس، الرعية، الأهل،...))، وسنكتفي بإيراد أمثلة لتوضيح هذه العلاقة وأثرها في تحقيق الاتساق المعجمي. من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَ سَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لله رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ وَلاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى**»[1].

فلفظة (القوم) هي البؤرة المركزية في النص التي فتحت المجال أمام الإمام (عليه السلام) لذكر الأصناف التي تندرج تحتها من الشاهد، الغائب، المهاجرين، الأنصار، المؤمنين. فهذه الألفاظ كلها تشتملها لفظة (القوم) لأن دلالتها عامة؛ إذ تدل على كل من شملته البيعة من المسلمين الذين اتخذوا من الإسلام ديناً بغض النظر عمّا له من فضائل أو ما كان عليه من نواقص، فهذه الألفاظ كلها فروع لكلمة (قوم) مما يدل على الاستمرارية الدلالية داخل النص لهذه اللفظة. ومثله أيضاً ما جاء في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك بن الأشتر النخعي: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ، لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا جُنُودُ الله، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكَنَةِ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٣٥ (ك ٦).

**فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً...»**[1].

لقد تركز هذا النص حول طبقات الرعية وذلك لأن هذا العهد عموماً جاء مرتبطاً بمصلحة الأمة وصلاحها وطبيعتها، فنراه يفصل في النظرة المتبادلة بين الرعية والراعي، وقد احتلت طبقات الرعية المساحة الأوسع في هذا الجزء من العهد خصوصاً وفي كل العهد عموماً[2]. فقد توزعت شبكة العلاقة الدلالية (الاشتمال) على النحو الآتي:

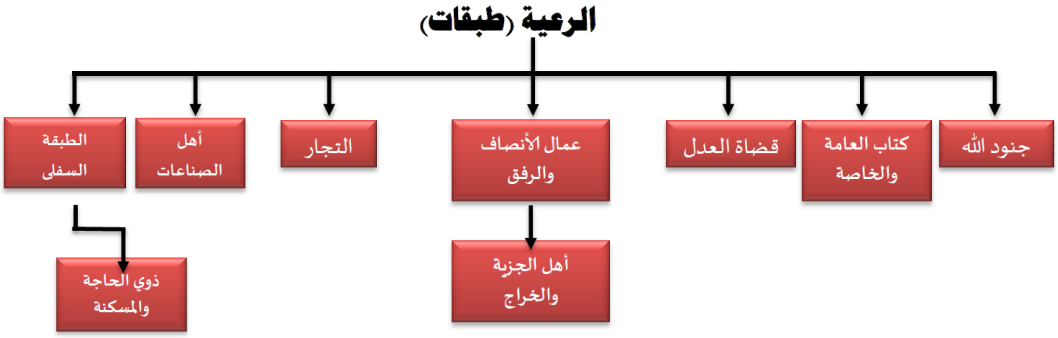


فنلحظ أن دلالة النص تتجمع في معنى واحد ثم تتوزع أجزاؤه في أرجاء النص مما حقق اتساقه والتنوع في سطحه وتوازناً بين ظاهره وباطنه الأمر الذي جعل النص قائماً على شبكة من علاقات المعنى داخل النص التي تتشكل لتجعله نسيجاً واحداً وهذا ما أكده رولان بارت بقوله: ((إذا كنا نحب الألفاظ المستحدثة، فإننا نستطيع أن نعرف نظرية النص بأنها علم صناعة نسيج العنكبوت))[3].

(١) نفسه: ١٧/ ٤٨ (ك ٥٣).

(٢) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: ١٧٥.

(٣) لذة النص: ١٠٩.

**ب- التضمين.**

هو شكل من أشكال العلاقات الدلالية وهو ((وسيلة من الوسائل التي تسهم في تماسك النص؛ فيتشكل من خلال كتلة دلالية متحدة يجمعها معنىً عام لها، وغالباً ما يهيمن التضمين الدلالي على الحقل فيكون بمثابة الكلمة الغطاء التي يندرج تحتها عدة تفريعات))[1].



وتختلف علاقة التضمين عن علاقة الاشتمال في أن التضمين ((كتلة تحتوي على عدة عناصر، اما الاشتمال فهو عنصر في فئة))[2]. ومن الألفاظ التي عبرت عن هذه العلاقة (كتابي، وصيتي، حق الله، خزائن رحمة الله، تقوى الله، العدل، مال الله، البيع،...). من ذلك ما جاء في وصية الإمام (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ**»[3]. فقوله (عليه السلام) (خزائن رحمته) هي الكلمة الغطاء تحتوي على عدة مفاهيم دلالية مشتركة؛ إذ تتفرع منها (زيادة الأعمار، صحة الأبدان، سعة الأرزاق، مفاتيح خزائنه، أبواب نعمته، شآبيب رحمته، العطية، ...).

---

(١) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٥١.

(٢) نفسه: ٥٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٧ (و ٣١).

فتكرار هذه الألفاظ داخل النص هو شبه تكرار دلالي لكلمة (خزائن رحمته، وامتداد لها داخل النص، فالإمام (عليه السلام) لم يذكر الشيء بذاته وإنما بنوعه أو جزئه، وبهذا تقوم هذه الألفاظ بنسج شبكة مترابطة من الكلمات المتقاربة دلالياً، وهي بامتداد محتواها وتشعبه أسهمت في استمرارية المعنى المقصود في النص ممّا حقق له الاتساق والترابط.

ولا يزال التضمين يسهم في اتساق النصوص عند الإمام (عليه السلام) كما في قوله في عهده للأشتر النخعي: «**وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ؛ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ**»[1].

فهذا الحشد اللغوي لهذه الألفاظ (بيعاً سمحاً، بموازين عدل، واسعار لا تجحف، البائع والمبتاع، حكرة، في غير اسراف) كان وسيلة حجاجية لإقناع المتلقي بقضية النص الكبرى وهي البيع العادل بما يصلح أمر الناس لذا أصرّ الإمام (عليه السلام) على ترسيخ هذه الفكرة في النص، وقد تأتى له التعبير عن ذلك عن طريق الانسجام بين هذه الألفاظ التي تحيل المتلقي إلى عالم ممكن، فالبيع العادل ممكن وليس مستحيلاً فهذه العلاقات الدلالية بين الألفاظ شكلت شبكة مترابطة حققت للنص استمراريته باتساقه وقوة نسجه ((وخلاصة القول: إن الشبكة الدلالية داخل حقول التضمين تسهم في تماسك النص وخلق خطاب متناسق عبّر به الكاتب عن همه الاجتماعي

(١) نفسه: ١٧/ ٨٣ (ك ٥٣).

والفكري ورؤيته للعالم والناس))[1]، وهذه هي الغاية المرجوة في نص انصب اهتمامه حول الرعية وتدبير شؤونهم ورعاية مصالحهم.

**٢ـ المصاحبات المعجمية .**

عنصر آخر من عناصر الاتساق المعجمي، عُرفت عند النصيين بأنها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك))[2]، وهذا يعني أنه في المصاحبة المعجمية تميل ((بعض الألفاظ إلى مصاحبة ألفاظ معينة أخرى دون غيرها، فعنصرا المصاحبة اللغوية مرتبطان عادة ببعضهما البعض بمعنى أنهما عادة ما يُريان في نفس المحيط اللغوي))[3] ((فالمفردات على هذا تميل إلى التجمع والتصاحب بصورة انتقائية في التغييرات، فالمفردة لا تتصاحب مع كُلّ المفردات اللغوية الأخرى، بل تتصاحب مع مفردات من نوع معين، وهذه المصاحبات تصبح جزءاً مهماً من معنى الكلمة))[4]، ولذلك قيل: إن معنى الكلمة هو ((محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى))[5]، وتكون هذه الألفاظ دليلاً لدرجة الترابط والاتساق الذي هيمنت عليه مقصدية المتكلم وأوضاع المخاطب ومقتضيات الأحوال والمقام وجنس الخطاب[6].

فإلحاح المتكلم على قضية معينة يفرض عليه استعمال مفردات تتناسب

(١) اثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٥٣.
(٢) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٥، ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٤٠.
(٣) الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت: ٣١.
(٤) علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، يحيى عبابنة، آمنة الزعبي: ٨٩.
(٥) علم الدلالة: ٩٨.
(٦) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٤٠.

مع سياق النص وهذه المفردات تسير في إتجاهين: أحدهما: التقابل؛ مثل: الليل والنهار، والضوء والظلام، والداخل والخارج، والآخر: التراكم والتكامل؛ مثل: الشعر والشاعر، الحيوان والإنسان، الأب والأطفال، الطفلة والمرأة، الأكبر والأوسط، والأصغر[1].

إن البحث في النص بحثاً متكاملاً؛ بوصفه شكلاً يقود إلى بحثه مضموناً وبالعكس؛ لأن علاقاته الداخلية والخارجية تنسج فضاءها بوصفها حمولة معرفية تترابط وتتداخل أشد تداخلٍ وأوثق اتصالٍ؛ وذلك لأن ألفاظ اللغة ((لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما من فوائد))[2]. اعتماداً على ((البنية النظمية وعلى المفردات المستعملة في رسالة لغوية للتوصل إلى فهم معين لها))[3].

ولأجل التوسع في علاقات الاتساق المعجمي المتمثلة بالمصاحبة المعجمية، سندرس بشيء من الايجاز هذه العلاقات التي حصرها النصيون بـــ (التقابل، التدرج التسلسلي، التلازم الذكري، علاقة الجزء بكله)[4]. إذ لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة العلاقات الدلالية للوحدات اللفظية التي تدخل في سبك النص، وهي في الوقت نفسه ليست ((الضامن الوحيد لانسجام النص وتوالده وتناسله))[5].

(١) ينظر: دينامية النص، د. محمد مفتاح: ١٦٢-١٦٣، تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح: ٥٧-٦٨.
(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٥٣٩.
(٣) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٦٧.
(٤) ينظر: نظرية علم النص: ١١١-١١٥، الاتساق في نهج البلاغة: ٧٨.
(٥) دينامية النص: ١٦٤.

**(أ) التضاد** .

يعد هذا النوع من أنواع المصاحبات المعجمية التي تحقق الاتساق المعجمي ((حيث تترابط العناصر اللغوية بعضها مع بعض، من خلال علاقة التقابل أو التعارض، ويتم الربط من خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يمنح القارئ فرصة الابحار في عالم النص من خلال السلسلة المتتابعة للكلمات، والتي تسهم بشكل واضح في خلق تماسك النص))[١]، فهو ((وسيلة لغوية حجاجية إقناعية، كما أنه حلية تنتج صوراً جمالية))[٢].

وسنحاول إبراز مدى إسهام هذه الوسيلة الاتساقية في تحقيق ترابط نصوص رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، وذلك لا يتم إلا عن طريق رصد العلاقات القائمة بين الانساق المتضادة والقيام بتحليلها ضمن السياق، فهي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً يمكننا من الوصول إلى دلالاتها، فالألفاظ المتضادة التي يضمها سياق الكلام معروفة واضحة وهي بوصفها مفردات لغوية لا ترسم صورة، ولا تعطي معنى ما لم تتفاعل مع السياق لإنتاج الدلالة فإننا ((لا يمكن أن نركز فحسب على العناصر المضادة ببساطة لأنها عناصر بارزة سهلة الالتقاط في التحليل الأسلوبي، بل لابد من أن نولي نفس الاهتمام للعناصر غير المرسومة في مقابلها))[٣]. وتسير علاقات التضاد في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في اتجاهين:

(١) لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٣٤-١٣٥.

(٢) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٥٧.

(٣) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل: ٢٢٧.

**الأول: التضاد اللغوي.**

يتمثل هذا النوع من المقابلة في استعمال الألفاظ التي ينشأ التضاد بينها بحكم وضعها اللغوي مثل (الجنة والنار، الموت الحياة، حب وكره، ... ، الخ)، وقد جاءت هذه التقابلات بكثرة في رسائل الإمام ووصاياه. ومن أمثلته ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: «**فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالإِدْنَاءِ، وَالإِبْعَادِ وَالإِقْصَاءِ**»[1]. لقد أبرزت هذه التقابلات هيأة العامل العادل في بنية تصويرية تجسدت عن طريق إعطاء الصورة ونقيضها، وقد تمثلت عن طريق الاستعارة التي جاءت في بداية النص لتفتح الطريق أمام توالي التقابلات الأخرى التي خدمت النص، إذ أفضت عليه طابع الاتساق والترابط من طريقين:

الأول: نلحظ فيه ترتيب هذه التقابلات وكأنها كفتا ميزان العدالة وهي الغاية المرجوة من النص، فالعدالة متحققة سلفاً باختيار هذه التقابلات؛ إذ نلحظ تساوي كل منها مع ما يقابله في عدد الحروف الذي يعكس وجوب التساوي في التعامل، فلا تزيد جهة على حساب جهة أخرى وكما يوضحه المخطط الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٧ (ك ١٩).

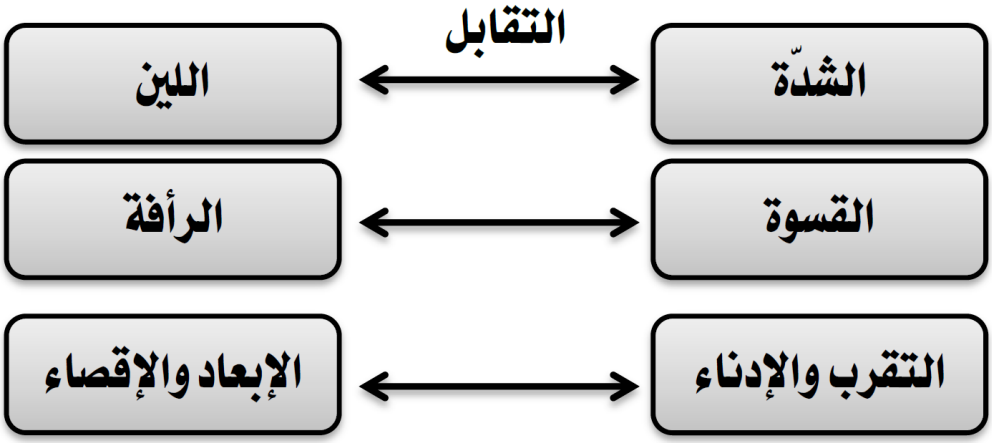




فعلاقة التقابل بين هذه الكلمات، تخلق في النص ما يسمى بالمصاحبة المعجمية؛ إذ إن شعور المتكلمين- كما يرى (جون لوينز)- ((يتجه إلى عدّ أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي، والآخر ذا معنى سلبي))[١].

والآخر: التقارب المكاني بين هذه التقابلات مما أدى إلى قيامه بوظائف مهمة في السياق متمثلة في إبراز الدلالة وإيصال المعنى وترسيخه في ذهن السامع أو المتلقي ((فاللفظة في حالة مقابلتها بما يضادها تكتسب عمقاً دلالياً ودقة معنوية لا تكون لها منفردة))[٢]. ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: «**وَ قَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَ أَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَ دَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَ جَهْراً، وَعَوْداً وَ بَدْءاً**»[٣].

(١) علم الدلالة: ١٠٥.

(٢) البناء الفني في شعر الحب العذري، أطروحة دكتوراه، سناء البياتي: ٩٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٤٥ (ك ٣٥).

يبدأ الإمام (عليه السلام) هذا النص بالتوكيد بالحرف (قد) مقروناً بالفعل الماضي الذي يدل على طبيعة ما كان يجري من أحداث، ويثابر على (التوكيد) بأسلوب غير مباشر في عبارتي (سراً وجهراً) و (عوداً وبدءاً) بما فيهما معاً من تضاد يجسد وحدة الموقف كناية تكشف عن دعوته المستمرة لهؤلاء الناس وتحذيره الدائب كذلك يلفت انتباهنا تقديمه ((للسر على الإعلان))، ((والعود على البدء)) تأكيداً على إلحاحه المستمر (عليه السلام) عل الدعوة وإلحاح القوم المستمر على التخاذل والتواكل فجاء توظيف التضاد في النص ليعكس المقابلة القائمة بين دعوته (عليه السلام) وتخاذل قومه، وقد جسدتها المقابلة بين (سراً وجهراً) و (عوداً وبدءاً). لقد أضفت هذه التقابلات قوة في التعبير وشدة الترابط بين أجزاء الكلام من خلال دلالاتها المتناقضة على مبدأ والضدّ يظهر حسنه الضد.



**الثاني: التضاد السّياقي.**

وهو يقع ((بين الشيء ومقارب ضده))[١]. وهذا النوع أقل من النوع السابق وهو يرجع إلى البراعة في الأسلوب والقدرة على خلق انساق تقابلية موحية بمعنى التضاد وهذا النوع من التضاد ينم عن قدرة الإمام (عليه السلام) على الإبداع الفني الهادف إلى إثارة المتلقي وترسيخ المعنى في ذهنه في ((المقابلة الموحية أكثر تأثيراً في المتلقي من المقابلة المباشرة))[٢]. من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية، قال فيه: «**وَ إِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ**»[٣].

(١) أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية، د. علي أحمد عمران: ٢٣١.
(٢) البناء الفني في شعر الحب العذري: ١٠٢.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

نلحظ في هذا النص أن الإمام (عليه السلام) أقام التضاد بين الفعلين (تركتموه) و (دَخَلْتُمْ)، لكن هذا التضاد لم يكن بلفظ الفعل، وإنما بمعناه فعكس (دخلتم) (خرجتم منه) فجاء المضاد المعنوي قبل المضاد اللفظي، وقد أطلق على هذا النوع من العلاقة بـــ ((علاقة التنافر إذ لا تصل المقابلة إلى التضاد على مستوى العبارة))[1]. فمرادف الفعل (تركتموه) هو (خرجتم منه)[2]، وهذا يتضاد مع الفعل (دخلتم فيه) وكما يوضحه المخطط الآتي:



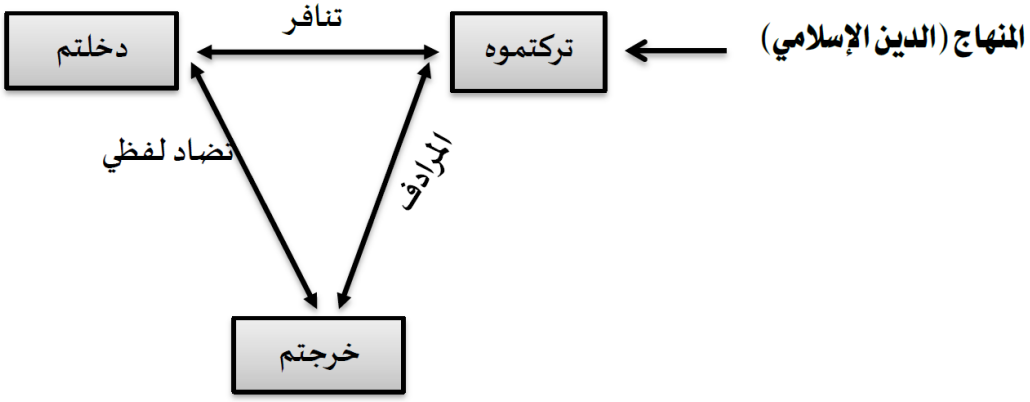


ويتعاضد مع هذا التضاد تضاد آخر في النص قائم بين أسم الفاعل (طائعين) واسم المفعول (مكرهين)، فقد جاء التضاد اللفظي (طائعين) قبل التضاد المعنوي (مكرهين)، فلفظة (مكرهين) لا تتضاد مع لفظة (طائعين)، لكن المرادف لها وهو لفظة (العاصين) هي التي حققت ذلك التضاد وكما في المخطط الآتي:

(١) التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فايز القرعان: ٥٠.

(٢) جاء في اللسان ((أرض مخرّجة أي نبتها في مكان دون مكان، وتخريج الراعية المريع: أن تأكل بعضه وتترك بعضه وخرّجت الإبل المرعى: أبقت بعضه وأكلت بعضه))، لسان العرب، مادة (خرج): ٥/ ٤١.

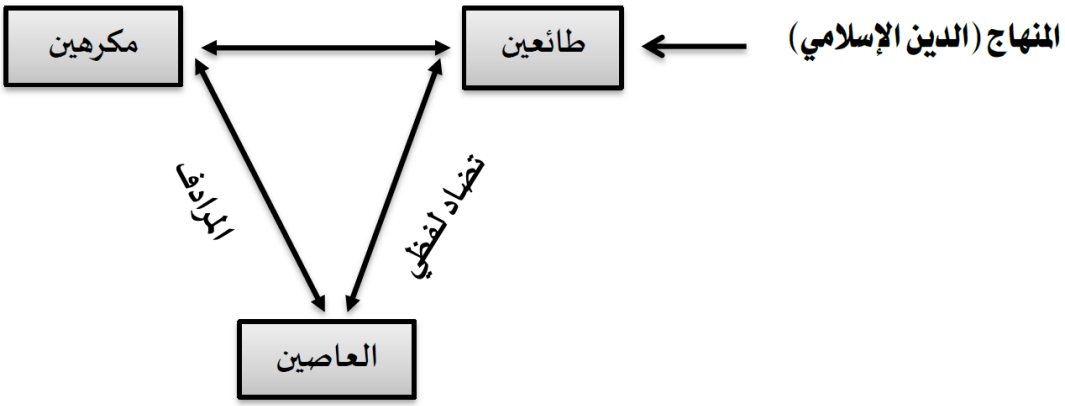




لقد أظهرت الصورة المعكوسة للتركيب التقابلي، الحالة التي كانوا عليها، مشيراً إلى عدم قبولهم لهذا المنهاج صراحة وعدم ثباتهم عليه، كذلك أشار التضاد المعنوي إلى حالة التباطؤ التي كانوا عليها؛ إذ لم يحصل التضاد مباشرة. ومثل هذا التقلب وعدم الثبات وحالة الاضطراب في الموقف الذي يعكسه التضاد المعنوي ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى طلحة والزبير: «**فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ**»(١).

حصلت علاقة التضاد بين صيغتي اسم الفاعل (طائعين وكارهين) وبين التركيبين (إظهاركما الطاعة واسراركما المعصية)، فالتضاد الأول هو تضاد سياقي فلم يستعمل الإمام (عليه السلام) المقابل الحقيقي لـــــ (الطائعين) وهو (العاصين)، وإنما استعمل المرادف له وهو (كارهين) وهو ما أفضى إلى تنوع أسلوبي دلّ عن طريقه على تباطئهما في بيعة الإمام (عليه السلام). وفي التضاد الآخر عدل الإمام (عليه السلام) عن التضاد السياقي بين (الطائعين والعاصين)، (الإظهار

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٣١ (ك ٥٤).

والاسرار) إلى التضاد اللغوي بين (الطاعة والمعصية) ليدل على ثبات هذه الصفات فيهما فعكس التقابل اللغوي وحدة موقفهما من بيعة الإمام (عليه السلام) ثم الذي نلحظه من تقديم (الإظهار) على (الإسرار) و(الطاعة) على (المعصية) التأكيد على إظهار هؤلاء القوم خلاف ما يبطنون للإمام (عليه السلام).

**(ب) التدرج التسلسلي** .



تتيح هذه العلاقة لمنتج النص ترتيب المفردات في النص وفاقاً لترتيب الأحداث في الواقع مما يؤدي بالنتيجة إلى ترابط هذه الأحداث وهذا يعني أن هذه العلاقة تساعد على ((خلق وحدات كلية داخل النص الواحد تترابط فيما بينها ترابطاً منطقياً قائماً على وجود أبعاد زمانية، تدعم فكرة التعاقب بين الأحداث المتسلسلة))[١]. ولذلك قيل: إن ((انتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص))[٢]، ((فالأحداث في عالم الواقع تكون مترابطة؛ بمعنى تترتب على بعضها؛ فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها، ومن ثم تكون الأفكار التي تعبر عن المقدمات والنتائج مترابطة، ترابط الأحداث))[٣].

ومن أمثلة هذه المصاحبة ما جاء في كلام له (عليه السلام) قاله قبيل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ والْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ**»[٤].

(١) نظرية علم النص: ١١٣.
(٢) نسيج النص: ٦٧.
(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ١٤٥.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣ (و ٢٣).

رأى الإمام (عليه السلام) في التدرج التسلسلي متنفساً له ساعده على العرض المتسلسل والمنتظم للحدث، هذا التنظيم لم يقم على التعمق أو الإسهاب في عرض الأحداث، فكان سبيله لإقناع المتلقي بالوصية التي أرادها (عليه السلام) وهو على فراش الموت، فنلحظ التدرج الزمني في الألفاظ (الأمس، اليوم، غداً) قد فرض سلطته على بناء الجمل المكونة للنص فلا يمكن أن تغير مكان أي منها لأن ذلك سيؤدي إلى خلخلة السلسلة الكلامية فكل جملة هي مقدمة للجملة التي تليها، كما في المخطط الآتي:



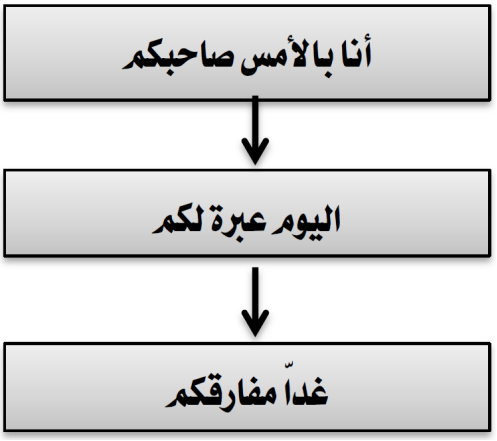


ومن التسلسل التدرجي أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة: «**فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ٢٢ (ك ٥٢).

اشتمل النص على مظاهر الاتساق المعجمي من تكرار تمثل في تكرار تركيب (فصلوا) ولفظ (الشمس)؛ لإثارة انتباه المتلقي إلى المعنى الذي يريد الإمام ايصاله إلى المتلقي والمظهر الآخر هو التسلسل التدرجي في ذكر أوقات الصلاة (الظهر، العصر، المغرب، العشاء) التي فرضت هيمنتها على تسلسل الجمل في النص؛ إذ لا يمكن تغيير مكان أي منها؛ لأنه يبعد النص عن الترابط والاتساق فتسلسل الأوقات أفضى إلى تسلسل الأحداث كما يأتي:



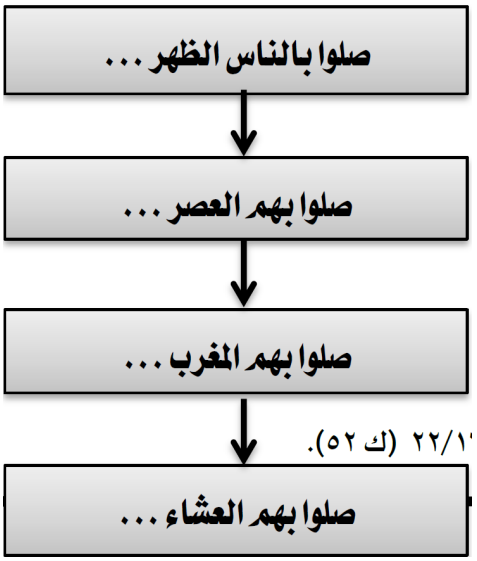


٢٢/١٢ (ك ٥٢).

**(جـ) علاقة التلازم الذكري** .

تعرف بأنها علاقة معجمية خاصة بالمصاحبة اللغوية مثل ((المرض-الطبيب، النكتة-الضحك، القط-الفأر))[١]. وقد أطلق عليها القدماء تسمية (مراعاة النظير)، وهي ((أن يجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه لا

(١) نظرية علم النص: ١١٥، وينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٥.

بالتضاد))[1]. وتتميز هذه العلاقة من أنها تحقق الترابط النصي من ((خلال توالي سلسلة من المتلازمات وضعها الكاتب جنباً إلى جنب في نصه))[2]. وتعتمد على قوة الأسلوب واللغة وسعة الثقافة والمعرفة[3]، ((لأنّ أوجه إعادة الصياغة الأسمية المتكافئة نصياً لم ينشئها حقيقة إلا مؤلف النص))[4].

وعند دراسة نصوص الرسائل والوصايا وجدتُ أنها تحتوي ألفاظاً قليلة جداً تمثل هذه العلاقة المعجمية، وقد دارت الألفاظ المتلازمة فيها حول موضوعات محددة تشمل ((خلق الإنسان وخلق الكون، وذكر الموت والحياة، أو ذكر المعارك والبطولات بين الكفار من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى))[5]، فأسهمت بإحداث نوع من الترابط بين فقرات النصوص.

ومن الجدير بالذكر أنه كلّما كان النص قصيراً كان أثر هذه العلاقة أكثر ظهوراً ووضوحاً للمتلقي أو المخاطب ومن أمثلته ما كان يقوله (عليه السلام) لأصحابه عند الحرب: «**لا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ**»[6]. فالمتتبع لكلام الإمام (عليه السلام) في هذا النص يلحظ أنّ هذه

(١) لإيضاح: ٣٥٥.
(٢) نظرية علم النص، ١١٦.
(٣) ينظر: نفسه: ١١٦.
(٤) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): ١٣٨.
(٥) الاتساق في نهج البلاغة: ٨٤.
(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٤ (و ١٦).

المتلازمات متعلقة بعضها ببعض من جهة ومتعلقة بسياق الوصية من جهة أخرى، إذ لابد من أن تتلاءم المكونات اللغوية مع قضايا النص وتحدد مراميه بالتلاؤم مع المحيط الخارجي ((فمعاني الألفاظ في اللغة لها دلالة معجمية، وهذه الدلالة نابعة من المستوى الذهني الذي يكيف التقاطنا للتجربة))[١]. وقد توزعت ألفاظ الوصية على النحو الآتي:

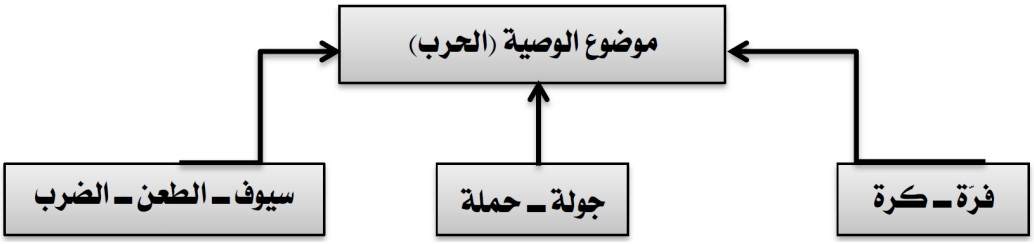


فهذه الألفاظ فضلاً عن ترابطها فيما بينها ضمن علاقة التلازم فإنها تترابط كلياً من الناحية المعجمية مع موضوع النص ولعل هذا على النقيض ممّا ذهب إليه من ذكر أنّ هذه العلاقة تعمل في إطار محدد لا يتعدى حدود الجملة التي تجمع بين المتلازمين[٢].

ومن المتلازمات أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: «**أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ**»[٣]. لقد انتظمت البنى النصية في هذا النص على نحو

(١) مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة: ١٠٠.
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١١٦، الاتساق في نهج البلاغة: ٨٤.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٤ (ك ٤٥).

متساوٍ قائم على علاقة التشابه في توازٍ تركيبي تام سارت فيه الجمل على نسق واحد داخل إطار استفهامي تعجبي أو (استبعادي)، هو:

**فعل مضارع مرفوع + فاعل مرفوع + جار ومجرور مضاف إلى الهاء الضميرية + فاء السببية الواقعة في جواب لطلب محض (الاستفهام) + فعل مضارع منصوب بأن المضمرة.**



وقد تساوى عدد المتلازمات لكل لفظة في كل جملة على النحو الآتي:

**السائمة (الناقة) (تمتلئ ، رعيها ، تبرك)**

**الربيضة (الغنم) (تشبع ، عشبها ، تربض)**

**الإنسان (شخص الإمام علي (عليه السلام)) (يأكل ، زاده ، يهجع)**

وقد خدمت هذه المتلازمات سياق النص لزيادة قوة التنفير من التشبيه بالسائمة والربيضة ((على تقدير أن يرضى بمثل حالها وغايتها من الدنيا في معرض الإنكار لذلك الرضا من نفسه، والأصل في ذلك التمثيل البهيمة، والفرع هو (عليه السلام)، والمشترك الجامع هو الرعي والشبع والبروك والنوم والراحة، ولمّا كان الأصل المقيس عليه في غاية الخسّة بالقياس إلى الإنسان الكامل استلزم ذلك التشبيه به قوّة النفرة عمّا يستلزم التشبيه من الصفات))[1]. فبرع الإمام في كلامه من ابعاد نفسه من التشبه بهذه الأوصاف لأن قيمة الإنسان أرفع وأرقى من " ـبه بصفات الحيوان.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ١٤٦.

**(د) علاقة الجزء بكلّه.**

وهي من علاقات المصاحبة المعجمية ((التي لا تظهر إلاّ مع موضوعات خاصة يهدف الكاتب بها إلى تقديم وصف خاص لمفهوم عام. فهو لا يصفه، وإنما يقوم بعرض تصور خاص له بذكر بعض أجزائه المكونة له، وصفاتها الملازمة؛ مما يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام))[1]. إذ إنّ ذكر الأجزاء محدد بما يتناسب مع رؤية صاحب النص المبدع بهدف تقديم صورة عامة لكل واحد، وتخضع هذه العلاقة للاختيار الخاص لبعض الأجزاء لكي تعطي معنى خاصاً ومقصوداً للكل الذي تنتمي إليه[2].



وأكثر ما تركزت هذه العلاقة في الرسائل والوصايا بذكر أجزاء جسم الإنسان (أعضائه) وذلك لأنها هي المسؤولة عن أفعال الإنسان الحسنة والسيئة، وهذه العلاقة أقل علاقات المصاحبات المعجمية وروداً ومن امثلتها قوله (عليه السلام) في وصية له لعسكره قبل لقاء العدو بصفين: «**وَلا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ**». استطاع الإمام (عليه السلام) من خلال ذكر هذه الألفاظ (القوى، الأنفس، العقول) من اعطاء صورة عامة عن النساء مع أنّ هذه الأجزاء لا يقتصر وجودها على المرأة بل على الرجل كذلك؛ ولكن لوجود عنصر في المرأة فيما يتعلق بهذه الأجزاء دون غيرها دفع الإمام (عليه السلام) إلى ذكرها والتركيز عليها؛ إذ جاء في سياق تعليل عدم إلحاق الأذى بالنساء

(١) نظرية علم النص: ١١٤.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١١٥.

في أثناء الحرب لضعفهنّ في هذه الجوانب. ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: «**فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ**»[1]. لقد تضافرت في هذا النص علاقتا (الجزء بكله والتلازم الذكري) في تحقيق الاتساق المعجمي؛ إذ جاءتا في سياق ذم وتحقير لهؤلاء الناس من أهل الشام؛ إذ جاءت اللفظة بصيغة التنكير (أناس) وبالمقابل مجيء ألفاظ المصاحبات المعجمية بصيغة التعريف فهي تشرح هوية ذلك التنكير وكما يوضحه المخطط الآتي:

| التلازم الذكري | | الأجزاء | الكل |
|---|---|---|---|
| العمي | ← | القلوب | ← أناس |
| الصمّ | ← | الأسماع | ← |
| الكمه | ← | الأبصار | ← |

فجاء النص على قدر عال من الارتباط والاتساق المعجمي، فدلّ بذلك على براعة الإمام (عليه السلام) في اختيار الألفاظ لرسم صورة القوم من أهل الشام.

ممّا تقدم قد بدا واضحاً ما للمصاحبات المعجمية من أثر في تضام أجزاء نصوص الرسائل والوصايا وهو ما يبرز وحدة هذه النصوص، واستمرار معانيها، ممّا يسهل على المتلقي عملية استقبالها واستيعاب معانيها.

(١) نفسه: ١٦/ ١٣٨ (ك ٣٣).

# المبحث الثاني

## الاتساق النحوي

يتمثل الاتساق النحوي بوجود وسائل مادية تتوزع في النص وتربط بين أجزائه، فتضمن له خاصية الاستمرارية، ((فلكي يكون لأي نص نصيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة))[1].

وهذا يعني أنه بفقدان هذه الوسائل يفقد النص وحدته اللغوية، ويصبح مجرد كلمات وجمل مفككة، فتنتفي عنه بذلك صفة النصيّة. وتتمثل هذه الوسائل التي تحقق الاتساق النحوي في:

أولاً: الإحالة.

ثانياً: العطف.

ثالثاً: الحذف.

رابعاً: التوازي التركيبي.

وقد أشار (دي بوجراند) إلى أن هذه الوسائل تسهم في كفاءة الصياغة النصيّة، وتقدم عدداً من الصور المتمثلة؛ بضغط البنية السطحية، وحذف

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٣.

العناصر السطحية، واستبقاء العناصر التي يراد توسيعها، أو تطويرها، أو تعديلها، أو رفضها، بحسب ما تتطلبه اعتبارات إعلاميّة[1].

وسنورد فيما يأتي دراسة تطبيقية لهذه الوسائل المادية في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة، لبيان الأثر الذي تحدثه في الاتساق النصيّ.

**أولاً: الإحالـــــة.**



يطلق على مفهوم الإحالة تسميات مختلفة فهناك من يسميها (المرجعية)[2]، ومنهم من يسميها (الإعادة) ويريد بها الإحالة والتكرار معاً[3]. وتعد مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يتبين مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق الاتساق؛ إذ ((تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة))[4]، وتعرّف بأنها ((العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها))[5]؛ إذ إنّ الأسماء تحيل إلى المسميات.

ويعرّفها د. عباس الأوسي بأنها ((علاقات بين عناصر السياق اللغوي بمستوييه الشكلي والدلالي على مستوى الجملة والنص بأسره وارتباط تلك العناصر بالعالم الخارجي فيرتبطان ارتباطاً سببياً، قصد المنشئ بها تماسك النص واتساقه، وفسح المجال للمتلقي للقراءة والتأويل))[6]. وتطلق تسمية العناصر

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٢.
(٢) ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ١٢١.
(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر: ٣٨-٦٢.
(٤) لسانيات النص، محمد خطابي: ١٧.
(٥) تحليل الخطاب: ٣٦.
(٦) الإحالة في القرآن الكريم: ١٧.

الإحالية - حسب الأزهر الزناد- ((على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص))[١]، ويتصل ((النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذاً داخل النص...، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي وسياق النص))[٢]؛ ولذلك عُدّت الإحالة علاقة ((بين العبارات والأشياء (Objects) والأحداث (Event) والمواقف (Situations) في العالم الذي يُدَل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي (Alternative) في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص))[٣]، وقد اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة وتسميتهم لهذه الأقسام، فنجد بعضهم قسمها ثلاثة أقسام، وأغلبهم قسمها قسمين؛ ولكنهم اختلفوا أيضاً في تسميتها وترجمتها.

فعدّهما محمد خطابي (مقاميّة ونصيّة)[٤]، وعدّهما محمد الشّاوش (مقاميّة ومقاليّة)[٥]، وعدّهما الأزهر الزناد (معجميّة ونصيّة مقطعيّة)[٦]، وعدّهما الفقيّ (خارجيّة وداخليّة ونصيّة)[٧]. ومن خلال النظر الدقيق لكل هذه

(١) نسيج النص: ١١٨.
(٢) تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، فتحي رزق الخوالدة، (رسالة ماجستير): ٤٥.
(٣) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.
(٤) ينظر: لسانيات النص: ١٧.
(٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٢٥.
(٦) ينظر: نسيج النص: ١١٩.
(٧) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٧٠.

التقسيمات نجدها تقع على نوعين:

١- إحالة مقاميّة أو خارجيّة: وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص. ولا يستقيم النص بإغفاله.

٢- إحالة مقاليّة أو داخليّة: وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمناً، وهي قسمان:



( أ ) إحالة سابقة: وفيها تستعمل كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

(ب) إحالة بعديّة أو لاحقة: وتكون فيها كلمة ما بدلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص[١]، ((وأبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها (ضمير الشأن)))[٢].

أما الإحالة المقاميّة أو الخارجيّة فهي: الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف، ويطلق عليه (الإضمار لمرجع متصيّد أو (الإحالة لغير مذكور)[٣]. وقد وضّح (دي بوجراند) الإحالة لغير مذكور، فذكر أن الكنائيات تعود ((إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب... وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق

(١) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٠٦.
(٢) علم اللغة النصي: ١/ ٤٠.
(٣) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١٧-١٢١.

الموقف (Context) شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور (Anaphora) سابق والإحالة لمتأخر (Cataphora)))[١]. وباجتماع هذه العناصر المقاميّة والنصيّة ((تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة... إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها))[٢]. وفي ضوء هذا الفهم، سيتم الكشف عن خيوط هذه الشبكة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من خلال وسائل الاتساق الإحالية الآتية:

**١ـ الإحالة بالضمائر:**

يعُد الضمير من أهم وسائل الاتساق بين أجزاء النص إذ هو بمثابة الخيط الذي تنتظم فيه حبات العقد، ولذلك لابد من أن يتحد المرجع مع الضمير حتى يتم الاتساق ويتحقق ذلك عبر جانبين أساسيين، هما:

- الجانب الموضوعي. - الجانب الشكلي.

فمن حيث الموضوع يؤدي الضمير ((إلى عدم تفكك النص الواحد فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أن المتحدث عنه في بداية الكلام - على سبيل المثال - هو نفسه في وسطه أو آخره، وهو في الوقت نفسه جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص))[٣]. وقد اختلف النحويون في تقسيم

(١) النص والخطاب والأجراء: ٣٣٢.

(٢) نسيج النص: ١٢١.

(٣) من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف): ٥٧.

الضمائر ووظائفها[1] وبناءً على ما ورد في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه تقسم على:

(أ) **منفصلة**؛ مثل: أنا، أنت، أنتما، أنتم، هو، هي، ... ويطلق عليها تسمية (الضمائر الوجودية)[2].

(ب) **مستترة**.

(جـ) **متصلة**؛ ومنها ما هو متصل بالفعل، مثل: كتبتُ، كتبتِ كتبنا، ... ، ومنها ما هو متصل بالاسم وسمّاها د. محمد خطابي (ضمائر الملكية)[3]، مثل كتابُكَ، كتابكِ، كتابكم، ... ، ومنها ما هو متصل بالحرف، مثل: إني، إنّك، إنكم، ...

وقد عدّ د. تمّام حسّان الضمير نوعاً مستقلاً من أنواع الكلمة، وذلك ضمن تقسيم جديد للكلم في اللغة العربية، فجعله شاملاً لضمائر الأشخاص، والإشارات والموصولات[4]. ومن الجدير بالذكر أنّ الإحالة بالضمير في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من أكثر أنواع الإحالات وكما مبين في الجدول الآتي:



(١) ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل الساقي: ٢٤٤-٢٤٥.
(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٨.
(٣) ينظر: نفسه: ١٨.
(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٩-١١٠، اجتهادات لغوية: ٢٢٥.

| نوع النص | الضمائر المتصلة (عدد المرات) | الضمائر المستترة تقديره (عدد المرات) | الضمائر المنفصلة (عدد المرات) |
|---|---|---|---|
| الرسائل | الهاء (١٣٠٤)<br>الكاف (٧٦٥)<br>التاء (٢٧٩)<br>الياء (١٧٤)<br>الواو (١٧٣)<br>نا المتكلم (٩٤)<br>ألف الاثنين (١٢) | انتَ (٣٧٦)<br>هو (٣٥١)<br>أنا (٧٥)<br>هي (٦٨)<br>نحن (١٠)<br>انت (٢) | انت (١٩) ، هو (١٤)<br>إياك (١٣) ، أنا (١٠)<br>هي (١٠) ، نحن (٧)<br>انتم (٤) ، هم (٤)<br>اياهم (٣) ، اياه (٢)<br>اياكم (١) |
| الوصايا | الهاء (٤٧٢)<br>الكاف (٣٣١)<br>التاء (٨٤)<br>الواو (٥٩)<br>الياء (٤٧)<br>نا المتكلم (٦)<br>الألف (٥)<br>النون (٣) | انت (٢٠٣)<br>هو (١٦٨)<br>هي (١٩)<br>انا (١٣)<br>نحن (٨) | أنت (١٠)<br>إياك (٨)<br>هو (٦)<br>أنا (٤)<br>هُن (٤)<br>هي (٤)<br>إيّاكم (٢)<br>إيّاه (١)<br>إيّاهم (١)<br>اياهُنّ (١) |

وتوزعت أنواع الإحالة فيها على النحو الآتي:

| نوع النص | أنواع الضمائر | نوع الإحالة وعدد مراتها | المجموع |
|---|---|---|---|
| الرسائل | المتصلة | قبلية (١٩٢٩)<br>مقامية (٦١٧)<br>بعدية (٤٩) | القبلية (٢٥٥٥)<br>المقامية (٨٩٤)<br>البعدية (٨٢) |
| | المستترة | قبلية (٥٨١)<br>مقامية (٢٤٣)<br>بعدية (٢٧) | |
| | المنفصلة | قبلية (٤٥)<br>مقامية (٣٤)<br>بعدية (٦) | |
| الوصايا | المتصلة | قبلية (٨٤٤)<br>مقامية (١٦٠)<br>بعدية (٣) | القبلية (١٢٠٥)<br>المقامية (٢٤١)<br>البعدية (٣) |
| | المستترة | قبلية (٣٢٦)<br>مقامية (٧٥) | |
| | المنفصلة | قبلية (٣٥)<br>مقامية (٦) | |

ويمكن ملاحظة تفصيلات الإحالة بالضمائر في الملحق الخاص بها: ٢٨٠-٢٩٢.

ومن النظر إلى هذا الجدول تتبين بعض الملحوظات وهي:

- كثرة الاستعمال للضمير المتصل هنا تؤكد ما ذهب إليه النحويون من أن أكثر الضمائر استعمالاً في اللغة هو الضمير المتصل[1]، وكان أكثرها الضمير (الهاء) للغائب.

- وزعت الضمائر بحسب كثرة ورودها في النص، فكانت الإحالة القبلية أولاً، ثم الإحالة المقامية، فالإحالة البعدية وسيحاول البحث الوقوف على بعض نصوص الرسائل والوصايا للإمام علي (عليه السلام) لتلمس أثر الإحالة الضميرية في اتساق النص ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) وهي إحالة قبلية: «**أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ**»[2].

ويسير هذا النص من الوصية في تتابع لفظي أبرزته الإحالة الضميرية؛ إذ يحيل إلى مرجعيات لفظية صريحة وأخرى مستترة يفسرها الخط الصرفي والنحوي ضمن إطار النظم النصي العام، فتحدد لنا صيغ الأمر مخاطباً حاضراً حضوراً حقيقياً تتطابق صورته السمعية مع المرجعية القبلية وهذا يجلي حقيقة ضمير المخاطب (أنت) ويتآلف معه ضمير الغائب (الهاء)؛ إذ مثّلا عنصراً أساسياً في تكوّن وحدة المعنى الدلالية وائتلاف المعاني الجزئية

(١) ينظر: الخصائص، ابن جني: ٢/ ١٩٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦٢ (و ٣١).

داخل النص، إن اللجوء إلى الإحالة ثنائية الاتجاه قد أعطى النص حيوية واستمراراً ذلك أنّ هذا النوع من الإحالة يعلن عن وجود ذاتين مستمرتين في النص ما يولد حركة تفاعلية بين الذاتين، فكانت جملة (أحي قلبك) بؤرة مركزية في النص ارتبطت بها كل الجمل اللاحقة؛ إذ كان لفظ (قلبك) المرتكز الذي تدور حوله مكونات النص كما في المخطط الآتي:



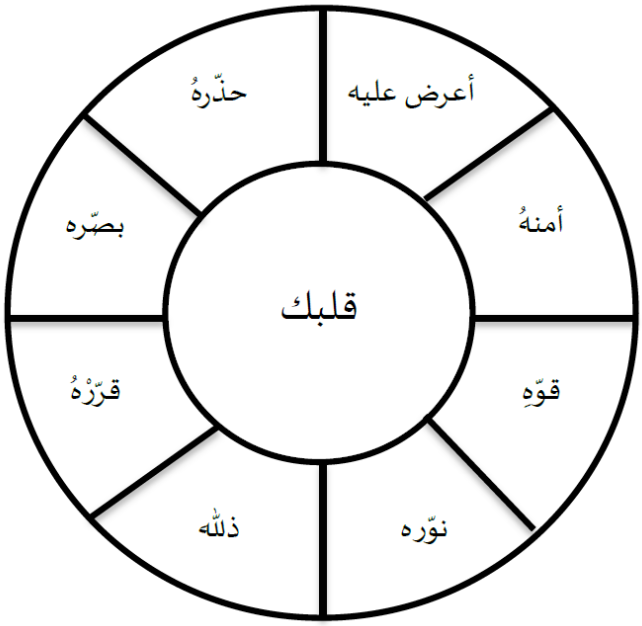


وكأنّ صلاح الإنسان مرتبط بصلاح قلبه، فإذا فسد قلبه ضاع الإنسان وضلّ طريق الصّواب، فقد حقق الضمير (الهاء) في هذه المواطن الثمانية أثره في الربط بين أجزاء هذه المقطوعة من نص الوصية، وعليه فقد أسهم في اتساق النص وتماسكه؛ وذلك من خلال البعد عن التكرار الذي لا يقصد به غاية أسلوبية؛ إذ قامت الإحالة بضمير الغيبة باختزال العنصر (قلبك) الذي لو تكرر في النص بدل ضمائر الغيبة لكان ذلك سبباً في ضعف النص

وهلهلته. وتلك ملاحظة تنبّه إليها (جوفري ليتش وميخائيل شورت) إذ قالا: ((إنّ الاتساق يتضمن -بشكل مستمر- مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا، متقين- بذلك- التعبير المكرر عن الأفكار المعادة))[١]. ومن زاوية أخرى فقد صاحب تتابع ضمير الغيبة ضميراً آخر وهو ضمير المخاطب المستتر (أنت)، فتمثل في النص عنصرا التوازي والثبات اللازمان لمتابعة المتلقي لأحداث الخطاب والتواصل مع المتحدث الذي حوّل الخطاب من خطاب مباشر إلى الإمام الحسن (عليه السلام) إلى خطاب غير مباشر إلى الناس كافة؛ إذ إنّ تحويل الخطاب يستلزم حالة جديدة من الثبات حتى يمكن متابعته وهذه الحالة جاءت من خلال المقابلة بين ضميري المخاطب المستتر (أنت) وضمير الغائب (الهاء)، فأصبح طرفاً المعادلة في كل فقرة كالآتي:

| (أحي (أنت) قلبك) بؤرة النص | | بصّر (أنت) | |
|---|---|---|---|
| امت (أنت) | ← | حذر (أنت) | ← |
| قو (أنت) | ← | أعرض (أنت) | ← |
| نور (أنت) | ← | | |
| ذلّل (أنت) | ← | | |
| قرّر (أنت) | ← | | |

ومن أمثلة الإحالة الضميرية القبلية التي تعود إلى مرجع واحد قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى واليه على البصرة (عثمان بن حنيف): «**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا**»[٢].

(١) لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٤-٢٩٥ (ك ٤٥).

لقد ذكر الإمام (عليه السلام) في الجملة الأولى (طوبى لنفسٍ) المرجع الإشاري الذي ترتبط به الأحداث النصية كلها وهو (النفس)، وكانت الضمائر المحيلة السائدة في النص هي ضمائر الغيبة سواء الظاهرة (الهاء) المتصلة، أم المستترة (هي) المشيرة إلى النفس ذلك أنّ الموضوع الأساس في النص بيان صفات النفس لإدراك مدى عظمتها من خلال عرض حالاتها التعبدية المتنوعة، فالنص- على هذا- وحدة متماسكة؛ إذ تقوم بإحالة كل الأحداث الواردة في النص إلى مركز واحد وعليه جعلت جملة (طوبى لنفس) بؤرة مركزية ورئيسة في النص، وقد أضيفت إلى لفظ (الرب) في اول إحالة لها تعظيماً وإكراماً لها[1].



ونلحظ أن الجملة الأولى في هذا النص (طوبى لنفسٍ) قد أثرت في باقي النص فإذا نظرنا إلى الجمل منفردة وجدناها مرتبطة بالجملة الأولى أشدّ الارتباط وذلك بوساطة ضمائر الغيبة المحيلة إلى النفس والمتأمل في الوحدات النصية يجدها دائرة في فلك الجملة الأولى (طوبى لنفس) بوساطة ضمائر الغيبة المحيلة فأراد الإمام (عليه السلام) أن يبقي المتلقي دائراً في فلك النفس ويمكّنه من ربط الموضوعات وجعلها في نسق مترابط؛ فالمتلقي عالم بارتباط الأحداث النصية بالمحور الذي قدم له في الجملة الأولى وهذا ما يفسر لنا الانتقال من موضوع إلى آخر، دون أن يختل النظام النصي، ودون أن يلتبس على المتلقي المركز الأساس الذي يدور فيه النص، فكان للإحالة بالضمائر -هنا- أثرٌ في اتساق النص؛ إذ إنّها تعطي المتلقي الأداة التي يتمكن بها من إرجاع كل الأفعال النصية إلى متعلقها، فمهما تعدّدت تلك الأفعال فإنّ المرجع في ذهن المتلقي

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٤٥.

سيظل واحداً سواء كان ذلك التعدّد ضمن الوحدة النصية الصغرى، أم كان ضمن الوحدة النصية الكبرى، وكل أولئك مرتبط بالجملة الأولى التي بدأ بها الإمام (عليه السلام) النص، إذ يفقد النص مرجعيته واتساقه إذا حذفت تلك الجملة. ويتضح ذلك من خلال مخطط للإحالة الضميرية في النص وعلى النحو الآتي:

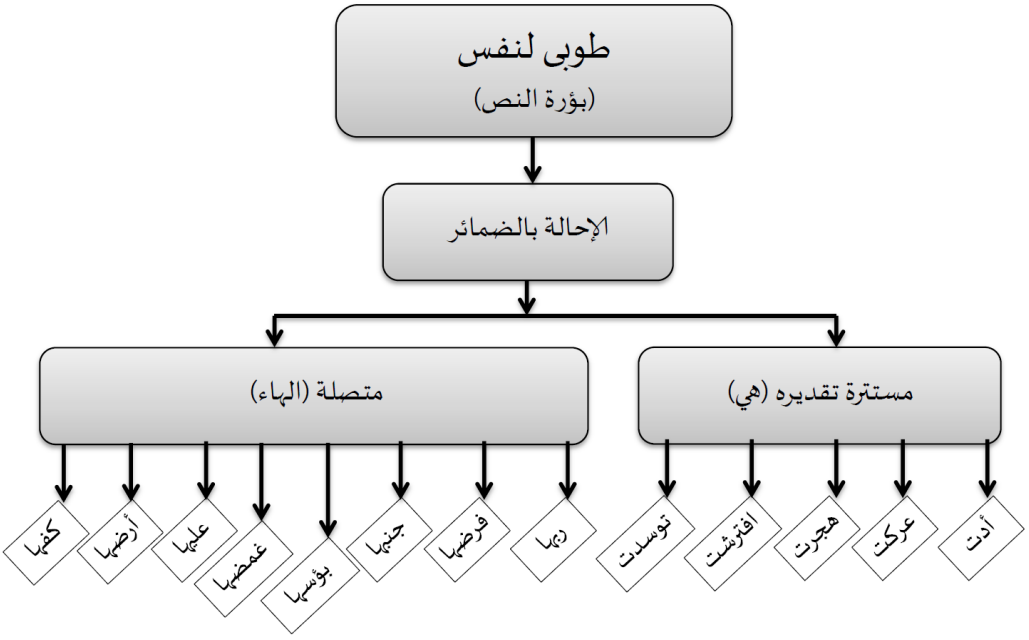


ومثل ذلك ما جاء بعده من نص الرسالة، فقد قال الإمام (عليه السلام): «**فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فَاتَّقِ اللهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ**»[1]. ينتظم النص على ضمير الغيبة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٥ (ك ٤٥).

(الهاء) الدال على الملكية؛ إذ يمثل هذا الضمير النواة الرئيسة التي يرتكز عليها النص. فتمت الإحالة بهذا الضمير إلى لفظ (معشر) الذي وقع في بداية النص، فكانت الإحالة إحالة قبلية، وقد كان لفظ (معشر) بؤرة مركزية للنص؛ إذ كانت عودة (الهاء) على هذه البورة، فلا يمكن أن يفهم النص لو حذفت منه، وكما موضح في المخطط الآتي:



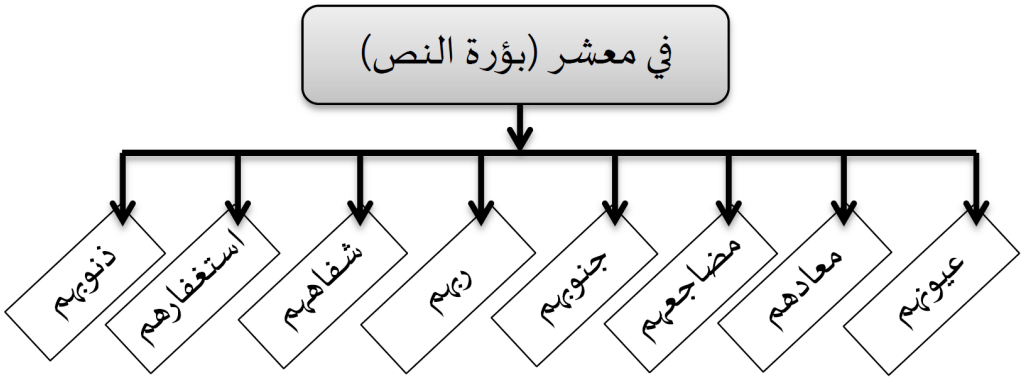


فإنّ هذا الامتداد في الإحالة إلى الضمير نفسه في النص يجعل النص حلقات في عقد يجمعها الخيط نفسه، فإذا قطع الخيط تفرقت حبات العقد ولم يعد عقداً، كذلك فإنّ بناء النص على هذا الشكل واعتماده على ضمائر الغيبة غير المتحولة بهذا القدر ((يبين قدرة الضمير على تطويع الجزئيات المتناثرة التي كانت أفكاراً مجرّدة بعيدة عن الترويض والتواصل وجعلها نسيجاً موحداً منتظماً))[1]. وقد مثلت الجملة الأولى نواة الإحالة القبلية، وهذه الظاهرة بارزة في الإحالة النصية، إذ إنّ أهم عنصر إشاري في النص

(١) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١١٠.

هو الذي يرتبط به اكبر عدد من العناصر الإحالية، وقد سمّاها الأزهر الزناد ((السُّلّميّة الإحالية))[1].

ومن الإحالة البعدية بالضمير قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْر**»[2]. فإذا نظرنا إلى الضمير (أنا) فهو ضمير وجودي يعين شيئاً في الكون وهو هنا المتكلم المفرد الذي يحيل إلى محتوى مفهومي ينطوي على كل ما يحيط بالإمام علي (عليه السلام) من صفات البطولة، فجاء هذا الضمير متصدراً للجملة الاسمية وما يجسد ذلك من الشعور بالافتخار والعظمة بأنه هو الذي فعل ذلك لا أحد غيره، فإذا كان المرسل راغباً في جذب انتباه المتلقي لذلك المفسر واشعاره بأهميته فإنه يقوم بتقديم الضمير على المُفسّر كما في هذا النص، فقد قدم الإمام (عليه السلام) الإحالة الضميرية وأخّر مرجعها الإشاري؛ لأنه كان شاخصاً إلى الحديث عن أمر يهم المتلقي وهو قتل جده وأخيه وخاله يوم بدر وهو أمر عظيم لا يرقى إليه الشك في نظره، إذن فتقديم الضمير على المفسر في هذا النص إنّما كان لغرض شد انتباه المتلقي وتنبيهه إلى أن ما سيلقى عليه أمر ذو بال، ينبغي له التنبه إليه. والحق أنّ معالجة ورود الضمير قبل مفسّره معالجة نصية توصل إلى الغرض الأساس من تقدّم الضمير، إذ تكون تقنية من تقنيات اتساق النص يلجأ إليها المرسل بغية التنبيه على أهمية عنصر أو مجموعة عناصر يحيل إليها لاحقاً.

(١) ينظر: نسيج النص: ١٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

وقد تؤثر إحالة الضمير على المعنى الذي يفهم من النص من ذلك قوله (عليه السلام) في وصية له (عليه السلام) فيما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين: «**فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ**»[1]. ربط ضمير الغيبة (الهاء) النص من أوله إلى آخره، فإحالاته جميعها قبلية في الألفاظ (بعده، أصدره، مصدره)، يعود الضمير في (بعده) إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وفي (أصدره) يعود الضمير إلى (الأمر) ويحتمل الضمير في (مصدره) وجهين: الأول أن يعود إلى الحسن (عليه السلام) فيكون المعنى وأصدر الحسين الأمر كاصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه، فالمصدر بمعنى الإصدار، والآخر: أن يعود الضمير إلى الأمر الذي وصّى به (عليه السلام) ويكون المعنى وضع كل شيء موضعه[2].

وفي هذه الحالة لآبد من أنه ((عند غياب القرينة على المعنى المراد ينبغي للضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، ولاسيما إذا كان في ذلك ما يرجح أحد احتمالات المعنى المتعددة))[3]. لذلك أرى أن الضمير في (مصدره) يعود إلى الأمر؛ لأنه في حال وجود قرينة يُحال الضمير إلى ما تدل عليه القرينة، البعيد أو القريب، وفي حال غياب القرينة ينبغي أن يعود إلى أقرب مذكور، فالأمر هو المذكور الأقرب إلى (مصدره) وعليه فالمعنى المقصود من النص يكون: وضع كل شيء موضعه وهذا هو التفسير الأنسب للمعنى.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٧ (و ٢٤).
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤٨٧.
(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د. تمّام حسّان: ١٠، وينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي: ١٢٠.

**٢ـ الإحالة باسم الإشارة:**

إنّ أسماء الإشارة ألفاظ يجتمع فيها الإبهام والتعريف، وقد سمّاها سيبويه (ت: ١٨٠هـ) الأسماء المبهمة فقال: (( الأسماء المبهمة: هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، ...))[١]، وهذا الإبهام هو الذي جعل ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ) يعدها من روابط الجملة[٢]، فإن أي إبهام في جزء الجملة يجعل المتكلم يعمد إلى تفسيره حتى يكون الكلام واضحاً، وهو الهدف من إنشاء الكلام الذي بدوره يؤدي إلى اكتمال عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، وإن هذا التناقض بين الإبهام والتعريف يزول؛ ((لأنّ الإبهام الذي فيها وصفاً يرفعه الاستعمال تحققاً))[٣]. والإحالة باسم الإشارة لها أركان، وهي[٤]:

- ✓ المشير: المتكلم.
- ✓ المشار إليه: الشيء في الخارج (وقد يبين مدلولاً عليه باسمه).
- ✓ المشار له بالمشار إليه: المخاطب.
- ✓ المشار به: عبارة الإشارة (اللفظ الذي تتحقق به).
- ✓ عمل الإشارة: الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة.

ولأسماء الإشارة أثرٌ بارز في اتساق النص وترابطه؛ إذ تجسد عناصر الإشارة محطات اتساق واتصال في النص تصل بعضه ببعض، وتدخل في

(١) الكتاب: ٢/ ٧٧.
(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري: ٥/ ٥٨٧.
(٣) أصول تحليل الخطاب: ٢/ ١٠٦٩.
(٤) ينظر: نفسه، ٢/ ١٠٦٣.

تشكيل الترابطات والعلاقات الداخلية التي تبني النص، ويتم فيها دمج مكوناته الداخلية والمعطيات المطروحة فيه، فيستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط، فينقل معنى ما يسبقه إلى ما يلحقه ويكون بديلاً عن لفظة، أو جملة، أو نص؛ ولكن هذا الاستعمال يجعل من مدى الإحالة باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره، إلى نوعين الأول: إحالة ذات مدى قريب، وتجري في مستوى الجملة الواحدة. والآخر: إحالة ذات مدى بعيد، وتجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص[1]، وقد توزعت أسماء الإشارة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه على النحو الآتي:

| نوع النص | اسم الإشارة | | نوع الإحالة | عدد مرات ورودها | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| | نوعه | عدد مرات وروده | | | |
| الرسائل | ذلك | (٦٥) | إحالة موسعة | | (١٢٢) |
| | هذا | (٢٥) | (قبلية) استبدال | (٤٧) | |
| | هذه | (١٥) | قولي | | |
| | أولئك | (٣) | | | |
| | هؤلاء | (٣) | بعدية | (٤٢) | |
| | هناك | (٢) | | | |
| | ذا | (١) | قبلية | (٢٥) | |
| | ذاك | (١) | | | |
| | هذين | (١) | مقامية | (٧) | |
| | | | مكانية | (٢) | |
| الوصايا | ذلك | (٢٥) | إحالة موسعة (قبلية) | (١٨) | (٣٢) |
| | هذه | (٣) | استبدال قولي | | |
| | هذا | (٢) | قبلية | (٧) | |
| | هذين | (٢) | بعدية | (٦) | |
| | | | مقامية | (١) | |

(١) ينظر: نسيج النص: ١٢٣-١٢٤، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٠.

فيتبين لنا من الجدول المذكور:

- أنّ أكثر اسماء الإشارة وروداً في فضاء نصوص الرسائل والوصايا هو (ذلك).

- لقد رُتبت أسماء الإشارة بحسب كثرة ورودها في الرسائل والوصايا، وكذلك الإحالات رُتبت بحسب كثرة ورودها.



- كل الإحالات الموسعة هي إحالات قبلية وهي نوع من أنواع الاستبدال القولي[١]*.

ويمكن متابعة تفصيلات الإحالة باسم الإشارة في الجدول الخاص بالإحالة باسم الاشارة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه. وفي محاولة لتلمس الأثر الذي تحققه أسماء الإشارة في اتساق النص في ضوء ما يحمله من المعاني الإضافية والمقاصد والدلالات الفنية بما تؤديه من معاني القرب والبعد والتوسط، وهذا التنوع الإشاري يكسب النص ثراءً في الدلالة والتأثير النفسي لما فيه من ((قوة وتحديد وتعيين وإفراغ للنفس ممّا تحسّ به))[٢] عبر التوظيف لأغراضه[٣] التي تستشف من السياق والمقام الذي تأتي فيه. ومن الإحالات الموسعة (الاستبدال القوليّ) ((وهو مجموعة المقولات

(١)* تم تناول هذا الموضوع في الإحالة باسم الاشارة مما يغني عن ذكره في موضوع الاستبدال لأن وظيفة اسم الاشارة وظيفة

(٢) من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١/ ١٤٩.

(٣) ينظر: في أغراض الإشارة، معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/ ٨٢-٨٣.

التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية))[1]، من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة للقاضي شريح: «**بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَ كَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً، فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**»[2]. نرى هنا أن اسم الاشارة (ذلك) في جملة مقول القول كانت استبدالاً لمجموعة من الجمل، وعلى النحو الآتي:

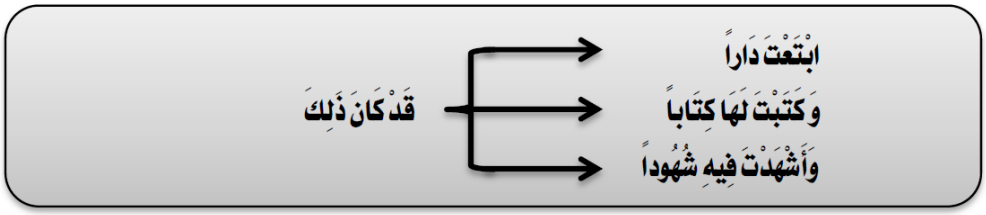


ومن الاستبدال القوليّ قوله في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ**»[3]. فحقق اسم الإشارة ترابطاً نصياً من خلال اختزاله لتركيب نحوي، لو ذكر بعد (فإن) لتحمل عبء الركاكة والاختلال، والدليل على أنّ (ذلك) قد اختزل جملة (والتغاير في غير موضع) وتمكن اسم الإشارة (ذلك) بلفظه المنفرد أن يعبر عنها، فلوحلّ الضمير محله؛ وذلك بأن يقول: (وأياك والتغاير، فإنه يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الرّيب)، فإن الدلالة ستكون قاصرة على التغاير فقط، ويكون المعنى بذلك التحذير من



(١) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧ (ك ٣).
(٣) نفسه: ١٦/ ١٢٢ (و ٣١).

عموم الغيرة، لكنّ الإمام (عليه السلام) قصد التحذير من الغيرة في غير موضعها، فوجود اسم الإشارة (ذلك) قد حقق اتساقاً وترابطاً بين ما حذر منه (من التغاير في غير موضع غيرة) وبين ما يفضي إليه من نتيجة.

وتسمى الإحالة باسم الإشارة إلى الجملة بكاملها أو متتالية من الجمل بالإحالة الموسعة[1] وهو أيضاً استبدال قولّي، ولكنه يختلف عن أنواع الاستبدال الأخرى (الفعلي والاسمي) اللذين درسا في موضوع الاستبدال، فهو ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة؛ ولكن للجملة بكاملها وعليه فإن جملة الاستبدال تقع أولاً ثم يقع اسم الإشارة المستبدِل به خارج حدود الجملة. ومن امثلته أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمرائه على الجيوش: «**أَلا وَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلا فِي حَرْبٍ: وَلا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلا فِي حُكْمٍ، وَلا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لله عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ، وَأَلا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلا تُفَرِّطُوا فِي صَلاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ**»[2]. لقد استغنى الإمام علي (عليه السلام) عن إعادة الوحدات النصية باستعمال الإحالة الإشارية في رسالته؛ إذ قامت أسماء الإشارة المستعملة مقام الوحدات النصية المتقدمة عليها، فنرى في هذه الرسالة كيف أن اسم الإشارة

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٦ (ك ٥٠).

(ذلك) الأول قد أحال لمجموعة من الجمل، وكالآتي:

فأفاد اسم الاشارة (ذلك) دلالة الايجاز وتأكيد المعنى (التحقيق والتثبيت) ونعني بها أن يرد اسم الإشارة مشاراً به إلى كلام سابق له قاصداً تحققه فيسلك المتكلم بذكر اسم الإشارة سبيل الايجاز تجنباً للتكرار وتأكيد المعنى، فأسماء الاشارة ((تعين المتكلم على التركيز والايجاز وتفادي التكرار الذي يترهل به الأساليب ويتثاقل به وثوبها إلى القلوب))[1].

فحقق اسم الإشارة (ذلك) أمرين أساسيين: الأول: أنه أقام تماسكاً بين الجزء الأول من النص والجزء الثاني؛ إذ يقوم الأول مقام المقدمة التي تفضي إلى النتيجة المذكورة في الجزء الثاني من النص والمقدمة ونتيجتها متسقتان ولا ينفك جزء منها عن الآخر. والأمر الآخر: أنه تمكن من ذكر جواب الشرط مباشرةً دون مباعدة بين طرفيه، ولولا ذكر اسم الإشارة (ذلك) لما تمكن من ذلك ولفاتته سرعة ايقاع الجزاء على المتلقي (القارئ). ومثل هذا الكلام في اسم الإشارة (ذلك) الثاني؛ إذ أحال إلى مجموعة من الجمل وأغنى عن إعادتها وكانت على النحو الآتي:

(١) خصائص التراكيب، (دراسة تحليلية لمسائل المعاني)، د. محمد أبو موسى: ٢٠٧-٢٠٨.

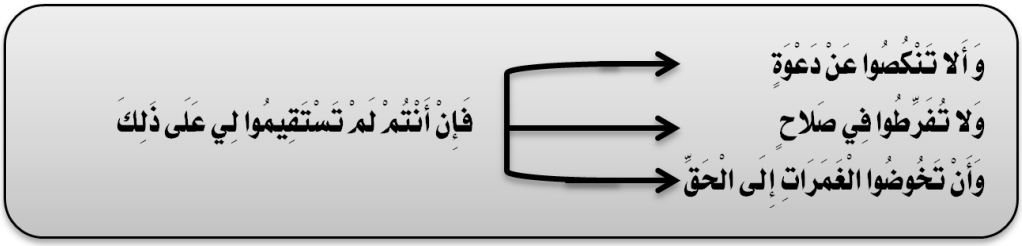


فربط السبب بالنتيجة وحقق بذلك ترابطاً بين أوله وآخره وحقق إيجازاً من إعادة الجمل وتكرارها الذي يفضي إلى تفكك النص وأخيراً يأتي اسم الإشارة (هذا) في قوله: ((فخذوا هذا من أمرائكم)) ليحيل إلى كل ما تقدم من جمل وتراكيب، فكان ذلك غاية في الاختصار والايجاز، وزيادة في تأكيد المعنى عند المتلقي إنّ هذه الألفاظ المستبدِلة تجعل النص من بدايته مرتبطاً بها، فتكون ألفاظاً متسلسلة حتى توصل القارئ إلى اللفظ المستبدَل منه، فترسم بذلك صورة مترابطة متّسقة للنص، وتظهر للمتلقي في الوقت نفسه فاعلية اسم الإشارة في تحقيق الاتساق النصي.

إذ ((إنّ وفرة أسماء الاشارة التي تحيل إلى شيء داخلي في النص متأثرة بطبيعة النص؛ فهو مكتوب كتابة، والنص المكتوب يتميز عن المنطوق عادة بوفرة أدوات التعليق بين وحداته، أو ما يسمى بعلامات ما وراء اللغة مثل: ذلك أن، وحتى إن وغيرها))[1].

فإذا نظرنا إلى هذه الإحالات الاشارية وجدنا أن لها أثراً بارزاً في اتساق النص، وهذا الاتساق يتطلب من القارئ (المتلقي) أن يسير مع النص موحّداً فينظر في داخله لمعرفة المحال إليه، والتعرف على علاقات الترابط التي

(١) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ٢٤٢.

تنظم وحداته الداخلية. فمهما ((تعدّدت أنواع الإحالة الاشارية، واختلفت وظائف أدواتها، فإن لها وظيفة اساسية في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص، وصنع وحدة نصية وسائلها متلاحمة، وأجزاؤها متماسكة))[1]. فأفاد اسم الاشارة بناء النص واتساقه وانسجام معانيه عندما أغنى عن إعادة التكرار للألفاظ التي احال إليها.

ومن الإحالة الإشارية (القبلية) قوله (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر: «**شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَ حَفَلاتِكَ**»[2].

يلحظ على هذا النص مجيء (أولئك) للإشارة إلى خير الخلف الذين لم يعاونوا الظالم على ظلمه ولا الآثم على إثمه، وقد أفاد استعمال اسم الإشارة دلالياً في التنبيه على جدارة المشار إليه بما بعده من أوصاف وتتمثل هذه الدلالة في ((أن تذكر أوصافاً عديدة للشيء ثم تذكره باسم الإشارة جاعلاً ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً إلى هذا الاسم، واسم الإشارة هذا يفيد أن ما يرد بعده فالمشار إليه جدير به))[3]، فقد عبرّ الإمام عن خير

(١) نفسه: ١٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٤٢ (ك ٥٣).

(٣) خصائص التراكيب: ٢٠٦.

الخلف بلفظ الإشارة (أولئك) على أنهم من أجل تلك الأوصاف جديرون بأن يكونوا خاصة له، وكان بإمكان الإمام التعبير عنهم بـ (هم) فيقول مثلاً: (فهم أخف عليك مؤونة، وأحسن .... وأحنى ... وأقل...)، وإمّا ما يخصّ دلالة تكرار اسم الإشارة (أولئك) فقد أفاد العناية والاهتمام بشأن المشار إليهم، فحقّ لذلك أن يتخذهم خاصة له وكل ذلك يتناسب مع سياق المدح (لأولئك) فكان اسم الاشارة عنصراً مهماً واساسياً في الترابط النصي.



ومن الإحالة الإشارية (البعدية) قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: «**وَلَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ**»[1]. يلحظ في هذا النص أن عنصراً إشارياً واحداً ظهر ثلاث مرات وكانت كلها إحالات بعدية لهذه الملذات الدنيوية: الأولى: أحالت إلى العسل، والثانية: أحالت إلى القمح، والثالثة: قد أحالت إلى القز. ولو فصلنّا الحديث في أركان الإشارة في هذه المواضع لكانت على النحو الآتي:

- المشير: الإمام علي (عليه السلام)
- المشار إليه: (العسل، القمح، القز).
- المشار به: هذا.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٦ (ك ٤٥).

- عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، وقد أكدت دلالة الاستحقار؛ إذ أتت في سياق حشّدت فيه الألفاظ والمعاني ليحقق تلك الدلالة والغاية من ذلك أن يروض الوالي نفسه ويتأسى بمن ولاّه فلا يدع لهذه المغريات سبيلاً إلى نفسه. فالإمام (عليه السلام) أراد القول إنه ترك هذه الأشياء لأمر مهم وهو أن تتأسى بضعفه رعيته وإلاّ فإنّ هذه الأطعمة في حدّ ذاتها عبّر عنها الإمام بالطيبات في رسالته نفسها ((فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات))، فالإمام (عليه السلام) أراد القول: أنه يستطيع أن يهتدي إلى أجود أنواع الأطعمة وألذها، وأفضل أنواع الملابس نعومةً، بيد أنه يعرض عن ذلك للعلة التي ذكرناها.

ولا بد من الالتفات هنا إلى أنّ (هذا) عنصر إحالي يحتاج لبيان دلالته إلى عنصر آخر، وقد جاء هذا العنصر بعده في هذه المقطوعة من الرسالة فكانت إحالاته بعدية كلّها، وتؤدي الإشارة هنا إلى تركيز انتباه المتلقي إلى ما سيقال عن طريق خلق مكان فارغ مؤقتاً، فيتم شغله بالعنصر اللغوي المطلوب (المشار إليه) ((والغرض من الإبهام ثم التفسير، إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم، لأنّ النفوس تتشوق، إذا سمعت المبهم، إلى العلم بالمقصود منه وأيضاً، في ذكر الشيء مرتين: مبهماً ثم مفسّراً توكيد ليس في ذكره مرة))[1]. فأسهم وجود اسم الإشارة (هذا) في توكيد المعنى والغرض الذي قصده الإمام (عليه السلام) من كلامه.

(١) شرح الرضي على الكافية: ١/ ١٩٩.

ومن الإحالة الإشارية (البعدية) أيضاً قوله (عليه السلام) في عهده إلى مالك بن الأشتر: «**فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا**»[1]. فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) اسم الإشارة (هذا) للإشارة إلى (الدين) الذي بعده، ولتلمس أثر السياق في بيان دلالة اسم الإشارة. استعار الإمام (عليه السلام) لفظ الأسير إذ شبّه الدين بالأسير في أيدي الأشرار، فكما الأسير لا يملك من نفسه شيئاً، فكذلك الدين إذ لم تطبق أحكامه ولم يُعمل بما جاء فيه، فدلالة التحقير ليست للدين، وإنما أراد الإشارة إلى الذين سبقوه أنهم لم يعملوا بما جاء في هذا الدين.

قال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): (((إنّ هذا الدين قد كان أسيراً)، هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، وإنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا ...))[2].

فالإمام (عليه السلام) أراد أن يحذره من استغلال الدين للهوى وطلب الدنيا كما فعل سابقوه، أي لا تفعل كما كانوا يفعلون ومن ثم ينسبون أفعالهم إلى الدين. وفي توظيف آخر لاسم الإشارة قوله (عليه السلام) في الرسالة نفسها: «**وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ**»[3]. حصلت الإحالة باسم الإشارة (هذا) وفيه إحالة مقامية إلى معاوية وكانت أركان الإشارة فيه هي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٥٩ (ك ٥٣).
(٢) نفسه: ١٧/ ٦٠.
(٣) نفسه: ١٦/ ٢٨٩ (ك ٤٥).

- المشير: الإمام علي (عليه السلام).
- المشار إليه: معاوية (سّماه شخصاً معكوساً، وجسماً مركوساً).
- المشار به: هذا.
- عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، وقد أفادت تحقير المشار إليه والتصغير من شأنه.



ويتبين ذلك في ضوء توظيف النص للجناس اللاحق والسجع في (معكوس ومركوس) والمراد ((انعكاس عقيدته، وأنها ليست عقيدة هدى، بل هي معاكسة للحق والصواب، وسماه مركوساً من قولهم ارتكس في الضلال))[١] الذي أضفى على النص تلويناً موسيقياً فضلًا عن ذلك تكرار صوتي الكاف والسين، وهما من الأصوات المهموسة[٢] ما يوحي بثبات صفات الموصوف، فضلاً عمّا يحويه النص من استعارة في قوله: ((حتى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد)) وهي صورة حسية لما أحدثه معاوية من فساد ((فشبّه معاوية بالمدَر ونحوه من مُفسدات الحبّ، وشبّه الدّين بالحبّ الذّي هو ثمرة الزرع))[٣] كل ذلك جاء في مقام الذم لمعاوية والتقليل من شأنه لانحطاطه في الفساد. ويزاد على ذلك أن الألفاظ قد أعطت معناها عن طريق قصد الإمام (عليه السلام) وكيفية ربطها بالسياق الخارجي عن النص ومن ثم في الاتساق الداخلي للنص وتأكيد وحدته؛ لأنه لولا المعرفة بالآليات

(١) نفسه: ١٦/ ٢٩١.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ٧٤، ٨١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٢.

الداخلية والخارجية لما استطعنا أن نصل إلى فهم لأغراض اسم الإشارة التي تحيل إليه رسالته.

**٣ـ الإحالة بالاسم الموصول:**

يعد الاسم الموصول وسيلة من وسائل الإحالة[١]. فالأسماء الموصولة تشارك ((بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضاً عمّا تحيل إليه))[٢]. فهي تقوم بالربط الاتساقي من خلال ما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً مفهومياً بين ما قبله وما بعده إذ إنّ تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي قبل ذكر الاسم الموصول[٣].



ويرى د. مهدي المخزومي أنّ الاسم الموصول قد يؤتى به في التركيب مؤدياً الوظيفة نفسها التي تؤديها الضمائر واسماء الاشارة وهي (الاختصار)؛ بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يقول: ((أمّا الأسماء الموصولة فهي كالضمائر وأسماء الإشارة، تؤدي ما تؤديه من وظيفة... ولكنها أقوى من الضمائر وأسماء الإشارة في تحقيق الاختصار))[٤]، وهذا الكلام فيه نظر فلو كان الأمر كذلك لوجب الاستغناء عن الضمائر وأسماء الإشارة في التعبير بالاسم الموصول فهو يتجاوز تأثير السياق في تحديد خصوصيات الاستعمال اللغوي لأي منها. فبهذا مبالغة في وصف أثر الاسم الموصول في اختصار

(١) ينظر: النص والخطاب والأجراء: ٣٢، نسيج النص: ١١٨.
(٢) الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٦-٢٧.
(٣) ينظر: نفسه: ٢٧، نسيج النص: ١١٨.
(٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٠٠.

التراكيب ولعله متأثر بما ذكره القدامى حول أهمية الاسم الموصول، فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في سياق حديثه عن (الذي) إن في الاسم الموصول ((علماً كثيراً وأسراراً جمة وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها، اطّلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصّدر، بما يفضي بك إليه من اليقين ويؤديه إليك من حسن التبيين))[1]. وقد جاء استعمال الأسماء الموصولة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه على النحو الآتي[2]*:



| نوع النص | الاسم الموصول | | نوع الإحالة | عدد مرات ورودها | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| | نوعه | عدد مرات وروده | | | |
| | ما | (١٩٦) | مقامية | (٢٨٦) | (٣٢٣) |
| | من | (٨٦) | | | |
| الرسائل | الذي | (٢٤) | قبلية | (٣٧) | |
| | التي | (٩) | | | |
| | الذين | (٦) | | | |
| | أي | (٢) | | | |
| الوصايا | ما | (٧٩) | مقامية | (١٠٦) | (١١٩) |
| | من | (٢٩) | قبلية | (١٢) | |
| | الذي | (٩) | بعدية | (١) | |
| | اللاتي | (١) | | | |
| | التي | (١) | | | |

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٩٩.

(٢)* يمكن ملاحظة تفصيلات الإحالة (بالاسم الموصول) في الجدول الخاص بها: ٢٩٦-٢٩٨.

نلحظ هنا:

١- أن الإحالة المقامية للأسماء الموصولة هي الأكثر فهي تربط النص بسياقه، إذ تحيل إلى ما مذكور خارج بنية النص اللفظية، أي على أمور غير مذكورة في النص تستنبط من الموقف ويكتسب معناه من موقع ما تحيل إليه في عالم النص.

٢- رُتبت الأسماء الموصولة والإحالات بحسب كثرة وورودها في النصوص المدروسة.



ولتلمس أثر الاسم الموصول في اتساق النص نقف عند بعض النصوص من رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَ كَانَ رَسُولُ الله ( صلى الله عليه وآله) إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ، فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا**»[1]. فإذا نظرنا إلى الأسماء الموصولة الماثلة في النص جاءت على أنماط مختلفة وذات دلالات متنوعة، وهي (من)، وقد تكررت مرتين، (الذّي، التي)، وكان لها كلها أثر كبير في اتساق النص وتماسكه، وذلك لربطها ما تقدم من الكلام بما تأخر عنها فقوله: ((وأراد من لو شئت ذكرت اسمه)) فدلالة (من) مقامية إلى امير المؤمنين (عليه السلام) ربطت ما تقدم من النص وهو قوله:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٤٧ (ك ٩).

((قدم أهل بيته ...)) فيما تأخر ((ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أخرت))، أما (الذي) فربط بين ((وأراد من لو شئت ذكرت اسمه)) بما تأخر عنه ((أرادوا من الشهادة))، أما (من) في قوله: ((يقرن بي من لم يسع بقدمي))، فلها دلالتان مقاميتان دلالة في الظاهر إلى معاوية على أساس أن الكتاب موجّه إليه ودلالته في الباطن إلى الخلفاء الذين سبقوه، والدليل على ذلك قوله: ((التي لا يُدْلي أحدٌ بمثلها)) فأطلق لفظ (من) إطلاقاً عاماً مستغرقاً لكل الناس[1]، إذ من الممكن أن يراد بها كل من يقرن نفسه به. أما الاسم الموصول (التي) فكان حلقة الوصل التي ربطت لفظة (كسابقتي) بما بعده من صلة الموصول وهي (لا يُدْلي أحدٌ بمثلها).



وقد يكون للاسم الموصول أثرٌ كبيرٌ في تحقيق الاختصار داخل النص في ضوء اختصاره لتركيب كامل داخل النص، إذ من الممكن أن يحل محله الاسم الموصول من ذلك. ما جاء في وصيته (عليه السلام) التي كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: «**وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ**»[2]. فالاسم الموصول (الذي) جاء إيجازاً لقوله: ((واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره...))، فأغنى عن إعادتها

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٥٠.
(٢) نفسه: ١٥/ ١٥١-١٥٢ (و ٢٥).

وتكرارها؛ لأن ذلك يثقل النص فضلاً عن ذلك ما جاء في النص من استبدال، إذ استبدل الإمام علي (عليه السلام) كل الأفعال المتقدمة (اصدع، خيره، لا تعرضنّ) وتكرارتها بقوله (اصنع) فكان ذلك غاية في الايجاز وكأنه ينبّه المتلقي (القارئ) إلى علاقة الوحدة النصية التالية (اصنع مثل الذي صنعت) بسابقتها فلا ينفك ذهن المتلقي، بل يتمكن من ربط أول النص بآخره. وهذا ما يمكننا القول بأن النص كان متسقاً يهدف إلى غاية واحدة وهي أخذ حق الله في أموال الصدقات وهي قضية النص أو موضوعه.



ومن أمثلة الإحالة بالاسم الموصول أيضاً قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ**»[1]. فقد حققت صلة الموصول فضلًا عن الاسم الموصول الربط الاتساقي من الربط المفهومي بين ما قبل الاسم الموصول وما بعده كما في الشكل الآتي:

| قبله | الاسم الموصول | بعده |
|---|---|---|
| جناحك | الذي | به تطير |
| أصلك | الذي | به تصير |
| يدك | التي | بها تصول |

فالمخطط السابق يوضح كيف تم الربط الاتساقي في النص عن طريق اشتراك الاسم الموصول بالاسم الذي قبله من خلال التطابق الإحالي بينهما، وجملة صلة الموصول التي بعده في جعل النص على مستوى واحد من الاتساق والتماسك يدركه المتلقي حال النظر إليه، فضلاً عمّا يتمتع النص به من توازٍ

(١) نفسه: ١٦/ ١٢٢ (و ٣١).

تركيبي الذي يؤدي أثراً أساسياً في اتساق النص فالإمام (عليه السلام) قصد إليه قصداً بغية تصعيد الدلالة النصية لتبقى تدور في فلك التوصية خيراً بالعشيرة التي ينتمي إليها الفرد، فاستطاع (عليه السلام) بذلك أن يخرج الكلام من وصية للإمام الحسن (عليه السلام) إلى وصية عامة لكل إنسان، إذ لا يمكن أن يعيش بمعزل عن عشيرته، وقد أضفى التلوين الصوتي باستعمال الجناس المضارع والسجع بين (تطير وتصير) زيادة في التأثير عند المتلقي لاقناعه بضرورة التمسك بعشيرته.



**٤ـ الإحالة القائمة على المقارنة (عناصر المقارنة):**

شكل من اشكال الإحالة تتحقق بوساطة ((أدوات هي عبارة عن كلمات مخصوصة، وهي لا تختلف من منظور الاتساق عن الضمائر، وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم بوظيفة اتساقية))[١]، وأشار علماء النص في دراساتهم للإحالة بصيغ المقارنة إلى أنّ المقارنة تنقسم إلى عامة وخاصة معتمدين بذلك على التصنيف الذي وصفه (هاليداي ورقية حسن)، فقد ذكرا في كتابهما (Cohesion in English) أنّ الإحالة بالمقارنة صنفان[٢]:

**(أ) المقارنة العامة** (General Comparison):

ويتفرع منها: ((التطابق) ويتم باستعمال عناصر مثل لفظة (مثل)واشتقاقاتها، و(التشابه) وفيه تستعمل عناصر مثل الألفاظ (يشبه) واشتقاقاتها، و (الاختلاف) وفيه تستعمل عناصر مثل (آخر، طريقة أخرى.. إلخ))[٣].

(١) الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٤٧.
(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٢٩، لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩.
(٣) الاتساق في نهج البلاغة: ١٠٤.

وقد أطلق (هاليداي ورقية حسن) على العناصر السابقة لفروع المقارنة العامة نعوت المقارنة وظروف المقارنة التي تعبر عن التشابه بين الأشياء، الذي يتخذ شكلاً من التطابق والتماثل، أو (الاختلاف) الذي يتخذ شكلاً من عدم التطابق أو التماثل، وعلى هذا الأساس عدّت المقارنة صورة من صور الإحالة إلى جانب الإحالة بالضمائر والإحالة باسم الإشارة، إذ يمكن أن يوجد المحيل عليه في المقام أو في النص، فإذا أوجد داخل النص، تكون الإحالة إذن إما على السابق، وإما على اللاحق[1]. وممّا تنماز به هذه الإحالة بالعناصر المقارنة ((أنها تعتبر العناصر الوحيدة التي تختص بإحالة العائد بصفة إنموذجية بدلاً من الإحالة الخارجية، وهذا ما يجب أن يتوقع))[2].



وقد جمعنا من رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بعض الفقرات كانت فيها الإحالة قائمة على المقارنة وهي تشمل ألفاظ اللغة التي يصعب تصنيفها كما فعلنا في أنواع الإحالة الأخرى، لذا اكتفيت بذكر نماذج لها دون تقديم إحصائية بخصوصها. إذ كانت المقارنة العامة قائمة على التماثل والاختلاف فقط فليس هناك مقارنة عامة قائمة على التشابه. فمن أمثلة المقارنة العامة القائمة على التماثل قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلا خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ ،لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً، وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ**

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٢٩، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٠.
(٢) الاتساق في نهج البلاغة: ١٠٨.

**وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ»**[1].

عكست الإحالة بالمقارنة العامة استعمال العنصر اللغوي (مثل) صورتين متناقضتين: الأولى مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة، كمن سافر من منزل جديب إلى منزل خصيب، فلاقى في طريقه مشقة كبيرة ولكنه لم يكترث بما يلاقيه إلى جنب ما يطلب، وبالعكس من عمل للدنيا وأهمل الآخرة، فإنه كمن سافر إلى منزل قفر وهجر منزلاً رحيباً طيباً، فهنا كانت المقارنة داخلية وقد أسهمت في جعل النص متسقاً مترابطاً وهذا ما جعل له صدىً وتأثيراً عند المتلقي بترغيبه بالصورة الأولى وتنفيره من الصورة الثانية إذ كان التعبير عن التماثل تماثلاً متبادلاً دون ظهور المحيل عليه متميزة في النص.

ومن المقارنة العامة التي تقوم على الاختلاف قوله (عليه السلام) في وصية له لعسكره بصفين قبل لقاء العدوّ: «**لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ**»[2]. عكست لفظة (أخرى) في نص الوصية الاختلاف الحاصل بين الحجتين، فالحجة الأولى تختلف عن الحجة الآخرى، فإذا كانت الأولى الدفاع عن الإسلام كانت الحجة الثانية فضلاً عن ذلك الدفاع عن أنفسهم وقد ارتبطت كلتا الحجتين بالعبارة الأولى (لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٢-٨٣ (و ٣١).
(٢) نفسه: ١٥/ ١٠٤ (و ١٤).

**(ب) المقارنة الخاصة**:

يرى (هاليداي ورقية حسن) أنّ المقارنة الخاصة هي إحالية أيضاً مثل المقارنة العامة، إلا إنهما يريان أنهّ من الواجب وجود معيار للإحالة يتم من القول إنّ شيئاً معيناً أعلى أو مساوٍ، أو أدنى من حيث النوع أو الكمْ، وحين يواجه السامع اسماً دالاً على المقارنة من هذا النوع فإنه يطالب بمحيل عليه[1].



وعليه فالمقارنة الخاصة خاصية معينة للمقارنة بين الأشياء تتعلق بالكم والنوع، فإذا كانت المقارنة بحسب الكم فإنه يتم التعبير عنها في العنصر العددي داخل بنية المجموعة الإسمية، سواء بوساطة مكمّم دال على المقارنة مثل كلمة (أكثر) أو بوساطة ظرف المقارنة الذي يعدل فرعياً المكمم، أما إذا كانت المقارنة بحسب النوع فسوف يعبر بإحدى الطريقتين:

١- بوساطة نعت مقارن (وهو عنصر الخصيصة داخل المجموعة الأسمية).

٢- أو كفضلة في الجملة بوساطة ظرف مقارن[2].

ومن نماذج المقارنة الخاصة في رسائل الإمام علي ووصاياه قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: «**فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ. وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ**»[3]. فالألفاظ التي دلت على المقارنة الخاصة

(١) ينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٦.

(٢) ينظر: الاتساق في نهج البلاغة: ١٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٦.

صيغ الفعل (أكثر وأقل) وهي دلت على المقارنة الخاصة بالكم وإن كانت بصيغة الفعل، أما التي كانت حسب خاصية النوع كانت على النحو الآتي:

أهون ← أرفق (عنصر الخصيصة هنا كان نعتاً مقارناً)

إنّ النواة الرئيسة في النص هي أمر (الخليفة عثمان) فكانت عودة الضمير على هذه النواة الرئيسة فتحققت بذلك إحالة بالضمائر وإحالة بالمقارنة الخاصة أسهمتا في اتساق النص وربط فقراته كما في المخطط الآتي:



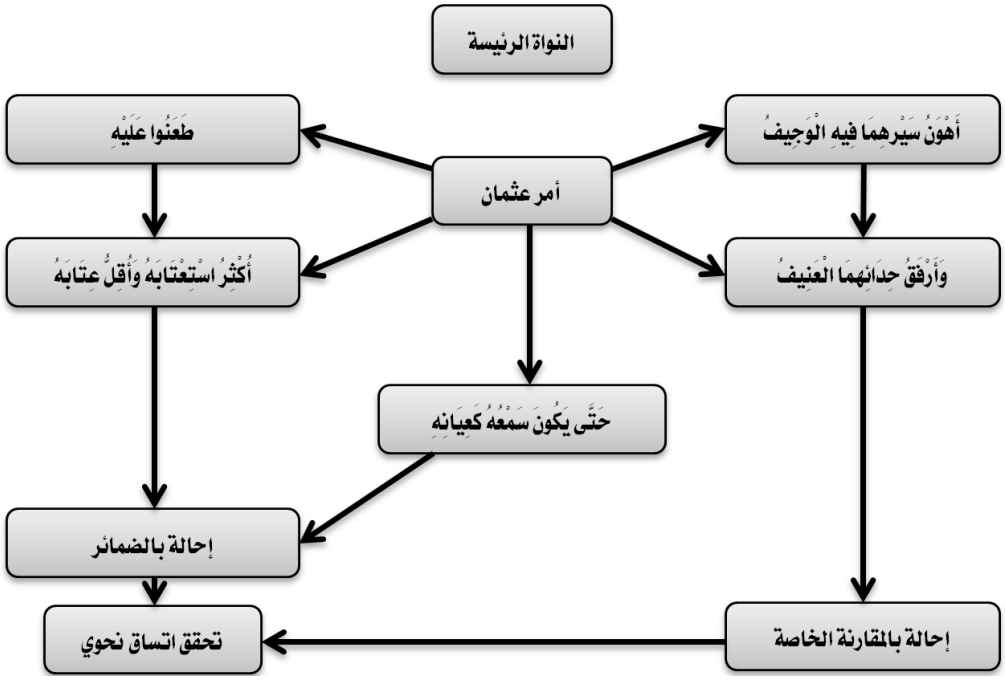


لقد غذت الإحالة (بالضمائر والمقارنة الخاصة) النص دلالياً عن طريق التركيز على قضية رئيسة في النص وهي (أمر عثمان) إذ عكس طبيعة الأوضاع السياسية

بعد مقتل عثمان التي تدهورت كثيراً فأراد الإمام (عليه السلام) توضيح ذلك وكشفه إلى متلقي النص وبيان حقيقة براءته من دم عثمان، فعملت وسائل الاتساق الإحالية (الضميرية والمقارنة الخاصة) على شد الانتباه إلى ذلك عبر التركيز على نواة رئيسة في النص. ومن المقارنة الخاصة أيضاً، ما جاء في عهد له (عليه السلام) إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة: «**وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى**»[1]. إنّ الألفاظ التي دلت على المقارنة الخاصة حسب خصيصة النوع هي (أذل وأخزى) وكانت النواة الرئيسة في النص هي الاسم الموصول (من)، فكانت عودة الضمير على هذه النواة الرئيسة فتحققت إحالتان إحالة بالضمائر وإحالة بالمقارنة أسهمتا في اتساق النص وتماسكه وعلى النحو الآتي:

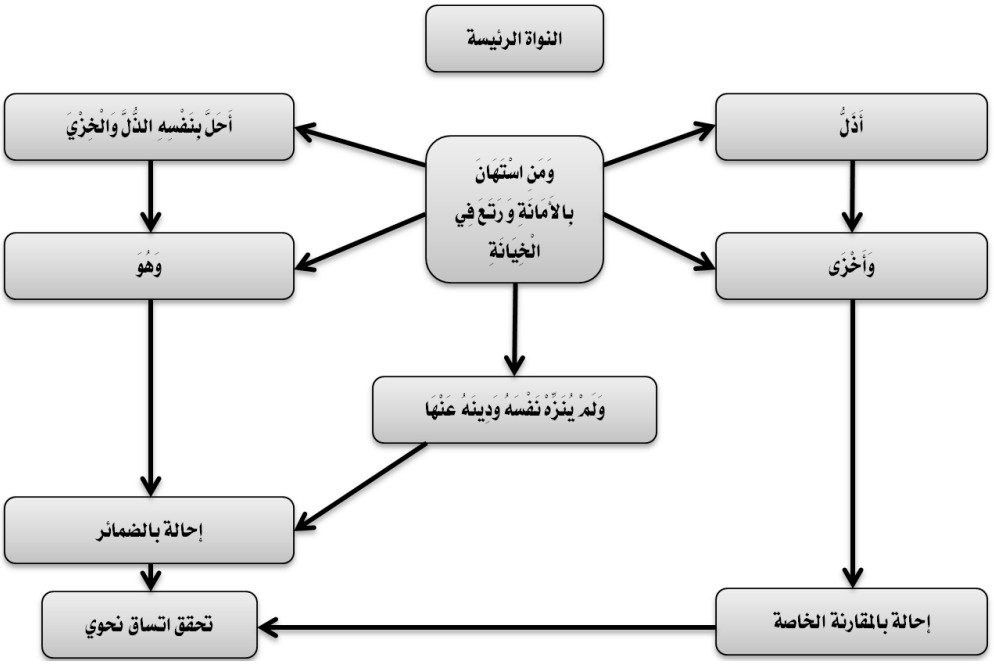


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٥٨ (ك ٢٦).

لقد استثمر الإمام (عليه السلام) وسيلة الاتساق النحوي (الإحالة) من الإحالة بالضمائر والإحالة بالمقارنة الخاصة وذلك كله جاء في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالأمانة لما يترتب عليها من ضرر يلحق من يقوم به في الدنيا والآخرة، كذلك أسهم التكرار للألفاظ (نفسه، بنفسه)، (الذل، أذل)، (الخزي، أخزى)، في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، فضلاً عن ذلك التضاد القائم بين (الدنيا والآخرة)، إذ إنّ تأثير الخيانة لا يقتصر على الحياة الدنيوية وإنما يمتد إلى العالم الآخروي. من ذلك يتبين لنا أن الإحالة بالمقارنة بنوعيها (العامّة والخاصّة) بنت نصوصاً متسقة ومتماسكة.



ختاماً وفي مستهل إحصائنا للرسائل والوصايا، وكما موضح في الملاحق الموجودة في نهاية البحث نجد أنّ الإحالة وبأنواعها كافة كانت أبرز وسائل الاتساق النحوي وجوداً في النصوص، إذ لا يكاد يخلو كتاب أو وصية من نوع من أنواع الإحالة وهذا يلفت النظر إلى شيء مهم، هو أنّ الاتساق النحوي أبرز انواع الاتساق ظهوراً وفاعلية في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، وقد برزت الضمائر بين أنواع الإحالة على سطح النصوص الموجودة، والسبب وراء ذلك كلّه أن الضمائر تعد ((من أبرز الأدوات التي يستعملها المتكلمون أو الكتّاب للإحالة على كيانات معطاة))[١]، ويعلل بروان ويول ذلك بأنّ الضمائر تلفظ بطبقة صوتية منخفضة في اللغة المنطوقة، أي ليس لها بروز صوتي ولفظي ملحوظ؛ ونظراً لفراغها من محتوى[٢]، وبهذا خرجا بنتيجة تؤكد بأن الضمائر أصبحت ((الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في

(١) الإحالة في نحو النص: ٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب: ٢٥٦.

الإحالة عن تفسيرها))[1]، ولعل السر وراء كثرتها في الرسائل والوصايا هو وجود موضوع محدد للرسالة والوصية الذي يعد عاملاً مساعداً على بروز ظاهرة الإحالة بالضمائر إلى صاحب هذا الموضوع أو شيء له علاقة بما في النص من أمور فأغنت الضمائر عن إعادة تكرارها فضلاً عن ذلك إن هذه الإحالات معروفة عند القارئ (المتلقي) الذي اتضحت له هذه الضمائر وطبيعة إحالاتها في ضوء موضوع الرسالة أو الوصية.



**ثانياً: العطف.**

وهو فن دقيق المسلك، وسر من أسرار البلاغة، وشغل القدماء والمحدثين قال فيه: الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) في معرض حديثه عنه: ((واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول: (إنه خفي غامض ودقيق صعب) إلاّ وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب))[2].

فيرى أن امتلاك البلاغة هو إتقان مواضع العطف وتركه، وأنّ من اتقنه سهل عليه امتلاك بقية الأبواب، فيقول: ((اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصّواب فيه إلاّ الأعراب الخلص وإلاّ قوم طُبعُوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: ((معرفة

(١) نفسه: ٢٥٦.

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٣١.

الفصل من الوصل)) ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة))[1].

أما الدراسات النصية الحديثة فقد تناولت العطف ضمن ظاهرة الاتساق وعدته ظاهرة نصية لها باعها في تحديد النص، إذ ذهب بعض الباحثين إلى تحديد بنية النص بالمركب العطفي[2]. فكلما ازدادت أدوات العطف في نص ما، ازدادت قوة التماسك النصي بين كلمات النص الواحد وعباراته وجمله[3]. وللعطف شروط وحدود لا يمكننا تجاوزها ((فلا يجوز أن نعطف الشيء على نفسه، كما لا يجوز العطف بين أمرين لا يجمعهما أي جامع – سواء أكان هذا الجامع لفظيّاً أو دلالياً–))[4].

وقد كان النظر لهذا الموضوع ينصب على كونه ظاهرة نحوية غير مرتبطة بالدلالة العامة للنص، فقد أدت دراسة العطف بعيداً عن سياقاته النصية إلى معانٍ ضيقة للعطف ومن ذلك ما ذهب إليه السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) من أنّ الحالة التي تقتضي العطف هي كون ((المراد تفصيل المسند إليه مع اختصار كقولك جاء زيدٌ وعمرٌ وخالدٌ، أو تفصيل المسند مع اختصار كقولك جاء زيدٌ فعمروٌ فخالدٌ، أو ثم عمروٌ ثم خالدٌ أو جاء القوم حتى خالدٌ))[5]. فيلحظ أن انحصار أثر العطف على التفصيل والاختصار فيه تضييع لكثير من وظائفه

(١) دلائل الإعجاز: ٢٢٢.
(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ٤٣١.
(٣) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ٢٤٨.
(٤) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٢.
(٥) مفتاح العلوم: ٩١.

الدلاليّة وسبب ذلك هو تناول دراسة العطف بعيداً عن سياقاته والنظر إليه على أنه تركيب نحوي قائم على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه. ومثل هذه النظرة نجدها عند الأزهر الزناد في أثناء حديثه عن الروابط بين الجمل في النص ولا سيما الربط الخطي الذي ((يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر. مثل الواو في العربية))[1]. فهذا الحكم الذي جاء به الزناد نابع من النظرة السطحية لظاهرة العطف بالواو أو غيرها من الأدوات فمعنى الواو يختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه العطف، إذا إنّ هناك مواضع تستعمل فيها الواو ولا يكون المقصود بها الجمع من ذلك ما أورده سمير شريف استيتية في كتابه (منازل الرؤية) في تحليله لجملة (فلان يحلل ويحرمُ)؛ إذ ((ليس المقصود بالواو هنا، أن تجتمع بين التحليل والتحريم، وإنما يقصد بها أن تشير إلى عشوائية القيام بهذين الفعلين))[2].

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين في النظرة الشكلية إلى العطف إلى أبعد من ذلك إذ رأى أنّ العطف ((ما هو إلا حرف يرْمزُ بالاتفاق إلى أنّ الناص أراد العطف؛ أي أنه أراد أن يلفت المتلقي إلى اشتراك التركيب الحالي مع سابقه في الحكم ...؛ إذ أطلق حرفاً لا يدل على معنى كالواو مثلاً، ففهم منه معنى أعطف وأشرك في الحكم))[3]. ولكن حقيقة الأمر أن دراسة أسلوب



(١) نسيج النص: ٣٧.

(٢) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، سمير شريف استيتية: ١٤٦، نقلًا عن: التماسك النّصيّ (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة)، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، (أطروحة دكتوراه): ٨٨.

(٣) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة: ١٨٤.

العطف من خلال النصوص ومعرفة السياق الذي يرد فيه يمكننا من تلمس وظائف دلاليّة متنوعة لهذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال نرى الواو العاطفة قد تؤدي معنى إزالة الشك ومعنى المراوحة بين شيئين أو فعلين ومعنى المخالفة ... وهكذا[1]. ويتحقق العطف بوساطة أدوات وهي ((علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص))[2].



وقد وضع (هاليداي ورقية حسن) تصنيفاً لأدوات العطف - بعد أن أطلقوا عليه مفهوم الربط - وهذا التصنيف أصبح فيما بعد مرجعاً للباحثين والدارسين في مجال علم اللغة النصي ويتكون من أربعة عناصر، هي (الربط الإضافي، الربط الاستدراكي، الربط الزمني، الربط السببي)[3]. وفيما يأتي إحصائيات لأدواته في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه.

| نوع النص | أدوات العطف (عدد المرات) | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الواو | الفاء | أو | ثم | بل | لا | إمّا | أم |
| الرسائل | ١٥١٤ | ٤٦١ | ٤٦ | ٣٥ | ٢ | - | ٣ | ٢ |
| الوصايا | ٥١٩ | ١٦٧ | ٢٥ | ٢٥ | ٣ | ٥ | ١ | - |
| المجموع | ٢٠٣٣ | ٦٢٨ | ٧١ | ٧١ | ٥ | ٥ | ٤ | ٢ |

(١) ينظر: منازل الرؤية: ١٤٥-١٥١، نقلًا عن: التماسك النصّي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ٨٩.

(٢) نسيج النص: ٣٧.

(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٣، الاتساق في نهج البلاغة: ١٢٥،

ومن استقرائنا لإسلوب العطف يتضح:

١- أنّ نسبة حروف العطف (ثم، بل، إمّا، أو) قليلة مقارنة (بالواو والفاء).

٢- أن أكثر أدوات العطف هي الواو، وعليه فإن الربط الإضافي من أكثر أنواع الربط لأن نصوص الرسائل والوصايا تعتمد على إضافة المعلومات وتراكمها لبناء النص.



٣- تنوع الأدوات العاطفة وذلك يتناسب مع السياق الذي تستعمل فيه.

ومن الجدير بالذكر ((أن طبيعة الربط بالأداة تختلف عن علاقات الاتساق الأخرى (الإحالة، الاستبدال، الحذف) فهي ليست علاقة أحالية وإنما تعبر عن معانٍ معينة تفترض وجود مكونات أخرى في النص))[١]. فأثر العطف لا ينحصر في تحقيق الاتساق على مستوى الجزء من الكلام وإنّما يتوزع على مستويات متنوعة فأحياناً نجده على مستوى الالفاظ وأحياناً على مستوى الجملة وأحياناً على مستوى الجمل والفقرات وأحياناً على مستوى النصوص، وله أهمية كبرى ((في وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلاً واحداً))[٢].

وفي دراستنا لإسلوب العطف في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بمختلف أدواته نجده يسير في اتجاهين[٣]*: اتجاه خطي أي أنّ منظومة

(١) الاتساق في نهج البلاغة: ١٢٥.

(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٢.

(٣)* هذا يتوافق مع ما أشار إليه الباحث عيسى جواد الوداعي في بحثه الموسوم (التماسك النّصيّ عليه السلام دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ٩٠.

المعطوفات تسير في خط مستقيم ويفيد اشتراك المعطوفات في حكم ما، وهو الأكثر في نماذج العطف ويمكن ملاحظته في النماذج المحللة لاحقاً. واتجاه آخر يمكن أنّ نسميه دائرياً وذلك لارتباط المعطوفات كلها بمركز واحد وفي هذا الاتجاه من العطف يتعذر إسقاط أي جزء؛ لأن الاسقاط يؤدي إلى نقصان الدائرة وعدم اكتمالها. ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في رسالته إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ**»[1].



لقد أدى العطف في هذه المقطوعة من نص الرسالة وظيفة اساسية في رسم صورة هؤلاء الجماعة من المؤمنين، وقد أراد الإمام (عليه السلام) أن يجعلهم قدوة يحتذى بها كل قارئ لهذا النص؛ إذ عليه أن يلتزم بكل الأفعال التي قدمها كي يفوز بغفران الذنوب وهي الغاية المرجوة لكل عابد لله سبحانه وتعالى، فكل فعل من الأفعال المذكورة يستقل بحالة تكمل شخصية المؤمن المثال، فلو حذفنا فعلاً من الأفعال أو قطعناه عن سياقه ولم نعطفه على سابقه لما تمت دلالة النص فنرى أنّ الإمام (عليه السلام) قد رتب الأفعال ترتيباً دلالياً قائماً على علاقة (سبب/ نتيجة) فالفعل الأول سبب في حصول الفعل الثاني... وهكذا.

**أسهر عيونهم (سبب) ← تجافت مضاجعهم (نتيجة)**

**همهمت شفاههم (سبب) ← تقشعت ذنوبهم (نتيجة)**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٥ (ك ٤٥).

ومثل ذلك ما جاء بأداة العطف (بل) التي تفيد الإضراب[1] إذ جاءت الجمل الإضرابية مترقية ترقياً منطقياً متسلسلاً تقود فيه الأولى إلى الثانية، وهذه إلى الثالثة مثلما جاء في قوله (عليه السلام) في عهده إلى واليه على مصر الأشتر النخعي: «**فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ**»[2]. إذ نهى الإمام (عليه السلام) واليه عن تقوية سلطانه بسفك الدم الحرام، وعلل ذلك بأنه يضعف السلطان ويوهنه، فنلحظ ترقياً دلالياً في معنى الجملتين السابقتين على (بل) واللاحقتين عنها، ففي الجملتين السابقتين نلحظ وجود (الضعف) وهو ((نقصان القوة))[3]، ارتبط بالواو العاطفة التي أفضت إلى نتيجة أولى وهو (الوهن) الذي هو ((أشد الضعف))[4] وأفادت (بل) إضراب النص من هذه النتيجة إلى أخرى أشد منها وقعاً على الوالي كذلك نجد أنّ ما بعد (بل) قد أفضى عطفه بالواو إلى تحول إزالة الحكم إلى انتقاله فلا يمكن أن نحذف من هذه الأفعال أو أن نغير مكانه؛ لأن ذلك يمنع ترابط النص واتساقه فمثلما ((لُحظ الترقي مما قبل (بل)، فهو ملحوظ ممّا بعدها أيضاً؛ لكون نقل سلطان الوالي أوجع لقلبه من إزالته، فمفردة (يزله) تلحظ انتهاء سلطته، أمّا (ينقله) فتلحظ تحول السافك للدم من حاكم آمرٍ ناه إلى محكوم مأمور منهي، ولا شك أن ثاني اللحاظين أشدهما على الحاكم السافك للدم الحرام))[5].

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٣٤، ٤/ ٢٢٣، الجنى الداني، المرادي: ٢٣٥، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي: ١١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١١١ (ك ٥٣).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٣٢.

(٤) معاني القرآن الكريم، النحاس: ١/ ٤٩١.

(٥) الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة، دراسة دلالية: ٥٦.

والذي نلحظه في الجمل التي وردت في النص أنها جمل فعلية مضارعية تفيد الحدوث والتجدد وهذا حافظ على اتساق النص من جانبين: الأول هو ((أن النتائج المترتبة على سفك الوالي للدم الحرام من ضعف سلطانه، ووهنه، وازالته، ونقله تتدرج في الحدوث تباعاً، يكون سابقها في النص مؤدياً إلى لاحقها، وبذا يكون التدرج الزمني متساوقاً مع التدرج الدلالي))[1]. والآخر: أسهمت دلالة الفعل المضارع على التجدد والحدوث على تحويل الخطاب من خطاب مباشر إلى مالك بن الأشتر النخعي إلى خطاب غير مباشر لكل من يتولى أمر المسلمين، فجاء النهي عند تقوية السلطان بسفك الدم الحرام عاماً فلم يتحدد بعهد الأشتر على ولاية مصر فحسب وإنما يصلح لكل الأزمان والأمكنة، كذلك يصلح لخطاب كل الأشخاص من ذوي السلطان. ويلحظ أثر العطف في تحقيق الاتساق النصي أيضاً في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): «**فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ**»[2]. يتضح من هذا النص أن الإمام (عليه السلام) قد استعمل الأداة نفسها (واو العطف) لتحقيق المباعدة بين فعل الشرط وجوابه، الأمر الذي يجعل المتلقي متحفزاً للجواب، فيربط الأجزاء بعضها ببعض ممّا يبقي النص متماسكاً في ذهنه مهما ابتعد طرفا التركيب الشرطي، فهذا التركيب يحتاج لتمامه إلى ثلاثة أركان:

أداة الشرط + فعل الشرط + جواب الشرط

(١) الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة، دراسة دلالية: ٥٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٠ (و ٣١).

وقد ساق الإمام (عليه السلام) أداة الشرط (إن) ويؤتى بها للدلالة على الشرط المشكوك فيه؛ إذ إنّ ((الأصل في (إن) أنْ لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه))[1]، وإنّما اشترط فيما تدخل عليه (إنْ) أن يكون مشكوكاً فيه؛ لأنها تفيد الحثّ على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء ويمتنع فيه لامتناع الجزاء[2] واتبعها بفعل الشرط (أيقنت) وجاء بتراكيب باعد بوساطتها بين فعل الشرط والجواب (فانظر)؛ ولكنه استعمل (الفاء) التي خدمت النص فهي تفيد دلالة الترتيب والتعقيب دون إمهال وتراخٍ[3]، على سرعة تعاقب الأحداث فصفاء القلب نتج عنه الخشوع، وتمام الرأي نتج عنه الخشوع، فخلق ذلك عند المتلقي حالة من الاستقرار والثبات ممّا هيّأه لتلقي الجواب، فالمباعدة بين أطراف التركيب الشرطي لم تشتت ذهن المتلقي وإنما بقي متيقظاً للجواب ليكتمل المعنى في ذهنه. ومن آثار العطف في اتساق النص، إنه يؤدي أثراً مهماً في تبئير بعض عناصر النص المرتبطة بالجملة الأولى، وتحويلها إلى محاور أساسية يدور عليها ذلك النص ومن أمثلة ما جاء في وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: «**وَلا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلا هَرِمَةً وَلا مَكْسُورَةً وَلا مَهْلُوسَةً، وَلا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلا تُوَكِّلْ بِهَا إِلا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلا مُجْحِفٍ وَلا مُلْغِبٍ وَلا مُتْعِبٍ**»[4].

(١) الايضاح في علوم البلاغة: ٩١.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٣٥.

(٣) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٢٩، ٤٣٨، ٤/ ٢١٧، الجنى الداني: ٦١، نتائج الفكر، السهيلي: ١٩٦، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ٢١٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٥٢ (و ٢٥).

ففي هذا النص تمكن الإمام (عليه السلام) بوساطة العطف من محورية الأفعال (لا تأخذن) و (لا توكّل) وصيرهما المركز في هذه الوحدة النصية ففي الفعل الأول ربط به خمس صفات خاصة بالإبل، أما الفعل الثاني فربط به ثمان صفات خاصة بمن يوكل بمال الصدقات، الأمر الذي يعني أنّ العطف قد أدى وظيفة التوسيع؛ ولكنه في الوقت نفسه قد أدى وظيفة الدمج تبعاً لقانون الاقتصاد اللغوي فأغنى عن إعادة الأفعال؛ لأن ذلك ممّا يثقل النص ويضعفه وهو ما يمكن أن نمثله بالمخطط الآتي:



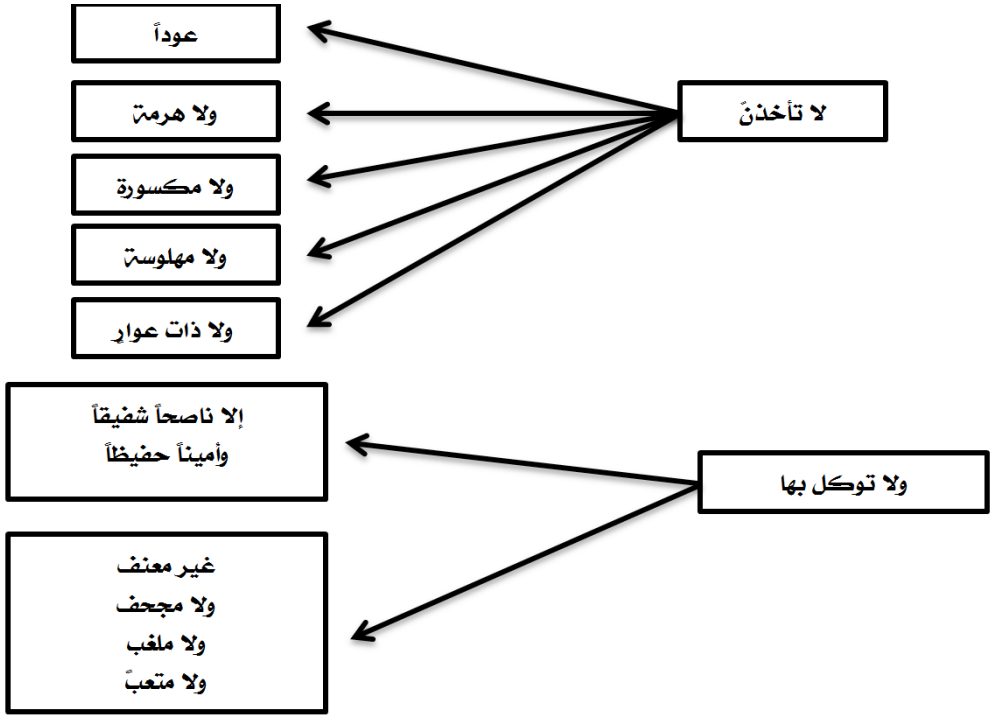

إذ استثمر الإمام (عليه السلام) العطف بين صفات متغايرة وسبب ذلك هو أنّ (( (الواو) إنما تجمع بين الشيئين لا بين الشيء الواحد، فإن كان في الاسم الثاني فائدة زائدة على معنى الاسم الأول، كنت مخيراً بين العطف وتركه فإن عطفت فمن حيث (قصدت تعداد الصفات، وهي متغايرة)))[1]. ((فمعنى قوله: («إِلا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً» يحفظها ولا يخون فيها، ويخاف عليها من العطب وينصح للمسلمين فلا يحيف عليهم (غير معنف) من العنف بمعنى الشدة (ولا مجحف) يجحف بحقها أي يظلم في إعطاء الكلاء والماء... (ولا ملغب) يورث تعب الحيوان... (ولا متعب) اللغوب أشد التعب ففي الكلام تدرج من الأعلى إلى الأسفل))[2].

فيتبين لنا مما سبق بعض الضوابط التي تخص الصدقات من بينها هذه الأمور فأراد الإمام (عليه السلام) أن ((ينهاه أن يأخذ في مال الله ما كان بأحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة بكباد ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبراً لحال مصارفه وهم الأصناف الثمانية الذين عدّدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم))[3].

ومثله أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ**

(١) نتائج الفكر: ١٨٧.
(٢) توضيح نهج البلاغة: ٤/ ١٧.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤٩٣.

**وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ**»[1]، فيلحظ أنّ لفظ (الطاعة) محور هذه الوحدة النصية والمهيمن عليها فلا وجود لها إلاّ به، إذ لا يمكن قطع أي منها ولو فعلنا ذلك لضاع الأثر المبتغى ايجاده في نفس المتلقي وهو ما يوضحه المخطط الآتي:

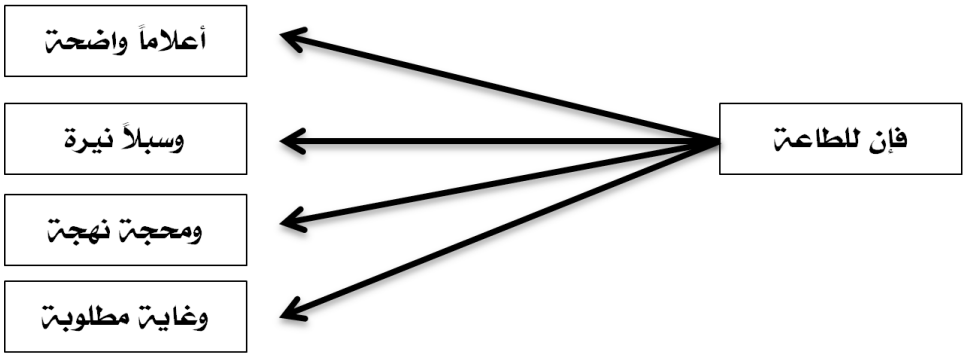




فضلاً عن ذلك أن الإمام (عليه السلام) قد لجأ إلى الربط بالضمير الذي يعود على لفظ الطاعة، ناهيك عن أنّ الإمام (عليه السلام) قام بعطف جملتين متقابلتين وهما: يردها الأكياس ويخالفها الأنكاس. ومثل هذا كثير في نماذج الرسائل والوصايا إذ شاع العطف بكثرة بين جملتين عادة ما تكونان متسقتين دلالياً أو متقابلتين متضادتين وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الأزهر الزناد بقوله: ((كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط))[2].

وفي النص ذاته أيضاً تمركز للفعل (نكب) الوارد في صيغة الشرط، وقد تبنى عليه أربعة أفعال (جار، خبط، غيّر، أحّل) مرتبط بعضها ببعض

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦ (ك ٣٠).
(٢) نسيج النص: ٢٨.

بوساطة أداة العطف (الواو) فلا يمكن الاستغناء بواحد من الأفعال دون سائرها، فمن عدل عن الحق مال عنه في المرحلة الأولى ثم يقوده ذلك إلى أن يمشي تائهاً على غير هداية لا يعرف طريقه، وينبني على ذلك تغير نعمة الله سبحانه وتعالى عليه ويختم الفعل (أحلّ به) النتيجة النهائية وهي إنزال النقمة على (من نكب عن الحق) فهنا العطف يسير في إتجاه دائرة يكمل الأفعال بعضها بعضاً وترتبط جميعها على صورة (سبب، نتيجة) فتسير وفق تسلسل واضح إذ لا يمكن أن يغير أي منها موضعه في النص فوجود اللاحق مترابط بسابقه.



ولا تقتصر فكرة مركزية بعض عناصر النص على (الواو) فقد يتم في استعماله لحرف العطف (أو) مثلاً دلالاتها تكون بحسب ما ترد فيه من سياق، ما إذا كان خبراً كانت للشك، أو الإبهام أو التفصيل، وإذا كان طلباً كانت للتخيير أو الإباحة[١]. ونذكر فيما يأتي أمثلة عن استعمال (أو) للتبئير من ذلك قوله (عليه السلام) في عهده لمالك بن الأشتر: «**فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ، أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ**»[٢]. فلم يكتف الإمام (عليه السلام) بمفعول واحد، بل أنشأ من الفعل (شكوا) محوراً تدور حوله الأحداث التالية، إذ أراد الإمام (عليه السلام) الأسباب التي تحول دون عمارة الأرض التي هي الوسيلة لطلب الخراج، فحاول الإمام (عليه السلام) ربط النتيجة (شكوا) بالسبب

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٢٩، ٤٣٨، الجنى الداني: ٢٢٨، نتائج الفكر: ١٩٨، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ٩٤-٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٧١ (ك ٥٣).

وهو ما يليه من المفاعيل، وكل ذلك مرتبط بفعل واحد وهو (شكا) وبفاعل واحد وهو (الناس) فلا يمكن فصل أي مفعول من المفاعيل لأجله التالية عن سياقه لأنه يؤدي إلى ضياع إرادة الإحاطة بكل الأسباب المؤدية للشكوى ويمكن تمثيل هذه الوحدة المتماسكة بالمخطط الآتي:

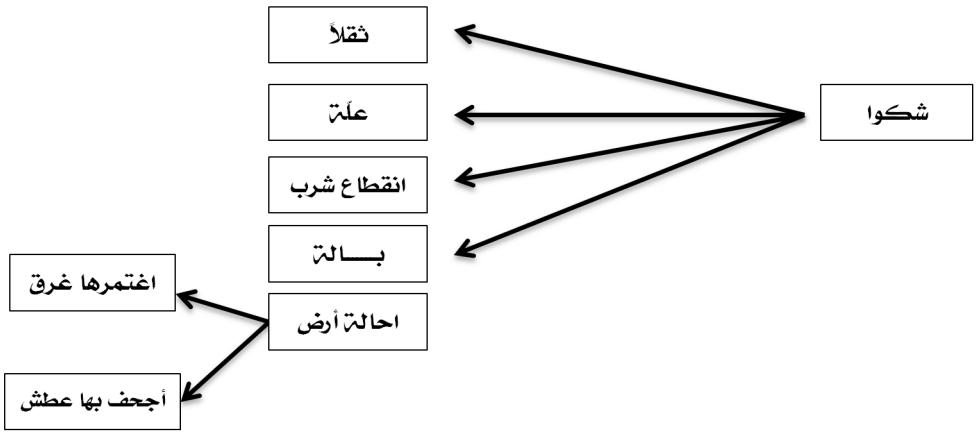


لقد تمكن الإمام (عليه السلام) بوساطة العطف بـ (أو) من جعل الفعل (شكوا) محوراً اساسياً فربط به أربعة أسباب لحصوله، وكذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه من اعماله قال: «**وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ**»[1]. فقد اسهم حرف العطف (أو) في ذكر كل الأمور التي لا يصلح لها من وجّه له هذا الكتاب، وتمّ ذلك من خلال تبئير لقوله: ((فليس بأهل أن))، فإننا واجدون اتكاءً كلياً على

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٧١ (ك ٥٣).

العطف بـــ (أو) لاستقصاء كل الأمور التي لا يصلح لها ويمكن أن نمثل ذلك بالمخطط الآتي:

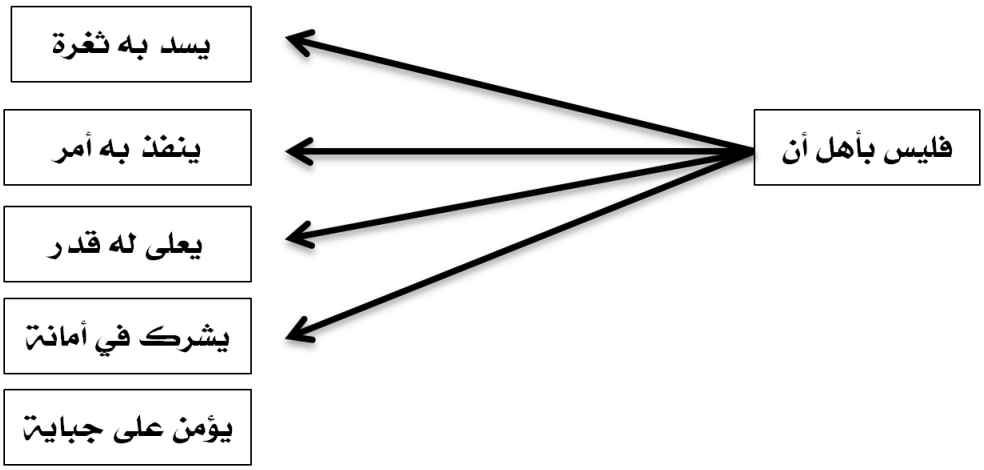




فأغنى حرف العطف (أو) من إعادة (فليس بأهل أن) لأن ذلك يضعف التركيب ويشتت ذهن المتلقي كذلك أفادت التفصيل لما ليس أهل له، ومما يلفت النظر في هذا النص أنه استعمل أفعالاً مبنية للمفعول قال سيبويه فيها: هو أن: ((يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرّغته له، كما فعلت ذلك بالفاعل))[١]، ومن دلالات حذفه هو تحقير الفاعل[٢]، فنجد في النص خمسة أفعال مبنية للمفعول وهي: (يُسد، يُنفذ، يعُلى، يُشرك، يُؤمن) التي خدمت النص من جانبين، الأول: زادت تأكيد

(١) الكتاب: ١/ ٣٣.

(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٧/ ٦٩.

الدلالة على الاحتقار[1]، والآخر: تحويل الخطاب من خطاب مباشر إلى المنذر بن الجاورد العبدي إلى خطاب غير مباشر لكل متلقٍ له ممن وصف بصفات المنذر. وليزيد من تأثير هذه التراكيب نجد اعتماده على التوازي التركيبي والسجع الذي أسهم في خلق ايقاع داخلي للنص وتوطيد فكرة تبئير هذه الأمور التي لا يصلح لها من خوطب بهذا النص. وقد يكون اللجوء إلى العطف لتبئير الفكرة العامة أو القضية العامة للنص من ذلك قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا**»[2]. لقد اعتمد الإمام (عليه السلام) على التوازي التركيبي وهو:

فعل ماضٍ + الفاء عاطفة + فعل ماضٍ

**دعتك فأجبتها**

**قادتك فأتبعتها**

**أمرتك فأطعتها**

وقد مكنه ذلك من تبئير الصفات السلبية للدنيا ومن يغتر بها، الأمر الذي يصب في الغرض الرئيس من النص، وهو التحذير من الدنيا، والتزهيد فيها، وأفاد العطف بالفاء التي تفيد دلالة الترتيب والتعقيب دون إمهال أو تراخ في رسم صورة من يطاوعها، إذ أظهر تكرار الفاء العاطفة بين الفعلين

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٩٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

سرعة استجابته لأوامرها فليس هناك مهلة بين الفعلين، فبمجرد أن دعته أجابها وبمجرد أن قادته اتّبعها وبمجرد أن أمرته أطاعها، وهذا ما يظهر سيطرتها المطلقة عليه وعلى أفعاله نتيجة انخداعه بها لما قدمت إليه من ملذات ومغريات، فجاء استعمال الفاء متسقاً مع دلالة النص الكلية.

وقد يؤدي العطف بالواو أثراً في توسيع المعنى من ذلك ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تعرّضت لِلْفَضِيحَةُ وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ**»[1]. لقد اعتمد الإمام (عليه السلام) على العطف بـ (الواو) في هذه الوحدة النصية، كي يتسنى له الإحاطة بكل القضايا التي أراد بيانها في العلاقة بين العبد وربه فعلّق كل هذه التراكيب بالاسم الموصول (الذي)، الذي ظهر أولاً في قوله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**»ليوضّح سعة رحمة الله بعبارة فمهما يفعل العبد من أخطاء فإن الله يغفر له ذنوبه ويتجاوز عن أخطائه ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: «**فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٦-٨٧ (و ٣١).

**عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ** »[1]. قام النص على مركبات وصفية أسهمت كلها في رسم صورة هؤلاء الناس من أهل الشام؛ إذ ذكر مجموعة من الصفات منها: باطنية قائمة في ذهن المتلقين وهي (العمي القلوب، الصم الاسماع، الكمة الابصار) وصفات أخرى ظاهرة للعيان وهي ترتبط بواقع مادي يعيشه المتلقون، وهذه كانت محاور التوسيع التي جاءت بعد الاسم الموصول (الذين) فكل جملة تصح بأن تكون صلة للموصول فكان الاسم الموصول بؤرة مركزية لتوسيع المعنى كما في المخطط الآتي:



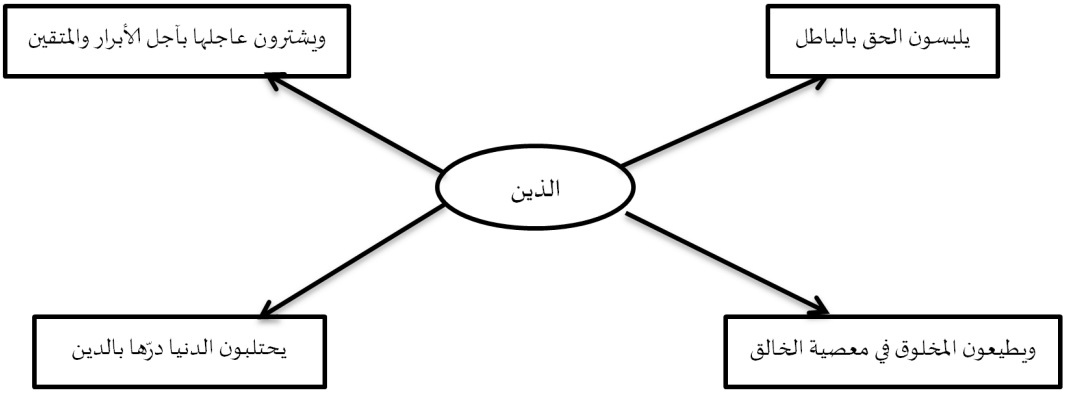


إذ يظهر الاتكاء على العطف في القسم الأخير من هذه الصفات؛ ذلك لأنه أراد الإحاطة بصفات هؤلاء الناس من أهل الشام واستقصاءها كلها. أما إذا كان هناك اشتراك بين الوحدات النصية من ناحية الزمان فإن الإمام (عليه السلام) حينئذ يستعمل اداة ربط عاطفة تدل على الزمان، ليربط الوحدات النصية بعضها ببعض وذلك لوجود مسافات زمانية بين حدوث الأفعال

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٦-٨٧ (و ٣١).

من ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ**»[1]. فأراد الإمام (عليه السلام) أن يخبر المتلقي أنه إنما خلقت في مبدأ خلقتك جاهلاً فمن خلق جاهلاً حقيق أن يكون جهله مدّة عمره أكثر من علمه استصحاباً للأصل ثم أراد أن يؤنسه بكلمة استدرك بها إيحاشه، فقال له: ((وعساك إذا جهلت شيئاً من ذلك أن تعلمه فيما بعد، فما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحيّر فيه، ثم تبصره وتعرفه))[2]. فبين الجهل والعلم مهلة زمنية غير محددة بوقت معلوم قد يمتد إلى ما لا نهاية لأنّ ثم حرف يفيد الترتيب مع التراخي في الزمان[3]، وأفاد دلالة التأخير لفظ (بعد) الذي يدلّ ((على تأخر شيء عن آخر في زمانه أو مكانه تأخّراً حسيّاً أو معنويّاً))[4]، فأفاد (بعد) في هذا النص دلالة تأخر الإبصار عن الجهالة والحيرة والضلالة وربط بين زمانها كلها وزمان آخر مختلف عنها، وهو زمان التبصرة في نقلة تعاقبية؛ إذ جاء استعماله مناسباً؛ لأن المتقدم على الظرف والمتأخر عنه في صنف واحد وهو المعاني النفسية (الجهالة، التحير، الضلالة)، فترى فطنة الإمام (عليه السلام) للفعل (تبصره) بوصفه مقابلاً لكل الأفعال المتقدمة، إذ يدل على العلم والمعرفة والوضوح والبيان[5].



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٤ (و ٣١).
(٢) م.ن: ١٦/ ٧٥.
(٣) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٢٩، الجنى الداني: ٤٢٦، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ١٣٢.
(٤) المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ١١٤
(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (بصر): ٢/ ٩٤.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) لإنشاء الترابط في النص على أدوات العطف والربط الزمني، وإنما وظف الإحالة الموسعة لاسم الإشارة (ذلك) إذ حلّ محل كل التراكيب المتقدمة، فكان غاية في الإيجاز، فجاء النص كلاً موحداً متسقاً.

نخلص من ذلك كله إلى أنّ العطف كان تقنية من تقنيات توسيع الجملة الأولى سواء كان ذلك التوسيع باعتماد أحد أركان الجملة الأولى والعطف عليه، أو بالمباعدة بين طرفين مترابطين من فعل الشرط وجوابه كذلك استعمل العطف لتبئير بعض عناصر النص وجعلها محوراً أساسياً مؤثراً في سياق النص، أو لتبئير الفكرة العامة أو الموضوع الأساس للنص، أو للجمع أو مطلق الجمع.



**ثالثاً: الحذف**

يعدّ الحذف من وسائل الاتساق النحويّ، وهو عملية تقع بين المرسل والمتلقي إذ يقوم المرسل بعملية الحذف، لكنّه لا يحذف إلاّ ما كان معلوماً عند المتلقي أو من خلال وجود قرينة تدل على المحذوف[١]، وإلّا كان من تكليف العلم بالغيب كما يقول ابن جني[٢] (ت ٣٩٢هـ) وفيه تظهر شخصية المتلقي المبدع الذّي يشخص مواطن الحذف ويضع في الوقت نفسه التقديرات التي تنسجم مع النص من خلال القرائن اللفظية التي تفهم من سياق النص وتدل على المحذوف.

(١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة: ٦.
(٢) ينظر: الخصائص: ٢/ ٣٦٠.

وقد تنبّه اللغويون القدامى لهذه الظاهرة وأثرها في البنية اللغوية فلاحظ الجرجاني أهمية الحذف إذ عقد له باباً في كتابه (دلائل الإعجاز) وصفه فيه بأنه ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))[1]. وهو بذلك يبين ما للحذف من أهمية وفائدة تتجاوز الذكر في بعض الحالات فإذا كانت بعض العناصر النحوية تؤثر بوجودها فهناك عناصر محذوفة يؤدي حذفها إلى تأثير آخر. لذلك عدّ الحذف من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحويّة والبلاغيّة بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري الاعتيادي من حيث أنه لا يورد المتوقع من الألفاظ ومن ثم تراه ((يفجّر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه، وتجعله يتخيل ما هو مقصود))[2].

ويلحظ الباحثون أن أهمية الحذف تعظم وتكبر بما توفره من ترابط بين الجمل ضمن الخطاب أو النص[3]، ومع أنّ اللغات جميعها تشترك في سمة الحذف، وضرورة وجود قرينة أو أكثر للدلالة على المحذوف، إلا أنها تختلف من حيث أسباب الحذف وأغراضه وشروطه وأنواعه، تبعاً لطبيعة كل لغة وقواعدها[4]. فقد عدد النحويون والبلاغيون العرب أغراض الحذف فذكروا منها: التخفيف والايجاز والاتساع والتفخيم والإعظام وقصد الإبهام...وغيرها[5].



(١) دلائل الإعجاز: ١٤٦.
(٢) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان: ١٣٩.
(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٢.
(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٢/ ١١٤٧.
(٥) ينظر: ظاهرة الحذف في الدر س اللغوي: ٨٩-١٠٠.

وقد أشار (دي بوجراند) إلى وظيفة مهمة للحذف وهي: الاستغناء عن العبارات التي لا تضيف للمعنى شيئاً سوى الإسراف في التراكيب، إذ يرى فيه وسيلة لاستبعاد ((العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسّع أو يعدّل بواسطة العبارات الناقصة))[1]، فاللجوء إلى الحذف ينبع من دواعٍ جمالية وبلاغية تزيد النص رصانة وتؤدي به إلى الاتساق من خلال المشاركة بين المرسل والمتلقي في انتاج المعنى وتأليفه في ضوء الإفادة من التراكم المعرفي عند كل منهما.



ومن الجدير بالذكر أنّ علاقة الحذف إمّا أن تكون علاقة داخل النص، ولذا فإنّ الأعم الأغلب أن يرتبط المحذوف عادة بعلاقة قبلية مع العناصر اللغوية التي تسبقه[2]، وقد تكون علاقة الحذف خارجية تستمد من سياق الموقف والحال، وهذا السياق هو الذي يمد المتلقي بالمعلومات التي يحتاج إليها لتفسير المثال[3]. وتسمى بالمرجعية الخارجية وتعرف بأنها ((ما دلّ على المحذوف من خارج النص بشرط وحدة الموضوع، مع كون النص لقائل واحد))[4]. أما أنواع الحذف فقد توزعت في الرسائل والوصايا بالشكل الذي يوضحه الجدول الآتي:

(١) النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.

(٢) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي: ٢/ ٢٠١، الاتساق في العربية: ١٥٠.

(٤) الحذف صورة ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (رسالة ماجستير)، هادي شندوخ حميد: ١٢.

| نوع الحذف | عدد المرات في الرسائل | عدد المرات في الوصايا | المجموع |
|---|---|---|---|
| حرفي | ٧٤ | ٣٤ | ١٠٨ |
| اسمي | ٧٨ | ١٥ | ٩٣ |
| فعلي | ١٦ | ٦ | ٢٢ |
| شبه الجملة | ٢٩ | ١١ | ٤٠ |
| جملة (تركيبي) | ١٤٦ | ٤٦ | ١٩٢ |



ومن دراسة الحذف تبين لنا:

تعدّد أنواع الحذف في الرسائل والوصايا.

أكثر أنواع الحذف هو الحذف التركيبي؛ وذلك يسهم في تقصير السجعات.

تفاوت نسبة الحذف تبعاً لطول النص، فنجد ارتفاع هذه النسبة في النصوص الطويلة، في حين تنخفض في النصوص القصيرة نسبياً.

والذي يهمنا في هذا البحث هو الأثر الذي يؤديه الحذف في اتساق النص، إذ سنحاول الوقوف على أثر ظاهرة الحذف في بناء النص واتساقه وارتباط المحذوفات بالجملة الأولى، فهي التي توجّه المحذوفات في النص، فضلاً عن أنها تعطي المتلقي السياقات اللفظية لاكتشاف المحذوف، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) الحذف كثيراً في رسائله ووصاياه إذ لا يكاد يخلو نص من ظاهرة الحذف حتى غدا ملمحاً أسلوبياً فيها. وقد تمَّ اختيار نماذج الدراسة وفاقاً لطبيعة علاقة الحذف ونوع الحذف ومن ذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أهل البصرة بعد فتحها: «**وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ**

**بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ»**[1].

فما نلحظه في هذا النص استعمال الإمام (عليه السلام) العطف (بالواو) لعطف القضايا الرئيسة في النص بعضها على بعض إذ يمثل كل فعلين متجاورين قضية مستقلة في النص، كذلك عمد الإمام (عليه السلام) إلى العطف (بالفاء) بين الفعلين المكونين لكل قضية؛ إذ أراد تحقيق سرعة حصول النتيجة بمجرد حصول السبب، فالطاعة حصلت بمجرد السماع، والإجابة حصلت بمجرد الدعوة والمظهر الآخر من مظاهر الاتساق الذي نحن بصدده الآن-هو مظهر الحذف، فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى تكثيف المحذوفات في هذه الوحدة النصية فحذف (عليه السلام) المفعول به من الأفعال كلها التي جاءت في سياق العطف، والغاية الأساس من حذف المفاعيل هي فتح الدلالة النصية أمام المتلقي كي يتمكن من تصوّر أي مفعول مناسب لأن النص ((ذو دلالة مفتوحة، وغير ثابتة، بمعنى أنها تتطور بتطور كفاية المتلقي الذي يقوم بتفكيك النص))[2].

فهذا النص علاقته خارجية ينشط فيها خيال ((السامع أو القارئ، باشراكه في صوغ العبارة ليكون أوعى بما يلقى إليه، وأحرص على الانتفاع به والتأثر بمعناه، لأنه أدرك بعضه بنفسه، ولم يتلقّه كما يتلقى الخبر القابل للتصديق والتكذيب))[3]، ولا يتحقق هذا الإدراك إلا لكونه ((يكتسب بقراءته النص صفة المبدع المنتج الذي لا يستهلك نصاً، بل يبدع أو ينتج

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٦، (ك ٢).
(٢) الحذف صورة ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام): ١٤.
(٣) نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواري: ٨٣.

نصاً على نص))[1]؛ وبذا يكون النص قابلًا للامتداد في الزمان والمكان، فلا يختص بزمان أو مكان معينين، فكما ناسب المخاطبين الذين تلقوه مباشرةً، فأنه يناسب من يتلقاه اليوم أو في المستقبل، غير أن هذا الانتفاع الدلالي الذي ولّده الحذف في النص محكوم بالقرائن الحالية والمقامية وفيه مقصد بلاغي أراده الإمام (عليه السلام) بإثارة المتلقي، وجعله يشارك في عملية انتاج النص، وفيه أيضاً فضل التحوط لكل المحذوفات التي يمكن تأويلها فيعطي النص حصانة بمنع تقدير ما خرج عن السياق، فلو تأملنا قوله: ((سمعتم فأطعتم)) لوجدنا أمامنا قائمة من المحذوفات التي من الممكن تأويلها، إذ لم يقدم لنا الإمام (عليه السلام) معنى السمع الذي يريده، بل جعله عاماً؛ ذلك أن ((فعْل السمع يراد به أربعة معانٍ: أحدها: سَمْع إدراك، ومتعلّقه الأصوات، الثاني: سمع فَهْم وعَقْل، ومتعلقه المعاني، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، الرابع: سَمْع قبول وانقياد))[2].



فإذا كان السياق النصي قد أبعد المعنى الثالث، فإنّ المعاني الباقية، كلها محتملة في هذه الوحدة النصية، الأمر الذي يؤدي إلى أن تكون قائمة المحذوفات طويلة جداً، إذ إنّ كل معنى من معاني (سمع) السابقة يمكن أن يندرج تحته كثير من المفاعيل، فقد يكون من أريد رسم صورته قد سمع أمر الله، الحق، النداء، الأنباء والأخبار، كلام الإمام ... إلى غير ذلك من المحذوفات التي يمكن تقديرها من فعل السماع؛ ((لأن إجرائية الحذف حافلة بوفرة من الاحتمالات... وهذا يسهم في إدامة التكون اللاحق للنصوص))[3].

(١) في قراءة النص، د. قاسم المومني: ٢٧.

(٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: ٢/ ٥٠٧.

(٣) الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٤

وبما أن سياق النص يدور في فلك مدح أهل البصرة، فلن يكون بمقدور المتلقي تقدير محذوف يخرج عن هذا السياق، إذ لا يمكن تقدير سمع الباطل- على سبيل المثال- فاطعتموه، لأنه لا يتناسب مع سياق النص.

ومع هذا الحذف اتضحت معاني المكونات اللغوية وبلغ النص غايته في الإدلال وحافظ على علاقاته الاتساقية وظهر بمظهر جمالي زاده رصانة وترابطاً رصفياً ولم يكن الحذف ملبساً معمياً فقد كان النص واضحاً جلياً برزت فيه مكانة المتلقي لأنه استطاع أن يكشف كيفية قيام الحذف بوظائفه الدلالية والنصية. ومثله أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابْتَلانِي اللهُ بِكَ وَابْتَلاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَغَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ**»[1]. لقد حدث الحذف في هذه الوحدة النصية في موضعين، الموضع الأول حذف المفعول به للفعل (ليعلم) والموضع الآخر حذف (الحال) في قوله (فغدوت على الدنيا) إذ يصب هذا الحذف فيما قلناه من أن الحذف يفتح الدلالة النصيّة للتأويل المنسجم مع معطيات النص السياقية، كذلك يجعل النص قابلاً للامتداد في الزمان والمكان، فلا يحده زمان انتاج النص ومكانه.

فمن الممكن أن يكون المحذوف (ملائكته، رسله، انبياءه، أوصياءه، عباده، وغيرها من المحذوفات) بما ينسجم مع السياق النصي. فلو أنّ الإمام

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٣٥ (ك ٥٥).

(عليه السلام) حدد مفعولاً معيناً للفعل فقال على سبيل المثال: (ليعلم انبياءه) لكانت هذه القضية مقصورة على الأنبياء دون غيرهم من سائر مخلوقات ولا تنطبق على أحد غيرهم وليس هذا مقصد الإمام وإنما أراد قضية العلم عامة لتشمل كل من أراد الله سبحانه إعلامه بهذا الأمر، وهو أمرٌ ممكن الوجود في كل زمان ومكان إذن فحذف المفعول به يجعل من اليسير على المتلقين تأويل محذوف مناسب، ومن ثم قبول هذه الرسالة.



وما قيل في حذف المفعول به يقال في حذف الحال في قوله: ((فغدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن))، فإن المتلقي قادر على تقدير (حال) مناسب للسياق النصي الذي ورد فيه هذا الفعل، إذ يتمكن المتلقي من تقدير حال مناسب كأن يقول: (مواظباً، مصراً، مسرعاً، متشوقاً ... وهكذا من الأحوال التي تتناسب مع سياق النص؛ لكن في الوقت ذاته نجد سياجاً من الحصانة الدلالية أمام أحوال أخرى لا يمكن على المتلقي تأويلها كأن يقول: (متثاقلاً، بطيئاً...) لأن ذلك لا ينسجم مع دلالة السياق النصي.

ومن أمثلة حذف الفعل ما جاء في حلف له بين ربيعة واليمن: «**وَ أَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، وأنهم أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ، وَ لا لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلا لاسْتِذْلالِ قَوْمٍ قَوْماً، وَلا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً، عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ**»[1]. وقع الحذف الفعلي في قوله: ((على ذلك)) الذي فتح الدلالة النصية أمام المتلقي ليشارك في عملية انتاج

(١) م.ن: ١٨/ ٦٦ (ك ٧٤).

النص، فيتمكن من تقدير أي فعل ينسجم مع السياق النصي، إذ نجد أنّ قائمة تقدير المحذوفات مفتوحة أمام المتلقي كأن يقول: أجمع، اتفق، تعاهد تحالف... إلخ ممّا يجعل للمتلقي أثراً كبيراً في إنتاجية النص.

كذلك عند دراستنا لهذا الموضوع وجدناه راجعاً في معظمه إلى استعمال أسلوب العطف، فباشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى أو الحكم واتحاد السياق الداخلي للتركيب، والاعتماد على القرائن اللفظية، تم الاستغناء عن تلك المحذوفات، فاعترى الحذف مكونات النص من تراكيب ومفردات، وقد أهدى إليها وقدرت تقديراً اعتماداً على العلاقة القبلية؛ إذ يُقدر المحذوف وفاقاً إلى ما سبق ذكره، وهذا هو الأكثر والشائع في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه. ومن نماذجه التي وقفنا عليها ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**لا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ وَ لا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ**»[1]. فقد حذفت كلمة (خير) من الجملة الثانية والتقدير: ولا خير في صديق ظنين، والذي سوّغ الحذف الاشتراك في المعنى والحكم فوجود القرينة اللفظية في الجملة السابقة سهل عملية حذفها في الجملة اللاحقة، فلو ذكر المحذوف لنتج عنه توازٍ تركيبي تام قائم على علاقة التشابه ويكون على النحو الآتي:

**لا النافية للجنس + (خير) اسمها + جارومجرور + نعت**

وهذا ينطبق مع ما ذكره سعد مصلوح بأنه قد ((يعتضد مفهوم التوازي بمفهوم الحذف Ellipsis وهو تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٠٤ (و ٣١).

التعبير، وهما وسيلتان من وسائل السبك بعيدتا الأثر في التشكيل اللغوي لهذا النص، وهما قد يجتمعان وقد ينفردان))[1]. فضلًا عن ذلك فقد أسهم السجع الموجود في النص في ترسيخ دلالة النص وتقويتها في ذهن المتلقي، وقد يكون الحذف حاصلاً بحذف تركيب من النص كما في قوله في الوصية نفسها: «**احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ**»[2]. إنّ الأمور المذكورة في هذه الوحدة النصية والمعبر عنها على النحو الآتي:

**ظرف زمان (عند) + مضاف إليه (وهو مضاف) + هاء الغائب (مضاف إليه) + حرف الجر (على) + اسم مجرور**

وفيه توازٍ تركيبي تام قائم على علاقتي التشابه والتضاد ترتبط فيه ارتباطاً مباشراً بجملة (احمل نفسك من أخيك) التي انطلق منها الإمام (عليه السلام)، ثم حدد الحالات التي يكون عليها حمل النفس. لقد استغنى الإمام (عليه السلام) باتباعه أسلوب العطف (بالواو) عن إعادة هذا التركيب وهو ما سبق الإشارة إليه في تناولنا لموضوع العطف في الرسائل والوصايا، فيكون على المتلقي تتبع كل الحالات السلبية التي تقع من أخيه وعليه تجاوزها، وبذلك يتمكن من إدراك مقصد الإمام ورسم الصورة المبتغاة في ذهنه. وقد غذّى الإمام دلالة النص بالتقابل الحاصل بين صورتين من صور التعامل

(١) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٠٤ (و ٣١).

الإنساني، صورة سلبية وصورة إيجابية بشكل متساوٍ أعطتا الشمول للمعنى بذكر الشيء ونقيضه كما هو مبين على النحو الآتي:

| | | |
|---|---|---|
| **صرمه** | ≠ | **الصلة** |
| **صدوده** | ≠ | **اللطف والمقاربة** |
| **جموده** | ≠ | **البذل** |
| **تباعده** | ≠ | **الدنو** |
| **شدته** | ≠ | **اللين** |



فإذا كان الحذف قد عمل على فتح الدلالة النصية فيما سبق وجعل النص ممتداً في الزمان والمكان، فإنه قد عمل هنا على دمج عناصر الجملة الأولى، فأنشأ نصاً متناسقاً بعيداً عن الحشو والضعف. ومن الحذف الفعلي في نص الوصية أيضاً قوله (عليه السلام): «**سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ**»[1]. إنّ وجود الفعل (سل) في الجملة الأولى قد أغنى عن إعادته في الجملة الثانية فنتيجة الاتفاق في طريقة نظم الجملة على النحو الآتي:

**(عن) حرف الجر + اسم مجرور + قبل (ظرف) + مضاف إليه**

فبتذكر المتلقي الجملة الأولى فإنه سيقوم باكمال عناصر الجملة الثانية بتقدير الفعل (سل) في الجملة الثانية. فوجود ظاهرة الحذف في تشكيل التوازي التركيبي ((يؤكد رغبة الكاتب الملحة في إظهار نصه بشكل مترابط من جميع النواحي التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية. وهذا التوحد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١١٣ (و ٣١).

يعكس التوحد والاستقرار الذهني للكاتب وقت كتابة الرسالة، كما يعكس ثقافة الكاتب التي هي جزء من ثقافة عصره، ويؤدي هذا التوحد إلى إحساس القارئ الدائم بالألفة تجاه النص والتوحد النفسي معه))[1].

ومن حذف شبه الجملة وحذف الحرف قوله (عليه السلام) في عهده للأشتر الذي نتج عنه اشتراك العطف والتوازي التركيبي مع الحذف: «**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وأطهرهم جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ**»[2]. إذ عمل العطف على توسيع دلالة الاسم الموصول المجرور بـ (من) وذلك لاستكمال صفات من يدل على الجنود وقد سار هذا العطف بين جمل متساوية في التركيب لتبئير صفة الوالي على الجند، إذ تمّ التوازي التركيبي على النحو الآتي:

**فعل مضارع مرفوع + حرف جر + اسم مجرور**

وكل هذه التراكيب هي صلة موصول للاسم الموصول المجرور بحرف الجر، الذي حذف من سياق النص لأنه لو تكرر مع كل تركيب لأدى إلى ضعف النص وثقله على المتلقي ومثل هذا تم تناوله فيما تقدم من موضوع العطف ومثل هذا يحصل في حذف الحرف إذ يعتضد معه العطف والتوازي التركيبي الذي جاء في العهد نفسه في قوله (عليه السلام): «**وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ**

(١) نظرية علم النص: ١٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ٥١ (ك ٥٣).

**وَبَيْنَ الله أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله، إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ»**[1]. فلم يكرر الإمام أداة الشرط (إذا)، لكن العطف والتوازي التركيبي القائم على التشابه في البنية اللغوية جعل ذلك المتلقي يستشعر بوجود حذف حاصل في هذه الوحدة النصية في قوله: ((إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية))، إذ جاء بناء الجمل على نسق واحد وهو:



**فعل ماضٍ + تاء التأنيث الساكنة + جارومجرور + فاعل مرفوع**

فلم يقل الإمام (وإذا سلمت منها الرعية) وذلك ليترك المتلقي يشارك في انتاج النص وذلك لإثارة انتباهه على النقص الموجود في النص دون أن نجد ذلك بالمعنى. ولكن بالرغم من كثرة ارتباط التوازي التركيبي بالحذف، فأننا لا يمكن أن نجزم على استمراره بشكل مطلق في الرسائل والوصايا، أو قد يكون للحذف أثر في اتساق النص في كون تقدير المحذوف قد يعتمد على ما سبق من كلام، وعليه سوف يلجأ المتلقي القارئ إلى ربط اللاحق بالسابق لايجاد المحذوف وتقديره ممّا يمكنه من النظر إلى النص بوصفه وحدة نصية مترابطة غير مفككة، ومن أمثلة ذلك في نصوص الرسائل والوصايا قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ**»[2]. فتقدير الكلام: وليس طالب الدين من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ٨٩ (ك ٥٣).
(٢) نفسه: ١٦/ ٧١ (و ٣١).

خبط (في الدين) او (خلط فيه) لأنّ لفظ (الدين) هو محور الحديث في نص الوصية، فحذف (الجار والمجرور) (في الدين) للعلم به فلا حاجة لذكره، فالمتلقي لا يمكنه أن يقدّر غير ذلك لأنه سيؤدي إلى كون النص عبارة عن كلمات مفككة وغير مترابطة.

ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في عهده للأشتر: «**فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا**»[1]. ففاعل الأفعال (يعمل) و (تطلب) محذوف وذلك لوجود قرينة لفظية في النص وهي لفظ (الأشرار) فهم الذي يعملون فيه بالهوى ويطلبون الدنيا إذ أفاد الحذف تحقير المحذوف وذلك لسوء ما يقومون به من أفعال، فربط آخر النص بأوله وجعله كلاً موحداً فلا يمكن للمتلقي أن يؤول فاعلاً غير ما ذكر في أول النص لأن ذلك يؤدي إلى عدم اتساق النص.

نخلص من ذلك كله أنّ للحذف أثراً في اتساق النص وهو يدور في ثلاثة محاور أمّا: في فتح الدلالة النصية وتوسيعها أو أن يتآزر مع العطف ممّا يؤدي إلى تكوين تراكيب متوازية أو أن يربط اللاحق بالسابق فتقدير المحذوف يكون مقتصراً على ما يذكر في النص.



(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ٥٩ (ك ٥٣).

**رابعاً: التوازي التركيبي.**

يعد من الوسائل الشكليّة التي تحقق الاتساق النّصيّ، وقد أطلق عليه علماء لغة النص مسميات مختلفة منها (التوازي، التكرار الجراماتيكي، الموازاة،....إلخ)[١]. ويعّرف بأنه شكل ((من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغمة والتكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب))[٢]. ويقصد بذلك ((تكرار لنظم الجمل وشبه الجمل مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل حيث تبنى بشكل متوازٍ في الشعر أساساً وفي النثر وفق هذا المفهوم))[٣]، فالتوازي في ذاته هو ((نوع من التكرار ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى))[٤].

ويؤدي التوازي التركيبي في النثر الأثر نفسه الذي تؤديه القافية في الشعر وذلك لامتلاكها الوظيفة الجمالية نفسها الناتجة عن وجود مبدأين، مبدأ التجانس الصوتي والتجانس الخطيّ[٥]، والحق أنّ التوازي التركيبي يلجأ إليه منشئ النص بغية خلق الاتساق النّصيّ. وقد تبين في ضوء دراستي لنصوص الرسائل والوصايا أن هذا النوع من أنواع الاتساق النحوي يلجأ إليه لتحقيق

(١) ينظر: البديع والتوازي، عبد الواحد حسن الشيخ: ٧، بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ١٩٨، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١١، نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج: ١٠٠.

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٨.

(٣) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١١.

(٤) نحو اجرومية للنص الشعري، (بحث منشور)، سعد مصلوح: ١٥٩.

(٥) ينظر: التوازي في نهج البلاغة، (بحث منشور)، د. فاطمة كريم رسن: ٥٢.

هدفين أساسيين:

الأول: خلق إيقاع موسيقي داخل النص، وذلك بالمحافظة على إيقاع معين، مما يسهل بقاء النص (الرسالة أو الوصية) في ذهن المتلقي مدة أطول.

الآخر: تبئير بعض الوحدات النصية، والمعاني التي يريد منشئ النص إبقاءها في ذهن المتلقي.



وقد ورد التوازي التركيبي في الرسائل (٢٤١) مرة، وفي الوصايا (٧٠) مرة، وكان على أنماط وأنواع مختلفة، فمن أنواع التوازي التركيبي ما ترتبط فيه البنى التركيبية بعلاقة التقابل التي نلحظ انتشارها في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بشكل بارز وواضح، فلا يكاد يخلو نص من هذه الظاهرة التي كثفت دلالة المعنى وضاعفت من الطاقة الكامنة فيه؛ إذ يتضح للقارئ أنه وظّف علاقة التقابل في كشف معانٍ كثيرة، بوصفه يحدث هزة نفسيّة لدى القارئ، فاستعمله الإمام علي (عليه السلام) لعرض رأيه في موضوع الرسالة أو الوصية.

من ذلك ما جاء في رسالة له إلى عبد الله بن العباس (رحمه الله تعالى)، وكان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٠ (ك ٢٢).

لقد ارتبطت البنى التركيبية المتوازية بعلاقتي التشابه والتقابل، وهو توازٍ تركيبي تام، وقد بنيت هذه الرسالة كلها على التوازي؛ إذ توزعت على النحو الآتي:

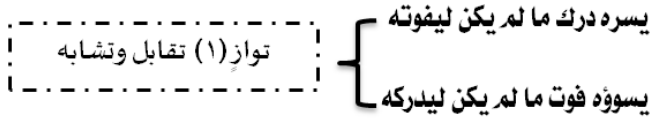


فعل مضارع + فاعل مرفوع + ما الموصولة + اداة الجزم (لم) + فعل ناقص مجزوم + لام الجحود + فعل مضارع منصوب + ضمير متصل (مفعول به)

حرف عطف + لام الأمر + فعل مضارع ناقص + اسم مرفوع + حرف جر + ما الموصولة + فعل ماضٍ + ضمير متصل + جارومجرور

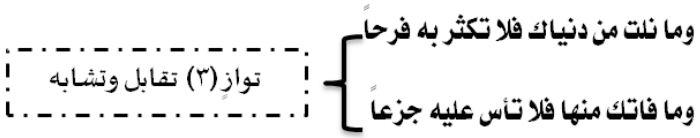


واو عاطفة + (ما) اسم شرط + فعل ماضٍ + ضمير متصل + جارومجرور + الفاء الجواب الرابطة + لا الناهية + فعل مضارع مجزوم + جارومجرور + مفعول به.

أفادت التوازيات التركيبية الثنائية النص على المستوى الانفعالي لدى المتلقي من خلال معنى أراد الإمام (عليه السلام) إيصاله إليه في ضوء التراجع والتأمل بالعلاقة الضدية ومفادها أنّ ((كل شيء يصيب الإنسان في الدنيا من

نفع وضرّ فبقضاء من الله وقدره تعالى؛ لكن الناس لا ينظرون حق النظر في ذلك))[1]، فجاءت الأضداد موزعة على النحو الآتي:

**يسره ≠ يسوءه**

**درك ≠ فوت**

**ليفوته ≠ ليدركه**

**سرورك ≠ اسفك**

**ما نلت ≠ ما فاتك**

**فرحاً ≠ جزعاً**

فقد أدى التوازي التركيبي إلى إبراز بعض عناصر النص التي سبق ذكرها، فكان لذلك أثر كبير في اتساق النص وترابطه، كذلك أثرت فنون الجناس والتكرار في المستوى الصوتي الذي أضحى بارزاً للعيان فركز الإمام علي (عليه السلام) بناء هذا النص على المواد اللغوية: (يسره، سرورك)، (درك، ليدرك)، (فوت، ليفوته، فات)، (نلت) التي كان لها أثرٌ كبير في إبراز الحالة النفسية، ومكنت الإمام علياً (عليه السلام) من عقد مقارنة بين حالتين نفسيتين، مبرزاً خصائص كل منهما، وجاعلاً محور المقارنة هو الفرح والحزن عند الإنسان، لما يصيبه من الدنيا أو يفوتُهُ منها.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٠.

ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في عهد له إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: «**فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ؛ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ**»[1]. لقد جاءت التوازيات التركيبية على النحو الآتي:



**بخير لا يكون معه شرٌ أبداً**
**شرٍ لا يكون معه خيرٌ أبداً**
توازٍ (١) علاقة تضاد وتشابه

اسم مجرور + لا النافية + فعل مضارع ناقص (يكون) + جار ومجرور (معه) + اسم يكون مؤخر + ظرف منصوب (أبداً).

**فمن أقرب إلى الجنة من عاملها**
**ومن أقرب إلى النار من عاملها**
توازٍ (٢) علاقة تضاد وتشابه

اسم استفهام (من) مبتدأ + اسم مرفوع بصيغة أفعل التفضيل (أقرب) + جار ومجرور + جار ومجرور (من عاملها)

**إن أقمتم له أخذكم**
**وإن فررتم منه أدرككم**
توازٍ (٣) علاقة تضاد وتشابه

اداة شرط (إن) + فعل ماضٍ + التاء الفاعلة و (ميم الجماعة) + جار ومجرور + فعل ماضٍ + ضمير متصل و (ميم الجماعة)

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٦٣ (ك ٢٧).

لقد كان لوجود هذه التوازيات الثنائية التركيبية أثرٌ كبير في محورية فكرة التحذير من الموت وإعداد العدة له ويعكس ذلك أنه يتكلم وفق فصاحته، وبلاغته، وفطرته اللغوية السمحة، وذوقه الرفيع في الكلام الذي أعانه على إيجاد هذه التوازيات.

فمع ترابط كل توازٍ منها مع ما يماثله في التركيب نجد البنى التركيبية لكل توازٍ تتعانق دلالياً مع بعضها كما في المخطط الآتي:



| | | |
|---|---|---|
| بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً | ≠ | شر لا يكون معه خيرٌ أبداً |
| ↓ | | ↓ |
| فمن أقرب إلى الجنة من عاملها | ≠ | ومن أقرب إلى النار من عاملها |
| ↓ | | ↓ |
| إن أقمتم له أخذكم | ≠ | إن فررتم منه أدرككم |

(فالخير يتسق مع الجنة) و (الشر يتسق مع النار)

وقد جاء التوازي الثالث ختاماً حتمياً لما سبقه من بنى تركيبية، فجاءت عبارة (انتم طرداء الموت) مرآة للفكرة الجليلة والمعنى الخطير إذ وظّف الإمام علي (عليه السلام) الاستعارة في لفظة (طرداء) مشبهاً الإنسان بالفريسة التي تنقض عليها الوحوش والسباع من دون سابق إنذار فهكذا حال الإنسان عندما يؤاتيه الموت. وهكذا يتضح كيف يتجلى باطن النص في ظاهره، وكيف يهديك ظاهره إلى باطنه ليبرز من ذلك كله روعة كلام الإمام (عليه السلام) وجماله وجلاله؟

ومثلها قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَيَاةِ**»[1]. جاءت التوازيات التركيبية في هذا النص قائمة على الترابط بين الكلمة ونقيضتها على النحو الآتي:

| | | |
|---|---|---|
| للآخرة لا للدنيا | ← | فالآخرة ≠ الدنيا |
| وللفناء لا للبقاء | ← | والفناء ≠ البقاء |
| وللموت لا للحياة | ← | الموت ≠ الحياة |
| جارو ومجرور + لا النافية + جارومجرور | | |



فضلاً عن ذلك نجد أن هناك ترابطاً دلالياً بين المجموعتين:

(المجموعة الأولى) (المجموعة الثانية)

(الآخرة ، الفناء ، الموت) (الدنيا ، البقاء ، الحياة)

وبذا يمكننا القول: إنّ بنية التوازي لا يمكن أن تكون بنية شكلية فقط، بل ((هي بنية ترتبط بالمعنى والدلالة ارتباطاً وثيقاً))[2]، كذلك نلحظ أيضاً تقديمه لألفاظ المجموعة الأولى؛ وذلك لأهميتها ولأنها البؤرة المركزية في نص الوصية.

ومن أنواع التوازي التركيبي في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه ما يقوم على المفاضلة، من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة له موجهة إلى معاوية جواباً

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٩ (و ٣١).

(٢) ظاهرة التوازي في شعر الخنساء (بحث منشور)، موسى ربابعة: ٢٠٣٣.

على كتاب منه إليه: «**وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ! فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»[1].

يقوم التوازي التركيبي في هذا النص على نسق واحد يتمثل في الرد بطريقة الموازنة بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بوساطة التقابل الذي ((بنيت فيه التراكيب على أسلوب النفي وتكرار أداته في كلّ تركيب للإيحاء بتأكيد صحة هذه المتقابلات))[2]، فجاء التوازي التركيبي تام وهو على النحو الآتي:



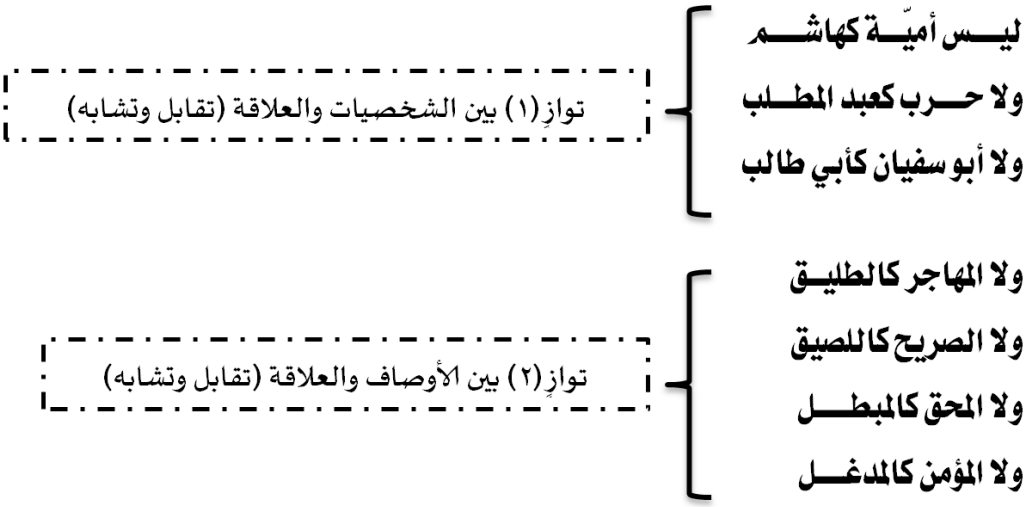


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٧ (ك ١٧).

(٢) الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة (بحث منشور)، د. عبد الكاظم محسن الياسري: ٢٣٣-٢٣٤.

ونلحظ في هذه البنى العدول من أداة النفي (ليس) إلى (لا) المهملة غير العاملة ليتيح له ذلك تكرار أداة النفي[1] للمحافظة على نسق واحد للبنى التركيبية.

أما العلاقة بين هذه البنى فهي التقابل، وقد أجمع كل من تناول هذا النص بالشرح والدراسة على أنّ نسق التفاضل جرى بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية من جهة شرف الآباء، وشرف الهجرة، وصراحة النسب، والكون على الحق، والايمان[2].

وقد استثمر الإمام علي (عليه السلام) الاستدراك النحوي بـ (لكن) لبيان وجه المفاضلة؛ لكن الأمر المحير في هذا التوازي التركيبي – وإن قام على بنى تركيبية متشابهة – إنه اشتمل على تقديم وتأخير فالتوازي الأول يقوم على تقديم الأسماء التي لها علاقة بمعاوية وكان ذلك بسبب طبيعة الرسالة التي كتبها الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ مثلت جواباً أو رداً على رسالة بعثها معاوية له ومنها: ((نحن بنو عبد مناف؛ ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذل به عزيز، ولا يسترق به حر، والسلام))[3].

فرّد الإمام علي (عليه السلام) عليه ومن الطبيعي جداً أن يذكر ما قاله معاوية أولاً ومن ثم ينقضه، وعلى هذا الأمر سار السياق في نص رسالة الإمام علي

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣/ ٢٩٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٨-١١٩، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤٦٧، منهاج البراعة، الخوئي: ١٨/ ٢١٩-٢٢٠، الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة: ٢٣٤. الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة: ٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٣.

(عليه السلام) منذ بدايتها وحتى نهايتها ولو رجعنا إلى النص كاملاً لوجدنا ذلك ((فأما طلبك الشام فإني لم أكن ... وأما قولك: إن الحرب ... وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست ... وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ...)).

فالإمام علي (عليه السلام) أراد أن ينقض حجة معاوية القائمة على النظام القبلي العرفي المستمد من الفكر الجاهلي ويفند مزاعمه ويرّدها واحدة تلو الأخرى. فضلاً عن ذلك أن معاوية لم يرد أن يفاضل بأجداده ومن ثم فاضل الإمام علي (عليه السلام) بأجداده أيضاً، إنما ذكر معاوية ذلك حينما أحسّ بالضعف وعدم قدرته على مواجهة الإمام علي (عليه السلام) في صفين فأراد بحيلة أن يدفع عن نفسه الحرب التي لا قبل له بها، ومن ضمن المسوغات التي ساقها معاوية هي (أنا وأنت من شجرة واحدة) وهي عبد مناف فعلام يتقاتل الأقارب فهو لا يريد المفاخرة وإنما يريد: نحن من نسب واحد، ولذا أجابه الإمام علي (عليه السلام) بالإيجاب ولم ينكر ذلك بيد أنه (عليه السلام) بيّن أنّ آباء معاوية من عبد مناف ليس كآباء علي من عبد مناف شرفاً وحسباً، ومن هنا نقض الإمام علي (عليه السلام) رسالة معاوية بما يميت فيه أمل المصالحة والمساومة على الدين؛ فجمال التوازي التركيبي يكمن في إبطال الموازنة.

أما في التوازي التركيبي الآخر: فبرزت المغايرة التي تمثلت بتقديم ما يخص الإمام علي (عليه السلام) من صفات وتأخير ما يخص معاوية من صفات، فأحدث بذلك إثارة للمتلقي، فهي التي تمثل بؤرة المفاضلة بينه وبين معاوية، فعادة المفضّل يكون مقدماً على المفضّل منه واتسق بذلك مع البنية التركيبية السابقة، فسار النص كله على نسق واحد.

ومن التوازي التركيبي (الوصفي) قوله (عليه السلام) في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر، وفيه توازٍ تركيبي تام قام على علاقة التشابه بين التراكيب: «**فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ**»[1]. يظهر هذا النص مدى براعة الإمام علي (عليه السلام) في استثمار التراكيب النحوية من أجل التحذير من النار والوقوع فيها؛ إذ بدأ هذا النص بعبارة (فاحذروا ناراً)، وأرى أن لفظ (نار) يمثل بؤرة مركزية للنص ومرتكزاً تدور فيه التراكيب المتوازية وكذلك لفظ (دار)، ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:



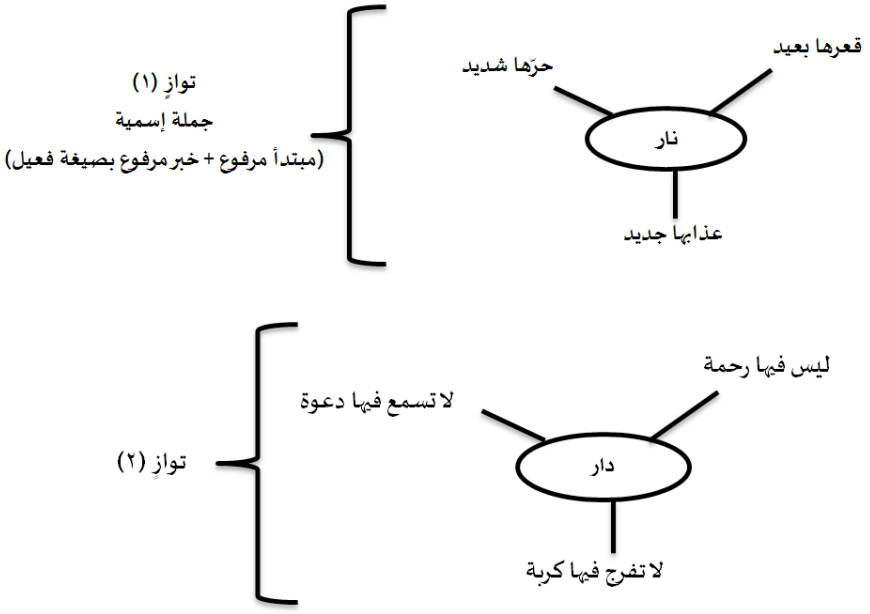


| فعل يحمل دلالة النفي | + | جارومجرور | + | اسم مرفوع |
|---|---|---|---|---|
| (ليس، لا تسمع، لا تفرج) | | (فيها) | | رحمة (مبتدأ مؤخر)، دعوة وكربة (نائب فاعل) |

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٦٤ (ك ٢٧).

فالنص يشتمل على مرتكزين مرجعهما واحد وهو (النار) تدور حول كل مرتكز منهما ثلاثة تراكيب متوازية، وكأني بالنص مقسم تقسيماً؛ إذ لم يكتف بالتراكيب المتوازية حول بؤرة المركز، بل ساوى الإمام (عليه السلام) بين تراكيب المركزين؛ إذ جعلها ثلاثة، فالإمام (عليه السلام) وصف لنا (النار) في مورد آخر قائلاً: «**وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ**»[1]. فوصف (النار) بأربعة تراكيب متوازية، في حين لاحظنا في النص المحلل أنه وصفها بثلاثة تراكيب متوازية وكأنه يريد أن يوازي بين هذه التراكيب الثلاثة التي تلتها التي تدور حول لفظ (الدار). وقد قادنا التوازي التركيبي إلى التوازي الدلالي بين:

**قعرها بعيد // لا تسمع فيها دعوة**

**حرها شديد**
**عذابها جديد** // **لا تفرج فيها كربة**
**ليس فيها رحمة**

فالعلاقة قائمة بين القعر البعيد وعدم السماع للدعوة، والعلاقة بين أوصافها الشديدة الأخرى بعدم تفريج كربها، فضلاً عن أنه ختم نهايات تراكيب المرتكز الأول (النار) بكلمات متوازية في الوزن (فعيل) وختم نهايات تراكيب المرتكز الآخر (دار) بكلمات متوازية في الوزن أيضاً وهو (فعلة) فالنص يسير بتراكيب متوازية بامتداد، فهذا التوافق النغمي من حيث الوزن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٢٨٨ (خ ١٩).

والقافية أصبح وكأنه ((كتلٌ إيقاعية متوالية ومتوازية))[1].

وهذا يعني أنّ التوازي من الوسائل النحوية المرتبطة بالإطار الموسيقي فمجيء التراكيب نفسها مكررة على مسافات متساوية، يؤدي إلى خلق إيقاع تأنس إليه أذن السامع، ويعزز هذا الإيقاع ما يوجد بين التراكيب من سجع، وهذا يدل على أن عناصر السبك تأتي مترابطة في الإطار النصّي الفعلي[2]. فضلاً عن ذلك فقد غُذّي النص ايقاعياً بتكرار صوتي الدال والراء، فالدال صوت شديد أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق[3]، يحاكي عند دخوله المفردة في سياق التعبير الأحداث القوية الشديدة بما يمتلكه من جرس شديد وهذا يتناسب ودلالة اللفظة، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء))[4]، فإذا كانت هذه هي صفة (الدال) فما بالنا وقد تكرر هذا الصوت في (بعيد، شديد، جديد)، هكذا برزت قيمة صوت (الدال) التعبيرية بمحاكاته الحدث المتمثل بشدة النار. أما صوت (الراء) وهو صوت مكرر[5] فقد تكرر في (نار، قعرها، حرها، دار، رحمة، لا تفرج، كربة) أفاد استمرارية الأوصاف التي وصفت بها هذه النار، وزيادة على هذا استثمر الإمام (عليه السلام) الأفعال المبنية للمجهول؛ من أجل التركيز على بيان صفة هذه الدار (النار) بشكل بارز، كذلك إنّ كلا التوازيين ختم بكلمات مرفوعة رفدت النص على المستوى الدلالي بمظاهر

(١) في التوازن اللغوي المعادل الإيقاعي والمعنوي، (بحث منشور)، د. مصطفى الجوزو: ٧٣.
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١٠١.
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٩، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٥٥.
(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة (شدّ): ٣/ ١٧٩.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٦.

التلاحم والترابط والتناغم الصوتي في الضم؛ إذ سعى الإمام (عليه السلام) إلى هذه التراكيب المتوازية لفتح آفاق أوسع تقدم - مجتمعة - أشكال الاتساق في بناء النص وينبع هذا ((من قدرة الإمام (عليه السلام) على استثمار اللغة ليس على مستوى الألفاظ والمعاني فحسب بل على مستوى الطاقة الكامنة فيهما))[1]، إذ إنّ ((بنية التوازي استطاعت أن تكشف عن تآلف عناصر الصوت والتركيب والدلالة لتعكس التجاوب القائم بين اللغة والموضوع))[2].



ونجد أيضاً توازيات تركيبية مرتبطة بأسلوب الشرط فيقوم الإمام (عليه السلام) بالمزاوجة بين معنيي الشرط والجزاء، فتبرز في هذه المزاوجة قدرة الإمام على استثمار البنى التركيبية لايصال الأفكار والمعاني. من ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته التي وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو: «**فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً**»[3]. فهو توازٍ تام يتكون من:

| أداة الشرط | + فعل الشرط | + فاء الجواب | + جواب الشرط | + جميعاً |
|---|---|---|---|---|
| (إذا) | بصيغة الفعل (الماضي) | الرابطة | بصيغة فعل (الأمر) | (حال) |

فيظهر هنا ارتباط الحادثة الثانية بالحادثة الأولى، إذ لا يمكن أن يحصل الارتحال من دون أن يكون النزول قد حصل أولاً، فارتباط الشرط الثاني بالشرط الأول.

(١) خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص: ٤١.
(٢) ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء: ٢٠٤٤.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٨٩ (و ١١).

وقوله في وصيته التي قالها قبل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ**»[1]. يظهر هذا النص براعة الإمام (عليه السلام) في تقسيم الحوادث وإبراز الجزاء بحسب نوع الفعل الذي يشترطها، إذ يتناسب مع سياق النص الذي جاء فيه، فهذه الوصية قالها الإمام عقب ضرب ابن ملجم له فتسلسل الأفعال واضح لدى المتلقي (أبق، أفن، أعف)، فجاءت كل البنى التركيبية على نحو واحد، فهو توازٍ تام:



**إن الشرطية + فعل مضارع** (فعل الشرط) **+ فاء الجواب الرابطة + جملة اسمية** (جواب الشرط)

ما يدل على اتحاد النص واتساقه، ومن التوازي الذي يقوم على المزاوجة بين الشرط والجواب ما جاء في رسالته إلى أهل مصر لمّا ولّى الإمام (عليه السلام) الأشتر: «**فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَلا يُحْجِمُ، وَلا يُؤَخِّرُ وَلا يُقَدِّمُ إِلا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**»[2]. وهو توازٍ تركيبي تام استثمر فيه الإمام (عليه السلام) التكرار؛ إذ كرر (عليه السلام) عبارة (فإن أمركم)، للتأكيد على وجوب اتباع أهل مصر لأوامر الأشتر وطاعته، وقد جاءت التراكيب المتوازية على نحو واحد.

(فإن أمركم) + أن مصدرية + فعل مضارع منصوب (بحذف النون) + فاء الجواب الرابطة + فعل أمر (جواب الشرط)

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣. (و ٢٣)
(٢) نفسه: ١٦/ ١٥٦ (ك ٣٨).

وفي توازٍ خاص يقوم على العدول من الجملة الفعلية إلى الجملة الأسمية ما جاء في رسالته إلى معاوية قال الإمام (عليه السلام) فيها: «**وَ كِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً...،لأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ**»[1]. تضمن هذا النص مقاطع متناظرة ومتكافئة في الأوزان والتراكيب، وقد توزعت على النحو الآتي الذي تسيطر عليه علاقة التشابه:

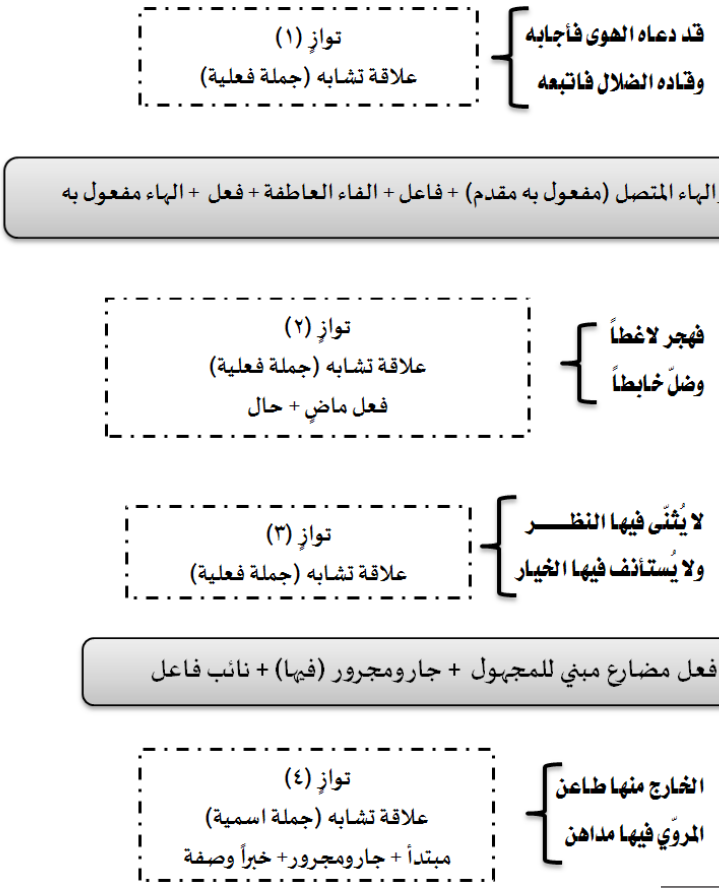


(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٤/ ٤١-٤٤ (ك ٧).

نلحظ أنّ العبارات قد تساوت في عدد الكلمات، فضلاً عن التماثل في نوع الجملة، فالمتوازيات التركيبية الثلاثة الأولى جملة فعلية متكاملة في حين جاء التوازي التركيبي الرابع جملة إسمية، وتسمى هذه المخالفة في البنيات المتكررة بـ (ظاهرة كسر النمط) أو الانزياح، فالتكرار إذا كان على وتيرة واحدة يخلق الملل في نفس المتلقي، إذ يشترط فيه ((انعدام الانتظام المطلق، أي وجود فجوة: مسافة توتر بين المكونات الإيقاعية))[١].



وهو ما أكده ريتشاردز من أنّ الايقاع يعتمد على التكرار والتوقع وخيبة الأمل والمفاجأة أحياناً لتجنب الملل قائلاً: ((والنسيج الذي يتألف من التوقعات والإشباعات أو خيبة الظن او المفاجآة التي يولدها سياق المقاطع هو الإيقاع))[٢]. فقد أفاد هذا التنوع في النص على المستوى الصوتي ((إثراء النسق الايقاعي التقابلي الذي يكرس الطابع الجمالي في النص ويمنحه القابلية على تأكيد قضية الايقاع الداخلي))[٣]، وبهذا يؤدي أثراً مهمًا في اكساب النص بعداً جمالياً يستهوي المخاطب وهو يتجاوز الايقاع العروضي إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه موسيقى الايقاع[٤].

أمّا على المستوى الدلالي فوجود الفارق الدلالي بين الإسناد الفعلي والاسمي قد ربط النص بسياقه وموضوعه وذلك لأنّ ((البلاغة الحقة تكون في اختيار الجملة الخاصة للمعنى الخاص))[٥].

(١) في الشعرية، كمال أبو ديب: ٥٢.
(٢) مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز: ١٨٨.
(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: ١٣٦.
(٤) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: ٨٧.
(٥) التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين: ١٨٩.

فلولا هذا التمايز والتباين بينهما لما وجد التركيب الاسمي والفعلي ((فلكل صورة هدف، ولكل تركيب غاية، وفي ذلك توسّع في الأساليب ودقة في الأداء والتعبير))[1]، فإبدال العنصر الاسمي في الرسالة بالعنصر الفعلي يخل بالغرض المرجو الذي أراده الإمام (عليه السلام) من أنّ ((من لم يدخل في بيعته وهم قسمان... أمّا أن يخرج منها، أو يقف فيها، فحكم الخارج عنها أن يكون طاعناً في صحّتها وانعقادها فيجب أن يجاهد ويقاتل ... وحكم الواقف فيها والمتروّي في صحّتها أنّه مداهنٌ وهو نوع من النفاق ومستلزم للشكّ))[2]. فهذا التغاير لشد انتباه المتلقي إلى وصف حال صنفين من الناس الخارج عن البيعة والمتروّي فيها، فهذا العدول إلى الجملة الاسمية يتناسب مع حالة الانتقال في الحديث عن البيعة وحال الناس منها.



(١) أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب: ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤٢٣.

# الفصل الثاني

## الانسجام النصي
## في الرسائل والوصايا

# توطئـة

إن البحث في تماسك النص لا يتوقف عند مفهوم الاتساق فقط رغم ما له من أهمية كبيرة في تحقيقه، بل لابد من الاهتمام بتلك الخصائص الدلالية التي تتصل بالمعنى العام للنص، وتتجاوز حدود وسائل الاتساق الصوتيّة والمعجميّة والنحويّة إلى البحث في مستوى أعلى من التحليل أو ما يسمى بالانسجام؛ ولكنه مع ذلك يتظافر مع معيار الاتساق النصي في طبع أي نص مدروس بصفة النصية[1].

فالانسجام يمثل المعيار الثاني من المعايير السبعة التي وضعها (دي بواجراند ودريسلر)، ولعل للترجمة تأثيراً واضحاً في هذا المجال، إذ أدى تعدد الفهم للفظة المترجمة إلى انبثاق هذه المدخلات في المصطلحات؛ ومن ثم واجهتنا مقولات متعددة لهذا المفهوم، التي عرفت تباين آراء الدارسين بشأنه، وذلك في ضوء ايجاد مقابل عربي له، إذ كان لكل دارس مصطلح معين مقابل المصطلح الإنكليزي (Coherence) والجدول الآتي يوضح المصطلحات العربية المقابلة لهذا المصطلح الإنكليزي التي وضعها الباحثون والدارسون.

(١) ينظر: الانسجام النصي وأدواته (بحث منشور)، الطيب العزالي قواوة: ٦١.

| المصطلح العربي المقابل | اسم الباحث أو الدارس | الموضع |
|---|---|---|
| الاتساق | - د. تّمام حسّان | نحو الجملة ونحو النص:١<br>نقلاً عن: نحو النص. د. أحمد عفيفي: ٨١. الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم: ١٠٨. |
| الانسجام | - د. أحمد مداس<br>- الأزهر الزناد<br>- جبار سويس الذهبي<br>- د. زاهد بن مرهون الداودي<br>- الطيب العزالي قواوة<br>- عثمان أبو زنيد<br>- عبد الله خليف خضير عبيد الحياني.<br>- ليندة قيّاس.<br>- محمد الاخضر الصبيحي<br>- د. محمد خطابي<br>- محمد يحياتن<br>- د. يحيى عباينة ود. أمنة صالح الزعبي | لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب: ٨٣.<br>نسيج النص: ١٥.<br>الاتساق في العربية: ٢٧.<br>الترابط النصّي بين الشعر والنثر: ٦٥.<br>الانسجام النصي وأدواته (بحث منشور): ٦٢.<br>نحو النص أطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٧.<br>الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته (أطروحة دكتوراه): ٢.<br>لسانيات النص: ٣١.<br>مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٨٦.<br>لسانيات النص: ٣٤.<br>المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٧.<br>عناصر الاتساق والانسجام النصي. قراءة تطبيقية تحليلية في قصيدة ((اغنية لشهرآيار)) لأحمد عبد المعطي حجازي: ٥٠٧. |
| الالتحام | - د. تّمام حسّان | النص والخطاب والإجراء: ١٠٣. |
| الترابط | - د. محمد الشاوش | أصول تحليل الخطاب: ١٢٥/١. |
| الترابط الدلالي | - د. موفق محمد جواد | أسس لسانيات النص: ١٥٢. |
| الترابط الفكري | - بشير أبرير | من لسانيات الجملة إلى علم النص (بحث منشور): ٦٢. |
| التضام | - د. أحمد محمد عبد الراضي | المعايير النصية في القرآن الكريم: ١٩. |
| التعليق | - د. تّمام حسّان | اجتهادات لغوية: ٣٧٠. |
| التقارن | - إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد | مدخل إلى علم لغة النص: ١١. |
| التماسك | - د. خالد بن شبيب<br>- راشد مدفون مخيف<br>- د. صبحي إبراهيم الفقي<br>- د. صلاح فضل<br>- د. محمد مفتاح<br>- وسن عبد الغني مال الله | مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٣.<br>خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص: ٢٠.<br>علم اللغة النصي: ٩٣/١.<br>بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦.<br>التلقي والتأويل مقاربة نسقية: ١٦٢.<br>سورتا آل عمران ومريم دراسة نصية: ١٩. |
| التماسك الدلالي | - د. سعيد حسن بحيري | علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧. اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٣ |
| التماسك المعنوي | - د. عزة محمد شبل | علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ١٨٤. |
| الحبك | - د. أحمد عفيفي.<br>- د. أشرف عبد البديع عبد الكريم.<br>- د. جميل عبد البديع.<br>- د. حسام أحمد فرج.<br>- سعد مصلوح.<br>- شريفة بلحوت<br>- عبد الخالق فرحان شاهين.<br>- محمد العبد | نحو النص: ٩٠.<br>الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: ٧٦.<br>البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٨١.<br>نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الشعري: ١٢٧.<br>نحو أجرامية للنص الشعري: ١٥٤.<br>الإحالة دراسة نظرية: ٩٥.<br>أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب (رسالة ماجستير): ٥٢.<br>حبك النص منظورات من التراث العربي (بحث منشور): ١٣٩. |

ويتبنى البحث مفهوم الانسجام للسبب نفسه الذي ذكرناه في اختيارنا لمفهوم الاتساق في الفصل الأول[1]*. ومن المعلوم أنّ علم لغة النص ينظر إلى النص نظرة كلية، ممّا أدى بها إلى البحث عن تماسكه فكان من ذلك الاتساق الذي يعد من أهم أدوات هذا العلم، لكن هذا الأخير -كما سبق ذكره- مركز اهتمامه بالبنية السطحية الظاهرية التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيداً للباحث قصد الغوص في أعماق النص والبحث في خباياه التي تساهم في ترابطه من جهة المعنى والأفكار الموجودة فيه، وهذا ما يبحث فيه الانسجام فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي، ونقطة الوصول إلى تماسكه الكلي؛ لأن النص عندما يكون مترابطاً من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطاً من الناحية الفكرية، نقول أنه غير مكتمل النصية[2]، كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والآخر من جهة اهتمامه بالعلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية[3]، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ لا قيمة لوجهها الأول إلا بحضور الآخر، لكن الانسجام أعم وأعمق من الاتساق. وبصرف النظر عن هذا نقول: إنّ الانسجام كانت له أهمية خاصة في حقل علم اللغة النصي، فهو ((يمثل أساساً مهماً من أسس الدرس النصي))[4]، لكونه يختص بـ ((الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم

(١)* ينظر: الصفحة: ٢٨ من البحث.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي: ١/ ٩٧.

(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥، الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٦٥.

(٤) علم اللغة النصي: ١/ ٤٢.

Concepts والعلاقات Relations الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وأبداعاً أو تلقياً واستيعاباً))[1].

ومن ثم فمصطلح الانسجام يعني ((علاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى))[2]، فهو إذن يتصل ((برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على ايجاد الترابط المفهومي))[3] أي إنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص، وهذه ((تحتاج من القارئ جهداً في التفسير والتأويل وتوظيف ما في مخزونه من معارف ومعلومات وتجارب سابقة عن العالم، للكشف عنها وتحقيق عملية التواصل والتفاعل الاجتماعي))[4].

أما إذا حصل خلل في تشكيلة المفاهيم والعلاقات وبين المعرفة القبلية لعالم النص في أذهان القراء؛ فهذا يعني عدم الاستمرارية الدلالية الضرورية لمفهوم الانسجام[5]. فهو يعنى بتنظيم ((مضمون النص تنظيمًا دلالياً منطقياً))[6]. وخلاصة ما تقدم من عرض يمكن القول إن: الانسجام محاولة للخروج بالنص من بنيته اللسانية اللغوية إلى بنيته الاجتماعية والتواصلية

(١) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤.
(٢) علم اللغة النصي: ١/ ٩٦.
(٣) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٩٠.
(٤) الانسجام النصي وأدواته: ٦٣.
(٥) ينظر: نظرية علم النص: ١٢٨.
(٦) الاتساق والانسجام في سورة الكهف (رسالة ماجستير): ١٤٥.

وهذامـا يوضحـه المخطـط الآتي[1]:

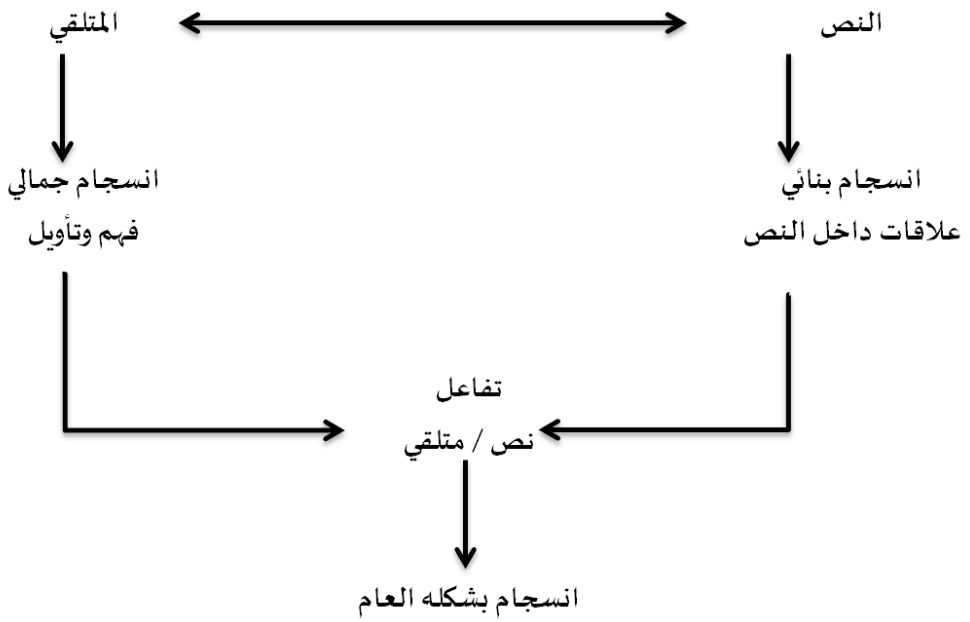


فالانسـجام يسـمح للقـارئ أن يبقـى في حـوار مفتـوح دائـم مـع النـص، لذلـك فـإن الدراسـات التـي اهتمـت بانسـجام النـص اعتـادت أن تطـرح جملـة مـن الأسـئلة التـي يمكـن أن تسـاعد في فهـم النـص ومـن أهـم هـذه الأسـئلة: التسـاؤل عمـن فعـل؟ ومـاذا فعـل؟ وأيـن؟ ومتـى؟ وكيـف؟ ولمـاذا؟[2] فكل هذه الأسـئلة مهمـة جـداً في تحليـل النـص فيهـا يتحقـق التواصـل ويتـم ابـلاغ الرسـالة ومرورهـا، والقـارئ المتمـرس يسـعى إلى كشـف كل مـا هـو غامـض ومبهـم كـما يحـاول كشـف أسرار النـص وسـبر أغـواره، وإضـاءة خبايـاه واسـتخراج كوامنـه.

(١) ينظر: الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته: ٣٥.
(٢) ينظر: دينامية النص (تنظير وانجاز): ٥٢.

وأهمية الانسجام أيضاً تكمن في إعطاء أهمية لعناصر الرسالة من مرسل ومتلقٍ ونص، وكذا ((مناقشة النص في سياق الإبلاغ الأدبي Poetic Communication من حيث إنتاجه Producation والاستقبال Reception والعوامل الأدبية الاجتماعية Scoio poetic والنفسية Psych poetic التي تؤثر في النص أو الخطاب))[1] والانسجام له أثر في تحديد المعاني المفترضة والوصول إلى الدلالات اللازمة، فشكل بناء النص المنسجم يسمح بتحقيق الفهم الصحيح بمعرفة معنى المعنى أو ما وراء المعنى، فالانسجام هو معطى نصي فإذا حصل وإن انعدم الانسجام، فإن القارئ المتمكن هو الذي سيعيد للنص انسجامه من خلال ((صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده. بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام)))[2] ومن هنا سنحاول في هذا الفصل من البحث أن ندرس مبادئ الانسجام النصي في الرسائل والوصايا ومظاهره وهي:

- التأويل، التغريض، ترتيب محتوى النص، المعرفة الخلفية.
- البنية الكلية، وقواعد البناء، وحدة الموضوع، أما السياق فسوف نتناوله في الفصل الثالث المبحث الثاني.
- العلاقات الدلالية والأبنية العليا (الأبنية الهيكلية للعلاقات الدلالية).



(١) علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ٧١.

(٢) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦.

# المبحث الأول

## مبادئ الانسجام ومظاهره

إن الكشف عن مبادئ الانسجام يقودنا إلى أن نجعل المتكلم والمتلقي هما أساس الانسجام النصي إذ ((ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي))[1]. ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام خطاب وعدم انسجامه انطلق محمد خطابي من إفتراضين: الأول: أن الخطاب لا يملك مقومات انسجامه في ذاته، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات. الآخر: أن كل نص قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم، والعكس صحيح[2]. ومن مبادئ الانسجام في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة ما يأتي:

**أولاً: التأويل.**

إن الحديث عن أي نص وكيفية انسجامه يدفعنا إلى الحديث عن العمل الذي يبذله القارئ في هذا النص، فهو في محاولة لكشف الغموض وفهم أسرار رموزه وخباياها بغية الربط بين عناصره وأجزائه، وهذا ما يستدعي

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥١.
(٢) ينظر: نفسه: ٥٢.

تحديد مفهوم التأويل بوصفه عملية أساسية في انسجام النص. فالتأويل في أبسط معانيه يعني ((قراءة للنص، أو مقاربة له، تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة المنبثقة من معطيات النص أولاً، ومن قدرات المؤول ثانياً، والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع: نقدية أو إيديولوجية أو مغرضة أو بريئة ...إلخ))[1].



فالقراءة تساعد صاحبها على الإبداع بقيامه بعمليات متنوعة من فهم وتحليل وتفسير وتأويل، ويستمر عاملاً على استخراج مكنونات النص ليصل إلى المغزى المحدد للنص، فهو ليس مجموعة من العبارات المتوالية، بل يحمل في طياته ورموزه وشفراته العديد من المعاني والدلالات التي لا يكتشفها إلا القارئ المبدع والموهوب، وهذا الأخير في عمله ((قد يكون مساوياً لعمل المبدع، أو هابطاً عنه، أو متفوقاً عليه، وفق قدرة الناقد وثقافته))[2]. فالقارئ يتفاعل مع النص إذ يقوم بتجزئته وفك شفراته وهي عملية هدم للنص لإعادة صياغته وبنائه من جديد، في قالب وصيغة جديدة بإعطائه تأويلاً معيناً متناسباً معه، ويساهم في ذلك الشكل اللغوي للنص، وبنيته الخارجية المنسجمة.

وإذا نظرنا إلى رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة وجدناها حافلة بالأساليب البلاغية الرائعة، فقد وظّف الإمام (عليه السلام) تعبيرات مجازية ذات تأثير قوي، أحسن استعمالها وتوظيفها في صورة مترابطة منسجمة، كلها

(١) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس: ٢١٠.
(٢) نفسه: ١٢.

تفتح المجال فسيحاً أمام القارئ المحلل لاستكناه أسرار النص، وقد يستعمل الإمام (عليه السلام) تعبيرات خاصة يختلف محللو النص وشراحه في تفسيرها من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب: «**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**»(١).

لقد سلك بعض الشراح في بيان معنى جملة (صنائع لنا) مسلك الإفراط والإجحاف في تأويل دلالة النص من أن ((الناس مخلوقون ومصنوعون من قبل أئمة الهدى (عليه السلام) أو أنهم عبيد لهم))(٢)، لكن هذا التأويل غير منسجم مع ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى يتحدث عن النبي موسى (عليه السلام): ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾(٣). أما التأويل المنسجم مع دلالة النص فيتمثل في معنيين: الأول: قد يسعى الإمام (عليه السلام) في كلامه إلى أنه ((ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى))(٤). والآخر: أن الله سبحانه قد منَّ على بني هاشم بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم ((أهل الفضل على الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا فضل لأحدٍ علينا سوى الله، فهو وحده مصدر هدايتنا، أمّا غيرنا من المسلمين فهدايته بنا،



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٢، (ك ٢٨).

(٢) نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي: ٩/ ٣٥٦، وينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٩٤.

(٣) طه: ٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٩٤، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٢٤، توضيح نهج البلاغة: ٤/ ٣٣.

فالفضل لنا بمحمد على أمّة الإسلام، ولها بمحمد وأهل بيته الفضل على سائر الأمم))[1].

ومن الأمثلة الأخرى ما تناولت دراسته في موضوع الاستبدال ولاسيما (الاستبدال الاسمي) فكان لتأويلات شراح النهج وتفسيراتهم أثر في توجيه دلالة النص[2]*. وعليه تبقى نصوص نهج البلاغة فضاءً واسعاً قابلًا للتحليل والقراءات المتتابعة والمختلفة باختلاف القراء والشراح؛ ذلك أن القارئ يمنحه معاني جديدة ومتجددة، فالنص بمثابة ((أرض مجهولة، وعلى من يريد اكتشافها أن يصبر نفسه على تحمل وعثاء السفر في مجاهلها في رحلة البحث عن المعنى الذي يستعصي على التحديد ويظل قابلاً للتأجيل))[3]. هذا هو دور القارئ المحلل، الذي يجتهد للوصول إلى غايته ليمنح النص حرية وحركة مستمرة، فيبقى لكل قارئ تأويله الخاص الذي يتميز وقدراته المعرفية الخاصة والمنهج المتبع في تحليله بشرط أن يكون هذا التأويل والتحليل له أثر في تحقيق الانسجام والتماسك لأي نص مدروس فهذه الغاية المرجوة من مبدأ التأويل.

وبذلك تكون عملية التأويل مهمة في تحليل النصوص، إذ تساهم في ترابطه وتماسكه بارتباط عناصره دلالياً، بحيث يضمن استمرار النص، كذلك يعمل على انسجامه وتحقيق نصيته، فيكون القارئ قد شارك في انتاج النص بتوصيله إلى قصده وتجاوز قصدية المنتج، إذن فالتأويل عنصر أساس في انسجام النص وتماسكه.

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٥/ ١٧٠-١٧١.

(٢)* ينظر صفحة (٩٢ - ٩٥) من البحث.

(٣) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: ٢١٠.

**ثانياً: التغريض.**

وهو مبدأ من مبادئ تحقق الانسجام ويقصد به ((ذلك الجانب من بنية الخطاب الذي يحدد نسبة الأهمية التي تعطى لمقاطع متعددة من الخطاب النثري))[١]، فالنص بعده متتالية من الجمل له بداية ونهاية مرتبطة فيما بينها، هذا الشكل له تأثير في تأويله، ويعطيه دلالات خاصة، إذ ((تتمحور كل تركيبة كل جملة، كل فقرة، كل حلقة وكل خطاب حول عنصر واحد خاص، يكون هو نقطة الانطلاق))[٢].

لذلك يعد الباحثون التغريض ذا ((علاقة وثيقة مع الخطاب ومع عنوان النص))[٣]. يدل هذا على أن العنوان يمثل ركيزة مهمة في فهم القارئ لمضمون النص، وبه يتحدد ما سيفهمه القارئ، وعليه ينبني تأويله لما يليه من جمل، وهذا لا يعني أن النصوص الخالية من العناوين لا يمكن للقارئ تحليلها، بل بعد انتهائه من القراءة والتحليل يستطيع أن يضع عنواناً للنص. فالتغريض يمنح المتلقي توقعات قوية حول موضوع النص، ويتحكم العنوان في تحليل المتلقي وتفسيره وتأويله. فضلاً عن أنه يتحكم في تغريض الخطاب بعدّه ((أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب ووظيفه العنوان هي أنه وسيلة خاصة قوية للتغريض))[٤]. فله وقع خاص في ذهن المتلقي؛ لأنه نقطة البداية فقد يذكر فيه اسم وهو الاسم المغرض ويختلف من نص لآخر، إما اسم علم أو حادثة...إلخ.

---

(١) تحليل الخطاب: ١٥٦.

(٢) نفسه: ١٥٦.

(٣) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٩٣.

(٤) نفسه: ٦٠.

كذلك فإن الجملة الأولى في نص ما تحدد ما سيفهمه المتلقي من النص، وعليها تتراكم الدلالات الموالية، وبذلك يعدّ النص نسيجاً متضاماً من الجمل المترابطة، فالجملة الأولى هي الجملة المنطلق تنمو وتتكاثر وتكبر إلى أن ينشأ نص منسجم بمعنى ((أننا نفترض أن كل جملة تشكل جزءاً من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم))[1]. فالعنوان والجملة البداية، أو الجملة المفتاح في النص، إذ بها يفتح النص ويتم بناؤه وتشكيله، لها أثر كبير وأهمية بالغة في التغريض، وكذا في توجيه تأويل المتلقي.



وهناك مصطلح آخر أكثر عمومية وشمولاً هو ((الإخراج)) بوصفه استعارة عامة تغطي استغلال مثل هذه الظواهر في الخطاب، وهذا المصطلح يتردد لدى علماء النفس خاصة، فهم ((يعتقدون أنّ كيفية إخراج مقطع من الخطاب لابد أن تؤثر بشكل كبير على عملية الفهم))[2] فهذه العناصر تعمل على إعطاء لمحة عن محتوى النص وما يهدف إليه صاحبه.

أما الطرائق التي يتم بها التغريض، فمتعددة مثل ((تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية...))[3]. وغالباً ما تتوفر هذه بكثرة في كتب التراجم، فبهذه الطرق يتم تغريض المتحدث عنه فيكون بجعله بؤرة الموضوع، أو النواة التي يتشكل منها النص وهي النواة المكثفة، إذ ترد في النص كلمة تعد هي الكلمة المحور التي يدور الحديث

(١) نفسه: ٥٩.

(٢) تحليل الخطاب: ١٥٦.

(٣) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٩.

عليها، ويمكن استخراجها بتوظيف عملية إحصائية من جهة المتلقي، فتكون أكثر تكراراً في النص، وأكثر إيراداً لها، وفيما يأتي تطبيق لهذا المبدأ في تحقيق الانسجام ففي قراءتنا للنصوص المدروسة نجد البداية في مواجهة العنوان نلحظ أن الإمام (عليه السلام) في كتاب له إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة قال فيه: «**أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مثل مَرْبِضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أَضْعَفِهِمْ، وَلا تَكُونُوا فَتَّانِينَ**»[1]. فانطلاقاً من العنوان بعده ((تعبيراً ممكناً عن الموضوع))[2]، فاختار الإمام (عليه السلام) (معنى الصلاة) عنواناً لرسالته هذه والتساؤل هل له علاقة بمضمون الرسالة ومحتواها؟ وهل يدل على ما جاء بعده؟

إن القارئ لهذه الرسالة يجد في البداية عنوانها (في معنى الصلاة) ويأتي بعده مباشرة الجملة الأولى وهي جملة الانطلاق أو جملة المنطلق. ويطلق عليها جملة المفتاح وهي (فصلّوا بالناس)، فهذه الجملة بدأت بصيغة فعل الأمر وهذا يتلاءم مع طبيعة هذه العبارة، ثم تلاها بجمل كلها تبدأ بالفعل نفسه، بحيث تتراكم الوحدة تلو الأخرى، وتنمو وتتزايد لتصبح فقرة أو جزءاً دالاً عمّا هو في العنوان، وقد وظّف الإمام (عليه السلام) ذكر الظروف الزمانية التي جاءت متوافقة مع أوقات هذه العبارة، ليحقق بها الانسجام في الرسالة،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٢ (ك ٥٢).
(٢) تحليل الخطاب: ١٥٦.

فالقارئ يربط بين عنوان الرسالة ومضمونها فهما مترابطان، ودلالة العنوان مستمرة وممتدة في الرسالة إذ توحي ألفاظ النص بها. ومن أثر العنوان في تغريض النص ما جاء أيضاً في وصيته (عليه السلام) لعبد الله بن العباس (لما بعثه للاحتجاج على الخوارج): «**لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ... وَلَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**»[1].

فدلالة العنوان مستمرة في مضمون النص، وما يؤكد ذلك توالي الجمل التي تضم دلالات متقاربة متشابهة، تهدف كلها إلى مغزى واحد ومما يزيد دلالة العنوان عمقاً في النص ورود التوكيد (بأن ولن) وذلك لإثبات أمر الاحتجاج في ذهن المتلقي. وكذا الجملة الأولى (لا تخاصمهم بالقرآن) التي تنامت وتزايدت بضم باقي العبارات إليها، وهذا يعين المتلقي (القارئ) على الفهم، والربط بين الافكار والدلالات، وبذلك تمكنه من كشف خبايا الوصية. فكانت الجملة الأولى هي المنطلق، وهي الجملة المحور التي يدور حولها الموضوع، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعنوان وتتابعت العبارات من ورائها، مع ربط محكم بتنويع المفردات والجمل، والتراكيب اللغوية والدلالية، فجاءت في شكل حلقات متسلسلة الشكل في وحدة واحدة هي نص الوصية.

والوصية منسجمة بتغريض الإمام (عليه السلام) عن طريق العنوان الذي اختاره لوصيته، وكذا عن طريق الجملة الأولى (الافتتاحية) والإحالات الضميرية والتكرارات التي خدمت انسجام النص التي جاءت مترابطة مع

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٧١ (و ٧٧).

العنوان وموضوعه. فالتغريض إذن مهم جداً، ويجعل المتلقي في حوار مستمر دائم مع النص، ويضمن له انسجامه وترابط عناصره من بدايته إلى نهايته، فيتمكن المتلقي من قراءته قراءة جيدة وينتهي إلى تأويل ملائم غير غريب أو بعيد عمّا هو مألوف لدى الدراسين.

لكن مع اهمية هذا المبدأ إلا أنّ هناك الكثير من النصوص المدروسة التي تتصف بكونها خالية من العنوان فهل هذا يعني أنها غير منسجمة ولا مترابطة؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يقع على عاتق القارئ الموهوب الذي يستطيع بحكم ثقافته وقدراته المعرفية من الحكم على هذه النصوص لأنه يستطيع بعد قراءته لأي نص منسجم يمتلك آليات وأدوات تماسكه أن يحكم عليه بالانسجام وأن يضع له عنوانه الذي يتناسب ومضمونه من أمثلة ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر، لمّا ولّى عليهم الأشتر (رحمه الله): «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ الله، لا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ؛ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، لا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلا نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَلا يُحْجِمُ، وَلا يُؤَخِّرُ وَلا يُقَدِّمُ إِلا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**»[1]. بعد الانتهاء من قراءة النص نستطيع أن نضع تغريضاً له وهو (مالك بن الحارث الأشتر)؛ لأنه البؤرة المركزية في النص فكل الأوصاف والأفعال تشير إليه كذا كل الإحالات الضميرية (ضمائر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ١٥٦ (ك ٣٨).

الغيبة المستترة والظاهرة (المنفصلة والمتصلة) تعود إليه كذا نجد أن الإمام (عليه السلام) قد صرّح علناً باسمه وكنيته فقال معرفاً به: ((مالك بن الحارث أخو مذحج)) وعليه كان مضمون النص منسجماً مع العنوان الموضوع له.

ومثل ذلك أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي (رحمه الله) قبل أيام خلافته: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالاتِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ**»[1]. يمكن أن نضع عنواناً لهذا النص وهو (ذم الدنيا وتحقيرها) لأنها البؤرة المركزية في النص فبدأ كلامه بذكرها وسرد أوصافها فكل الإحالات الضميرية في (فيها، منها، همومها، فراقها، بها، منها، صاحبها، فيها) تعود إلى الدنيا ويزاد على ذلك أن الجملة الأولى في النص هي التي حددت فهمنا لمضمون النص وعليها تراكمت المتتاليات الجملية اللاحقة التي عملت على إنماء الجملة الأولى مما أكد انسجامها وترابطها إذ أعاننا ذلك على ربط الأفكار والدلالات بالعنوان المفترض.



**ثالثاً: ترتيب محتوى النص.**

من مظاهر الانسجام النصي (ترتيب محتوى النص) الذي يطلق عليه (الترتيب العادي للوقائع في النص)[2]، ذلك لأنّ ((ورود الوقائع في متتالية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٤ (ك ٦٨).

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٨.

معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم))[1]. وهناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والاهتمام وتتمثل فيما يأتي (العام-الخاص، الكل-الجزء، المجموعة الفرعية-العنصر، المتضَّمن-المتضَمن، الكبير-الصغير، الخارج-الداخل، المالك-المملوك)[2]. وقد سبق تناول بعض هذه العلاقات تبعاً لورودها في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في الفصل الأول في مبحث الاتساق المعجميّ[3]*.



**رابعاً: الحالة العادية المفترضة للعوالم (المعرفة الخلفية).**

يعد هذا المبدأ شرطاً معرفياً، فهو أداة لمعرفة مدى انسجام خطاب ما، ويقصد به ((أنّ توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوالم عموماً والحالات الخاصة للأمور أو مجرى الأحداث))[4].

وذلك يعني أن المتلقي له معرفة مسبقة بالأفكار والأشياء مخزونة في الذهن وهذا حسب تجاربه السابقة، لأنه قارئ موهوب قادر على الاحتفاظ بالعناصر الرئيسة للنصوص حين معالجتها وتحليلها، كذلك لابد من توفر شرط أساس، يتمثل في الحس الفني، والذوق الرفيع وآليات التحليل. إذن فالقارئ عندما يواجه نصاً ما يحاول استحضار ما يملك

(١) نفسه: ٣٨.

(٢) ينظر: نفسه: ٣٩، الاتساق والانسجام في سورة الكهف: ١٥٠-١٥١.

(٣)* ينظر: الصفحة ( ١٠٠ - ١٠٦ ، ١١٩ - ١١٢٠ ) من البحث.

(٤) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٥.

من مخزونه المعلوماتي فيما يخص هذا النص، فيأتي بما يحتاجه في دراسته، وأن هذه المعرفة المسبقة ومجموعة المعلومات تكون منظمة غير عشوائية، إذ إن تمثيلات المعرفة هذه تتسم بأنها منظمة بطريقة ثابتة بوصفها وحدة تامة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة[1]. وهذا التنظيم في التغريض يسمح للقارئ باختيار ما هو مناسب من حيث الحاجة إليه لذلك يقوم هذا المفهوم على أنّ المخاطب لا يتلقى ما يتلقاه من نصوص وهو خالي الذهن، إنّما يتلقاها وقد حصلت لديه جملة من المعارف هي التي سميت (المعرفة الخلفية) أو معرفة العالم[2]. وهي أداة من أدوات انسجام النص، وتعني ((ثقافة المتلقي وأدواته المعرفية، وما يمتلكه من قدرات تساعده على التصور الذهني للأشياء))[3].

إذ إنّ قراءتنا لنص ما تجعلنا أمام افتراض بوجود عالم خارج النص يشير إليه النص، ففهم عالم النص انطلاقاً من فهمنا لعالمه الخارجي، وهذا يشير إلى وجود علاقة بين النص والعالم؛ فكل اختيار لغوي يحدث على مستوى النص هو اختيار متميز لوقائع في العالم الخارجي، ومعرفة المرء بالعالم تساعده في عمليات استنتاج مفاهيم النص، وتوقع المعلومات التي لم ترد فيه بشكل صريح، فبإمكانه إعادة وصف النص وتلخيصه



(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦٢.
(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٧٥.
(٣) عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة (اغنية شهر آيار) لأحمد عبد المعطي حجازي: ٥٤١.

وملء فراغاته انطلاقاً من معرفته بالعالم[1]، وعلى هذا فإنّ تحليل النص أو معرفة مدى انسجامه والحكم عليه بالنصية أو عدمها، يعتمد على ما تراكم لدى القائم على تأويل النص أو متلقيه من معارف سابقة تجمعت لديه، قارئ قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابقة التي قرأها أو عالجها[2].



ويذهب (دي بوجراند) إلى أنّ ((مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل نص هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره))[3].

وما نعرفه عن التاريخ الإسلامي - وإن كان قليلاً - قد يسعف في الوصول إلى تحليل بعض نصوص الرسائل والوصايا فقد أدت وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تعريض الإسلام لصدمة شديدة ومشكلة عظمى للمجتمع الإسلامي واختلفت الآراء فيمن يتوّلى أمر المسلمين، وكان بنو أمية يكنون العداوة لبني هاشم، منذ الجاهلية، وقد استفحلت عداوتهم بنزول الإسلام في بني هاشم دونهم فاضطهدوا الرسول وأهله وطردوه من مكة ولاحقوه إلى المدينة وحاربوه في بدر وأحد وغيرهما.

---

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٩٢.

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦١.

(٣) تحليل الخطاب: ٢٧٩.

وبمجيء عثمان لسدة الحكم حدثت الفتنة وتفرقت كلمة المسلمين شعاعاً وتباينت مذاهبهم، وعادت العصبية وانقسمت قريش فقد خالف عثمان بن عفان سياسة عمر بن الخطاب مع كبار الصحابة[1]، فقام بعزل الولاة والعمال الذين استعملهم عمر قبله في البلاد المفتوحة وشغل المراكز الرئيسة في الدولة بأهله وأقاربه من الأمويين دون غيرهم. وقد أندفع هؤلاء الولاة والعمّال في ارتكاب المخالفات الخطيرة التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية، فأساءوا إلى أهالي البلاد المفتوحة كما فعل سعيد بن العاص، وقد ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة، إذ عدّ سواد العراق بستان قريش فاغضب الناس ونفى الخاصة إلى الشام فشكوه إلى عثمان فلم ينصفهم منه[2]. ثم أقطع معاوية بن أبي سفيان بعض المزارع التي طلبها منه، وكانت أعمال معاوية - الذي اتخذ القصور وأحاط نفسه بالحاشية وعاش عيشة ملوك فارس والروم - مما أثار الغيرة على الشريعة والحق والنقمة على عثمان[3]، فنفر الناس وأعلنوا غضبهم على عثمان بن عفان بعد أن رأوا فساد الإدارة الذي ولّد سخطاً عاماً بين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد انتهى بالثورة التي فقد فيها عثمان حياته.

وكانت الوفود قد جاءت عثمان قبيل مقتله، وانضمَّ إليهم بعض أهل المدينة في ضرورة مجاهدة عثمان وكلموا الإمام علياً (عليه السلام) في أن يكون رسولهم إليه، ونصح عثمان وحذره وعارض سلوكه وموقفه المخالف للشريعة

(١) ينظر: تاريخ الطبري، الطبري: ٢/ ٥٩٥-٥٩٩، ٦٤١-٦٤٦.
(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣/ ٥٣-٥٦.
(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢/ ٢٠٦.

الإسلامية، وأشار عليه بما فيه من صلاح له، وقد شعر الإمام بالأسى والحزن من سياسة عثمان، فلم يستطع السكوت عليها فعارضه[١]، كما عارض معاوية الذي كان يتربص الفرص ليتمكن من الاستيلاء على السلطة بعدما وطد لنفسه قوة عسكرية في البلاد التي حكمها، وبعد مقتل عثمان بويع الإمام علي (عليه السلام) باجماع المسلمين؛ فقام معاوية في وجهه خوفاً من توليه الخلافة بما يعرفه من شدته وحزمه واستقامته ودقته في الحكم وغيرته وتمسكه بأصول الشريعة.

وكان وجوده في الحكم معناه محاسبتهم وضياع ثروتهم وفقدان نفوذهم وامتيازاتهم[٢] وكان معاوية يكنُ العداء للإمام علي (عليه السلام)، لأنه قد قتل عدداً لا يستهان به من شباب بني أمية وفرسانهم أثناء الغزوات لتصديهم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعوة الإسلامية، فحمل (قميص عثمان) يثير به أهل الشام وقاتل الإمام علياً (عليه السلام) وانهزم أمامه في مواقع قتالية عدّة من صفين، وكادت الغلبة تكون للإمام لولا خدعة التحكيم بالعودة إلى القرآن لتحديد الخليفة والخلافة، وقد مكنت معاوية من ايقاف رحى القتال ودفع الهزيمة عنه واستغلال الوقت بالحوار، وقد كان ما كان من أمر التحكيم ونتائجه التي وسعت دائرة الاختلاف وزادت شقة الخلاف بين المسلمين، وأرست دعائم سلطة معاوية[٣].

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ٧٥-٩٠.

(٢) ينظر: نفسه: ٣/ ٩٦-١٠٠.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري: ٣/ ٣٦-٨١

وهذا كله يفسر لنا ما جاء في رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية التي أوضحت طبيعة الواقع السياسي والعلاقة بينهما وبعد خدعة التحكيم استقل الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة في الكوفة، واستقل معاوية بالشام الذي جعل همه أن يقلق الإمام علياً (عليه السلام) في خلافته وألاّ يتيح له المجال ليستقر وينصرف إلى شؤون خلافته ديناً ودنيا، فراح يعمل كل ما في وسعه، وبالوسائل المختلفة المتعددة ليسود الاضطراب والفوضى فكان يستميل أنصار الإمام (عليه السلام) بالترغيب بالمال والمركز والتقريب مرة والتهديد والترهيب مرة أخرى، وهذا ما يفسر لنا كتاب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ. وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَارُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلامُ**»[1].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عمرو بن العاص: «**فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٣٢ (ك ٣٢).

**فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا، فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا»**[1].

وكذلك فعل مع زياد بن أبيه، وهذا ما يفسر لنا كتاب الإمام (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه، يريد خديعته باستلحاقه: **«وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، لا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ»**[2].

ومثل هذه المعرفة أيضاً توضح لنا مضمون كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية): **«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً إِنَّهُمْ وَاللهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَ السَّلام»**.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٠ (ك ٣٩).

(٢) نفسه: ١٦/ ١٧٧ (ك ٤٤)

ففهم بنية هذه النصوص هي فعالية ذاتية لتراكم تجارب سابقة أسهمت في إعطائنا القدر الكافي من المعلومات التي نحتاجها في فهم نص ما لذلك يذهب (براون وبول) إلى أن ((المعرفة التي نملكها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة ليست إلا جزءاً من معرفتنا الاجتماعية – الثقافية: إن هذه المعرفة العامة للعالم لا تدعم فقط تأويلنا للخطاب، وإنما تدعم أيضاً تأويلنا لكل مظاهر تجربتنا))[1].



فموضوع أي نص يتوقف على معرفة علاقته بالعالم فما ذُكر آنفاً من وقائع تاريخية تساعد في فهم موضوعات رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى أعدائه ومناوئيه التي يستعين بها القارئ لمعرفة ما يدور في فلكه، إذن المعارف مرتبة ومنظمة بطريقة خاصة وفق عالم خاص يلجأ إليها القارئ أثناء مواجهة نص من النصوص مع عدم إفقاد الحق في التماسك والانسجام، وهذا يعين على وجود ترابط بين مضمون الرسالة أو الوصية وما هو في الواقع.

**خامساً: البنية الكبرى وقواعد البناء.**

يهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل، وقد عدّ (فان دايك) الأبنية الكبرى علاقات الربط وأوجهه التي ترتكز على النص بوصفه كلاً موحداً وتتعلق بالوصف الدلالي للنص، وتتضمن أبنية الجمل والتتابعات التي تخضع لعمليات تحويلية[2]، فهي إذن ذات طبيعة دلالية، إذ تصور

(١) لسانيات النص، محمد خطابي: ٣١١.

(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٧٤، العلاماتية وعلم النص، د. منذر عياشي: ١٥٨.

((الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية. وبذلك يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية))[1]. وتعرف البنية الكبرى بأنها ((تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص))[2]، وهذا يعني أنّ ((ما يسمى بالبنية الكبرى هو تلخيص لتلك التفاصيل ولا يحتفظ في البنية الكبرى سوى بالأهم والمفيد عند الإبلاغ))[3]. وهنا يبرز دور المتلقي في اختيار العناصر المهمة التي يعبر بها عن البنية الكبرى، أي أنّ البنية الكبرى تختلف من شخص لآخر، وترتبط بالقضية التي يعبر عنها طريق الجمل المشكلة للنص؛ أي أنّها تولد من صلب البنيات الصغرى وتسمح لمستعملي اللغة باستخلاص الاستنتاجات الضرورية أو المحتملة كذلك تسمح له أيضاً باكتشاف القضايا المفقودة التي تجعل النص متماسكاً عن طريق المعرفة العامة أو المعرفة السياقية.



ويتم بناء البنية الكبرى بتطبيق مبدأ الاستلزام (التضمين) الدلالي الذي يعني ((أنّ كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلالياً في جملتها داخل سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة))[4]. فهذه القواعد تساهم في بناء وحدات من سلاسل القضايا التي تساهم في بناء القضية الأعم، كذلك تعد عمليات القواعد الكبرى اختصارات للمعلومة الدلالية فهي تختزل وتقلل وتنظم المعلومات في البنية الصغرى[5]، وقد

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاص: ٧٥.
(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.
(٣) سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي: ٩٢.
(٤) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١.
(٥) ينظر: نفسه: ٧٨.

حصرها (فان دايك) في أربع قواعد وأطلق عليها تسمية (القواعد الكبرى) (Macro Rules)[1]. وفيما يلي عرض لهذه القواعد وتطبيقاتها على نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

**١ـ قاعدة الحذف:**

وهذه القاعدة مألوفة إلى حد ما، وتتضمن أنّ كل معلومة غير مهمة أو غير جوهرية يمكن أن تحذف بوصفها ثانوية بالنسبة للمعنى أو لتفسير المستوى الأعلى، أي يحذف من النص كمٌ من القضايا التي ليس لها وظيفة لتفسير القضايا التالية[2]، ففي نص كتاب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية: «**فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ نَقْضُ مَا أَبْرَمَ**»[3]. وبتطبيق قاعدة الحذف على هذا النص يكون النص بالشكل الآتي: ((إن الدنيا مشغلة عن غيرها))، فقد حذفت القضايا التي يحتاج إليها في تفسير القضايا اللاحقة، إذ إن القضايا المحذوفة تعد قضايا غير أساسية.

ومثل ذلك أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمذاني: «**وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ**»[4].

(١) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١ – ٨٥.
(٢) ينظر: نفسه: ٨١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤ (ك ٤٩).
(٤) نفسه: ١٨/ ٤١ (ك ٦٩).

عملت قاعدة الحذف في القضايا الثانوية التي يمكن حذفها من البنية الكبرى فيكون النص ((تمسك بحبل القرآن وانتصحه))، إذ نلحظ أننا بتطبيقنا لهذه القاعدة نكون قد فقدنا بصورة مطلقة جزءاً من المعلومات الصغرى.

**٢ـ قاعدة الاختيار:**

وهي تتعلق باختيار القضايا الضرورية التي تساهم في تفسير القضايا الأخرى، إذ يحذف كمٌ من المعلومات التي تعد فرضيات مسبقة، أو توابع لقضايا أخر، ويمكن أن تستعاد المعلومة المحذوفة ثانية بشكل محدد[١]، فيمكننا أن نحذف من كتابه (عليه السلام) إلى كميل بن زياد النخعي الذي ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة: «**فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ، وَلا مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلا سَادٍّ ثُغْرَةً، وَلا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً، وَلا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ**»[٢].

يمكن أن نحذف ((غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا ساد ثغرة، ولا كاسر لعدو شوكة، ولا مغن عن أهل مصره، ولا مجز عن أميره)) لأن كونه جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك يقضي إلى كل ما حذف من تراكيب لأنها مجرد فرضيات تابعة للقضية الأساسية التي لا يمكن ان تحذف من النص. كذلك يمكن أن نطبق هذه القاعدة على كتابه (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي (وقد خان في بعض ما ولاه من اعماله) الذي جاء

(١) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٢-٨٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ١٤٩ (ك ٦١).

فيه: «**فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ**»[1]. عملت قاعدة الاختيار في القضية الضرورية لبناء البنية الدلالية الكبرى وهي في قوله: ((تعمر دنياك بخراب آخرتك))، فإنها تفضي إلى القضايا الأخرى المحذوفة من النص وهي ((لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقي لآخرتك عتاداً، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك)) لأن هذه القضايا الصغرى هي جزء من البنية الكبرى.



**٣ـ قاعدة التعميم :**

تقوم هذه القاعدة على حذف المكونات الأساسية لتصور ما، وتحل قضية جديدة محل قضية قديمة، ويمكن أن يحلّ محلّ عددٍ من التصورات التصور العلويّ المشترك الذي يحدّد الكم الكلي، ويتحقق من تعميمات هذا النمط ما يطلقُ عليه (التجريد)، إذ تصير السمات المميزة الخاصة بسلسلة من الموضوعات غير مهمة نسبياً[2]. ففي وصية الإمام (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ**»[3].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٥٤ (ك ٧١).
(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٣-٨٤.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٤ (و ٣١).

يمكن أن تحل محلها القضية ((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به)) لأنها تعدّ مفهوماً مشتركاً يتضمن تلك القضايا دلالياً، كذلك يمكن أن تحلّ محل القضايا في كتاب له (عليه السلام) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة: «**فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَ الشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ**»[1]. فمن الممكن أن تحل محلها قضية ((صلوا الصلاة في وقتها الموقت لها)) لأن كل القضايا المذكورة في النص تتضمنها مفهومياً هذه القضية العامة.

٤- قاعدة التركيب أو الإدماج: يرى (فان دايك) أنّ هذه القاعدة ذات أهمية كبرى للقواعد الأخرى، وهي تشبه إلى حد ما قاعدة الاختيار، إلا أنها تعمل بوساطة الاستبدال أي أن تحل معلومة جديدة محلّ أخرى قديمة لا تحذف ولا تختار، أي تستنبط بصورة عقلية لبناء تصورات أعمّ[2]، كما في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) في وصف الله سبحانه وتعالى: «**لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلا نِهَايَةٍ**»[3]. فمن الممكن تلخيص هذه السلسلة من القضايا وادماجها في قضية واحدة هي: ((إن الله سبحانه وتعالى هو الأول والآخر)) لبناء تصور أعم يصف هذه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٢ (ك ٥٢).
(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٤-٨٥.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٧ (و ٣١).

الحال الشاملة لله سبحانه وتعالى ويمكن أن تطبق هذه القاعدة أيضاً في قوله (عليه السلام) في وصية له لعبد الله بن العباس (لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج): «**لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ... وَلَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**»[1].

إذ تدمج سلسلة القضايا لبناء تصور أعم وأعلى في قولنا: ((حاججهم بالسنة لا بالقرآن)) إذ حددت سلسلة القضايا مجملة في هذه القضية فهذه القاعدة – هنا – مهمة إلى حدٍ ما لأن مفهوم ((الحجاج بالسنة)) يوجب أن تذكر سلسلة من المكونات الضرورية لهذا المفهوم، حتى يمكن أن يستنبط هذا الرابط من النص. إنّ تطبيق هذه القواعد ينتج عنه ((اختصار للنص، موجز يفهم على أنه تشكيل فعليّ مباشر للبنية الكبرى. ويقرّ (فان دايك) بأن القواعد يمكن – تبعاً للسياق وللمتلقي وموقفه الإدراكي – أن تطبق بصورة متباينة. ومن الممكن أيضاً تبعاً لذلك أن يكون لنص ما وللنص ذاته اوجه اختصار متباينة))[2]. ويؤكد (فان دايك) بأن هذه القواعد لا يجب أن تطبق بشكل منطقي صارم؛ بل بشكل استقرائي[3]. ومن الناحية الشكلية يرى (فان دايك) أنّ القاعدتين (الحذف والاختيار) هما للإلغاء (الحذف)، أما القاعدتان (التعميم والتركيب) فتختصان (بالاستبدال)[4]، إذ ((تمكننا القواعد من أن نقرر بدقة إلى حد ما هو رئيسي وما هو ثانوي، تبعاً



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٧١ (و ٧٧).
(٢) التحليل اللغوي للنص: ٦٩.
(٣) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٥.
(٤) ينظر: نفسه: ٨١.

لمعنى النص في مجمله. وحين يمكن أن تنشأ بنيتان كبيرتان عند استخدام القاعدة في المستوى ذاته، فإننا نتحدث عن نص أكبر – متعدد المعنى، حيث نريد أن نقول بذلك إنّ تفسيرين صحيحين ممكنان على الأقل من الناحية الشكلية))[1].

فاستطاع (فان دايك) أن يثبت أن البنية الكبرى تؤدي في نموذج سيكولوجي لعملية فهم النص أثراً جوهرياً[2]. وعليه فإن أثر البنية الكبرى في النص هو تحقيق الانسجام النصي، يظهر ذلك في رد فعل القارئ أو المستمع، وعدم قبوله للنص لأنه يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته وتوحّد مقاطعه.



**سادساً: وحدة الموضوع بين النصوص.**

من مظاهر الانسجام بين النصوص المدروسة هو التوافق الحاصل بين بعض نصوص الرسائل وينطلق هذا الفهم من ((الفرض القائل بأن للنصوص نواة موضوعية، موضوع يُبْسَط حسب مبادئ معينة (موجهة آخر الأمر توجيهاً اتصالياً) حول المضمون الكلي للنص))[3]، ويعرف موضوع النص بأنه ((الصياغة الملخصة إلى أبعد حد لمضمون النص))[4]. وعليه فإن قراءة لنصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة تقودنا إلى استشعار وحدة الموضوع مع اختلاف الأسلوب بين بعض النصوص، إذ تدور حول

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٧.
(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص: ٦٩.
(٣) نفسه: ٧٢.
(٤) نفسه: ٧٣.

موضوعات وقضايا معينة كقضية قتل عثمان، الرعية، الصدقات، العبادات والبيعة، ...إلخ، وقد يكون حول شخصية معينة تكون هي البؤرة المركزية لمضمون النصوص.

إن تحديد الموضوع ((تابع للفهم الكلي الذي يستخلصه القارئ المعين من النص./ ذلك الفهم الكلي يحدده بشكل حاسم المقصد المخُمنّ لدى (الباث)، أي القصد التواصلي الذي اتبعه المتكلم / الكاتب بنصه حسب رأي المتلقي))[1]. فعادة النص يضم موضوعات عدة لكل منها أهمية خاصة في واقع النص؛ لكن بمقارنته مع النصوص الأخرى يمكن أن نضع أيدينا على الموضوع الأساس فيها جميعاً ((فالموضوع الذي ينسجم انسجاماً أمثل مع وظيفة النص المكتشفة على أساس تحليل (براجماتي) للنص))[2].



وسنقف عند النصوص الآتية لإظهار مدى انسجامها وتلاؤمها مع بعضها ضمن تناول موضوعين بوصفهما أنموذجاً لوحدة الموضوع الأول: تمثل في بعض الرسائل المرسلة إلى معاوية التي ركزت على قضية مهمة وهي قضية مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان؛ إذ صرّحت هذه الرسائل على براءة الإمام (عليه السلام) من دمه وإلحاح معاوية على توجيه الاتهام إلى الإمام (عليه السلام) بدعوى المطالبة بالثأر وقد رأى أن مقتل عثمان يفيده في أمرين الأول: يفتح له المجال للوصول إلى الخلافة والآخر: أن يتهم الإمام (عليه السلام) بدمه فيكون ذلك ذريعة لحربه والتخلص منه[3].

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص: ٧٤.

(٢) نفسه: ٧٥.

(٣) ينظر: تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون: ٤٤٨.

وفيما يأتي سرد لنصوص الرسائل التي ركزت على هذه القضية فمن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ، لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ**»(١).

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَ لا بَحْرٍ، وَ لا جَبَلٍ وَلا سَهْلٍ، إِلا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَ زَوْرٌ لا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ**»(٢).

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ، فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللهِ وَ هِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ**»(٣).

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب: «**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ؛ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ كَلا وَاللهِ لَقَدْ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٣٥ (ك ٦).
(٢) نفسه: ١٤/ ٤٧-٤٨ (ك ٩).
(٣) نفسه: ١٥/ ٧٩ - ٨٠ (ك ١٠).

﴿يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً﴾. وَمَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ. وَمَا أَرَدْتُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإليه أنيب»[1].

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ للأَهْوَاءَ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ للهِ تعالى طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ، فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ. وَالسَّلامُ»[2].

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية جواباً: «وَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ وَالسَّلامُ لأَهْلِهِ»[3].

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية أيضاً: «فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلافِكَ بِادِّعَائِكَ الأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالأَكَاذِيبِ، من انْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلا عَنْكَ وَابْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لُحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).
(٢) نفسه: ١٦/ ١٥٣ (ك ٣٧).
(٣) نفسه: ١٧/ ٢٥١ (ك ٦٤).

**وَبَعْدَ الْبَيَانِ إلا اللَّبْسُ فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلابِيبَهَ،ا وَأَغْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا»**[1].

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية في أول ما بويع له: «**فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ حَتَّى كَانَ مَا لا بُدَّ مِنْهُ وَلا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ**»[2]. والآخر تمثل في ثلاثة نصوص لمتلقين مختلفين إلا أنها تتركز حول موضوع واحد ألا وهو بيان شخصية احدى الشخصيات الموالية للإمام علي (عليه السلام) هو (مالك بن الحارث الأشتر) وفيما يأتي ذكر لهذه النصوص:

النص الأول: من كتاب له (عليه السلام) إلى أميرين من أمراء جيشه: «**وَ قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلا سَقْطَتُهُ، وَلا بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ**»[3].

والنص الثاني من كتاب له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر، لّما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر، قبل وصوله إليها جاء فيه: «**إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللهُ فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ، وَ ضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ**»[4].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٢ (ك ٦٥).
(٢) نفسه: ١٨/ ٦٨ (ك ٧٥).
(٣) نفسه: ١٥/ ٩٨ (ك ١٣).
(٤) نفسه: ١٦/ ١٤٢ (ك ٣٤).

والنص الثالث: ما جاء في كتاب له إلى أهل مصر، لمّا ولّى عليهم الأشتر (رحمه الله): «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ الله، لا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَ هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، لا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلا نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا، فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَلا يُحْجِمُ، وَلا يُؤَخِّرُ وَلا يُقَدِّمُ، إِلا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**»[1].

وهكذا كانت وحدة الموضوع مظهراً من مظاهر الانسجام ليس على مستوى النص الواحد، وإنما يتجاوز ذلك ليكون على مستوى مجموعة من النصوص ممّا حقق ترابطاً بين نصوص نهج البلاغة حتى وإن كان متلقي هذه النصوص مختلفاً.

وختاماً نقول إنّ رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في ضوء ما تقدم من مظاهر الانسجام المتنوعة الجوانب ومبادئه امتازت بكون هذه النصوص غنية لغوياً ودلالياً، وقد استطاع الإمام من خلالها التأثير في المتلقين وتحريك مشاعرهم، بما انمازت به لغته وأسلوبه التي جاءت منسجمة مع طبيعة متلقي نصوصه وظروفها وموضوعاتها فتجاوز بذلك حد النص الواحد ليشمل عدداً من النصوص جاءت منسجمة ومترابطة مع بعضها بعضاً لتقدم فكرة موحدة أو موضوعاً واحداً يجمع شتات هذه النصوص، فهنا



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٥٦ (ك ٣٨).

أخذ الانسجام النصي في الرسائل والوصايا بعداً دلالياً فرقه عن شريكه في التماسك ألا وهو الاتساق النصي الذي كان ضمن حدود النص الواحد طال أو قصر إذ لا يتجاوز حدود التماسك إلى أبعد من ذلك (النص).

# المبحث الثاني

## العلاقات الدلاليّة والأبنية العليا

**أولاً: العلاقات الدلاليّة.**

إذا كانت القضايا هي لبنات النّص فإنّ البحث في علاقاتها لا بدّ منه، إذ إنّه يتعلق بالروابط التي تحكم هذه اللبنات، فالربط بين الجمل هو الذي يكشف عن الطريقة التي نفهم بها العلاقات التحتية في أي نص[1].

ويشير (فان دايك) إلى أنّ عملية الربط بين قضايا النص لا يقتصر على العلاقات الدلالية بين الجمل، ولكنها تعتمد على العلاقات الإحالية أيضاً وذلك في ضوء ارتباط هذه القضايا بوقائع في العالم الخارجي وارتباطها بسياق معين ((ترتبط قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيها الإحالية: أي أن تكون الوقائع التي تحيل إليها القضايا في تفسير ما مرتبطة بعضها ببعض))[2]. فالسامع لا يستطيع ((أن يربط بين القضايا جميعاً بعضها ببعض في أثناء عملية الفهم، فحين تترابط أحوال الموضوعات التي عينت القضايا لها في التفسير حينئذ فقط؛ يستطيع المفسر أن يجري ربطاً مفيداً لتلك

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٨٧.

(٢) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٥٣.

القضايا))[1]، وقد تمّ التركيز في هذا الجزء من البحث على العلاقات الرابطة بين أجزاء النص ولاسيما العلاقات الدلالية؛ لأنها ((علاقات لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفاً تحقيق درجة معينة من التواصل سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه))[2]، فتعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية النص[3]، وتجمع بين أطراف النص وتربط بين متولياته دون بُدوّ وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة[4]؛ لأنّ هذه العلاقات هي وحدها التي تجعل النص مترابطاً.



وتتميز هذه العلاقات بالحضور والغياب على مستوى النص؛ ذلك أن النص هو الذي يفرض ظهور أنواع معينة من العلاقات الدلالية دون غيرها متحكمة فيه ((مجموعة من العوامل المصاحبة مثل شخصية كل من المرسل والمستقبل، وطبيعة الفكرة المثارة في الرسالة، والسياق الثقافي والاجتماعي لذلك العصر))[5]، وعليه فإن البحث عن الانسجام النصي يحيلنا إلى مجموعة من العلاقات الدلالية التي تم رصدها في نصوص الرسائل والوصايا، كما موضح في الجدول الآتي:

(١) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هايفه مان وديتر فيهفجر: ٣٩.
(٢) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٦٩.
(٣) ينظر: لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس: ٨٣.
(٤) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٦٨.
(٥) نظرية علم النص: ١٣٨.

| نوع العلاقة | عدد مراتها في الرسائل | عدد مراتها في الوصايا | المجموع |
|---|---|---|---|
| الإضافة (الاستقصاء) | ١٦٣ | ٤٠ | ٢٠٣ |
| الاستثناء | ٧٠ | ١٩ | ٨٩ |
| الشرط وجوابه | ٤٦ | ٣٩ | ٨٥ |
| التضاد | ٥٦ | ١٤ | ٧٠ |
| إعادة الصياغة | ٥٠ | ١٨ | ٦٨ |
| السبب بالنتيجة | ٥٢ | ١٤ | ٦٦ |
| البديل | ٣٧ | ١٢ | ٤٩ |
| التمثيل | ٢٦ | ١٣ | ٣٩ |
| الإجمال والتفصيل | ٢٥ | ٢ | ٢٧ |
| القسم وجوابه | ١٥ | ١ | ١٦ |
| السؤال والجواب | ١٥ | ١ | ١٦ |
| التفسير والبيان | ٣ | ١ | ٤ |
| التتابع المفاجئ | ٢ | ١ | ٣ |

ونلحظ في هذه العلاقات أنها تصنف على نوعين: علاقات اتصال وعلاقات انفصال[١]، وعليه يمكن أن نصنف العلاقات الدلالية في الرسائل والوصايا إلى علاقات الاتصال وتشمل: (الإضافة (الاستقصاء) الشرط وجوابه، إعادة الصياغة، السبب بالنتيجة، التمثيل، الإجمال والتفصيل، القسم وجوابه، السؤال والجواب، التفسير والبيان). وعلاقات الانفصال وتشمل: (الاستثناء، التضاد، البديل، التتابع المفاجئ). وسوف نقف عند هذه العلاقات لتلمس أثرها في انسجام نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٨٩.

ومن العلاقات الدلالية:

**١ـ علاقة الإضافة (الاستقصاء) :**

تعد علاقة الإضافة من العلاقات الأساسية التي يتم بها بناء النص، ويقصد بها ((تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته))[١]، فمع كل ورود لها يقدم الإمام علي (عليه السلام) جزءاً جديداً مكملاً للجزء السابق عليه، بمعنى أنه عندما يطرق معنى معيناً فإنه يستقصي كل ما من شأنه تأدية هذا المعنى.



وهي من أكثر العلاقات الدلالية حضوراً في نصوص الرسائل والوصايا، ولعل السبب في ذلك ((ارتباط هذه العلاقة بإحدى آليات السبك (Cohesion) المعروفة في الكتابات العربية وهي السجع والجناس... لكن السجع أو الجناس وحدهما يميلان بالنص إلى التصنع الممقوت؛ فكان لزاماً أن يرتبطا بأساس دلالي يعطي مشروعية لوجودهما، ويتحولا من مجرد صنعة لفظية إلى تدعيم للمعنى))[٢]. ويظهر أثر علاقة الإضافة (الاستقصاء) في تحقيق التماسك الدلالي في النصوص المدروسة بقيامها:

**(أ) بناء المقاطع الوصفية .**

سجلت علاقة الإضافة حضوراً بارزاً في الكثير من نصوص الرسائل والوصايا ولاسيما في وصف الشخصيات أو الأشياء التي يدور النص حولها، وفي إدخال معلومات جديدة إلى النص تسهم في بنائه، إذ تساعد ((علاقة

(١) نظرية علم النص: ١٣٨.
(٢) نفسه: ١٣٨.

الإضافة في بناء نموذج ذهني للمراجع التي تقدمها... في تتابع تراكمي))[1].

من ذلك ما قاله في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر (رحمه الله): «**فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ الله، لا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَ لا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَ هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، لا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَ لا نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَ لا يُحْجِمُ وَ لا يُؤَخِّرُ وَ لا يُقَدِّمُ إِلاّ عَنْ أَمْرِي**»[2].

يقوم هذا النّص على نواة مركزية وهي وصف شخصية مالك بن الحارث الأشتر والمراجع التي رصفها ترتبط بعضها ببعض بالمصاحبة المعجمية، فنجده ذكر: (الأعداء، ساعات الروع، حريق النار، اطيعوا أمره، سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، لا نابي الضريبة، امركم، الإنفار، الإقامة، الإقدام، الإحجام)، فأكملت هذه الألفاظ صورة شخصية مالك بن الأشتر القتالية، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:



(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٥٦ (ك ٣٨).

م ١
م ٢
م ٣
بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
لا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ
وَلا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ
أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ
وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ
فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ
فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ
لا كَلِيلُ الظُّبَةِ
وَلا نَابِي الضَّرِيبَةِ
فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا
وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا
فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ
وَلا يُحْجِمُ
وَ لا يُؤَخِّرُ
ولا يقدم
ق١
ق٢
ق٣
ق٤
علاقة الاستقصاء ( ك/ ١ )
ق١
ق٢
ق٣
علاقة الاستقصاء ( ك/ ٢ )
ق١
ق٢
ق٣
علاقة الاستقصاء ( ك/ ٣ )
ق١
ق٢
علاقة الاستقصاء ( ك/ ٤ )
ق١
ق٢
ق٣
ق٤
علاقة الاستقصاء ( ك/ ٥ )
علاقة الاستقصاء ( ك/ ١ )

لقد ساعدت علاقة الاستقصاء الإمام علي (عليه السلام) على استقصاء كل الصفات المتعلقة بمالك ومثل ذلك قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعاوية): «**فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالا مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَ إِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَ سُحْقاً**»[1].

تركز الحديث في هذا النص حول هؤلاء القوم من أهل المدينة باستقصاء صفاتهم التي تتناسب مع تحول موقفهم من طريق الحق إلى طريق الضلال، فجاءت علاقة الإضافة ضرورية لبناء هذا النص إذ اكملت صورة هذا النموذج الذهني عند المتلقي لشخصية هؤلاء القوم من أهل المدينة عبر مجموعة من الإضافات ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٥٢ (ك ٧٠).

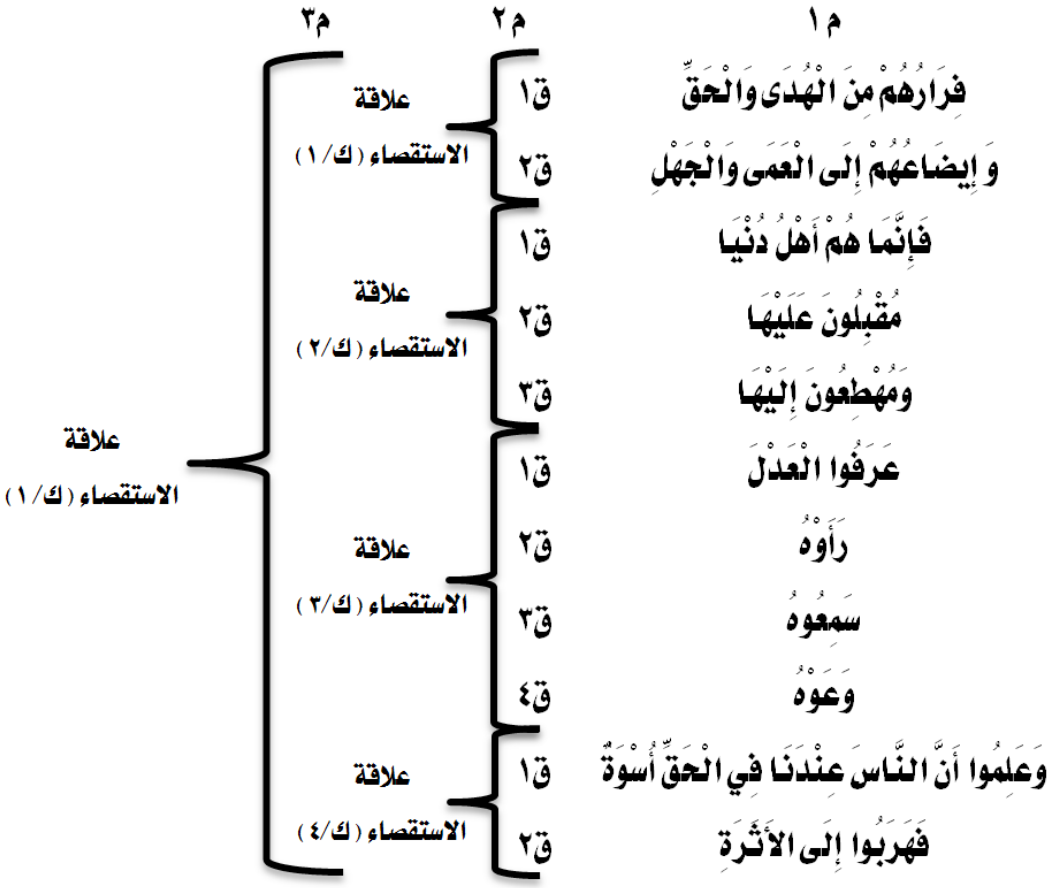




نلحظ -هنا- كيف يعتمد النص على علاقة الإضافة في بناء المقاطع الوصفية، وكيف يستعان بتلك العلاقة في إدخال معلومات جديدة تسهم في بناء الوصف، وقد تخلل هذا العرض للأوصاف السجع فقد أراد الإمام علي (عليه السلام) الإمتاع الصوتي المقترن بالدعم الدلالي المناسب لجذب انتباه القارئ للصياغة التي لا تخلو من صنعة لفظية بوصفها وسيلة للإقناع.

**(ب) الربط بين جمل القول .**

تقوم علاقة الإضافة بوظيفة الربط بين جمل القول في النص من خلال إضافة قول إلى قول آخر، فيسهم ذلك في إطالة النص وبنائه ككل واحد، على نحو ما نجده في قوله في كتاب له (عليه السلام) لشريح بن الحارث قاضيه: «**رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً، وَقَالَ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً. فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شُرَيْحُ: أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَ لا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ**»[1].

إن هذا النص يشكل الوسيلة التي تنقل حوارية موضوع البيع والشراء بين الإمام علي (عليه السلام) وقاضيه شريح فتعد علاقة الإضافة الأداة في نقل نص الرسالة من البعد الشفاهي إلى البعد الكتابي، فقد كان التتابع القولي المرتبط بظهور الشخصيات وسيلة من وسائل الربط على مستوى النص، إذ مثل هذا النص ظهور ثلاث شخصيات الأولى: شخصية الراوي وهذا نستشعره من الجملة الأولى المفتتح بها النص: (روي أن) وقوله: ((قال: فنظر إليه نظرة مغضب))، الثانية: شخصية الإمام علي (عليه السلام) وهي ظاهرة في قوله: ((فاستدعاه وقال له: بلغني ...))، وقوله: ((ثم قال له: يا شريح ...))،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧ (ك ٣).

الثالثة: شخصية القاضي وهي متمثلة في قوله: ((فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين))، فيربط التتابع القولي في هذا النص بين هذه الشخصيات على وفق الفهم المشترك بين المتكلم والمتلقي، فالإمام علي (عليه السلام) والقاضي شريح قريبان من الحدث؛ لأنه ((كلما كان المتكلم والمتلقي قريبين من حيث الزمان والمكان والأعراف الاجتماعية، كان ذلك أدعى إلى وضوح علاقات الارتباط العرفية، مما يؤدي إلى فهم المتلقي المعنى الدلالي العام))[1]. ومثل هذه العلاقة بين الأقوال ما جاء في كتاب له إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه: «**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاّ حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ، وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ، وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ...**»[2].

أتاحت علاقة الإضافة تتابع جمل القول بإضافة القول الأول إلى القول الثاني إذ تعد أداة ربط نصية بين مقاطع الأقوال مما أسهمت في إطالة النص واستقصاء ما يتصل بهذه الأقوال وكانت أداة من أدوات التنوع في النص وذلك لارتباطها بظهور الشخصيات المتمثلة بشخصية الإمام (عليه السلام) وشخصية معاوية، وقد تمثل القول الأول في قوله. وأما قولك ((إنا بنو عبد مناف، والقول الثاني: ((فكذلك نحن...)).

(١) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٠٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٧ (ك ١٧).

### (جـ) التتابع الحركي داخل النص .

تمثل علاقة الإضافة بين الجمل صورة أخرى من صور التتابع هي التتابع الزماني والمكاني داخل النص، ويتمثل التتابع الزمني بالانتقال من زمان إلى آخر، كما في قوله (عليه السلام) في كلام له قاله قبيل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ**»(١).

لقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) أزمنة مختلفة ومتعاقبة واستعملها لوصف حالة الانتقال من مرحلة إلى أخرى أو من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، فجمع الإمام (عليه السلام) الأزمان الثلاثة (الأمس، واليوم، والغد) في مكان واحد ليشير بها إلى مراحل حياته (عليه السلام)، فالأمس يشمل كل الأزمان التي عاشها (عليه السلام) قبل حادثة قتله، أما اليوم فيشير إلى الزمان الحاضر وهو إنما قال فيه: (عبرة لكم)؛ لأن الناس يرونه صريعاً بين أيديهم بعد ان اعتادوه يقتل الأقران، ويصرع الأبطال، أما قوله (غداً) ففيه إشارة إلى الزمان المستقبل وقد وظفّها الإمام (عليه السلام) للإشارة إلى الحياة الآخروية وذلك لعلمه بانقضاء حياته بسبب ضربة ابن ملجم. ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَ فُتِنْتُمْ**»(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣ (و ٢٣).
(٢) نفسه: ١٧/ ٢٥٠ (ك ٦٤)

وقع التتابع الزمني بين لفظتي (الأمس، واليوم) فيشير (الأمس) إلى زمن بداية الدعوة النبوية في حياة النبي محمد (ﷺ)، وأشار لفظ (اليوم) إلى عهد الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة بولايته أمور المسلمين، وقد قوّى دلالة علاقة الإضافة علاقة أخرى توافرت معها هي علاقة التضاد بين قضيتين، بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وقد اسهمت هذه العلاقات في إظهار التماسك الدلالي في النص ببيان الاختلاف بين الموقفين كما يوضحه المخطط الآتي:



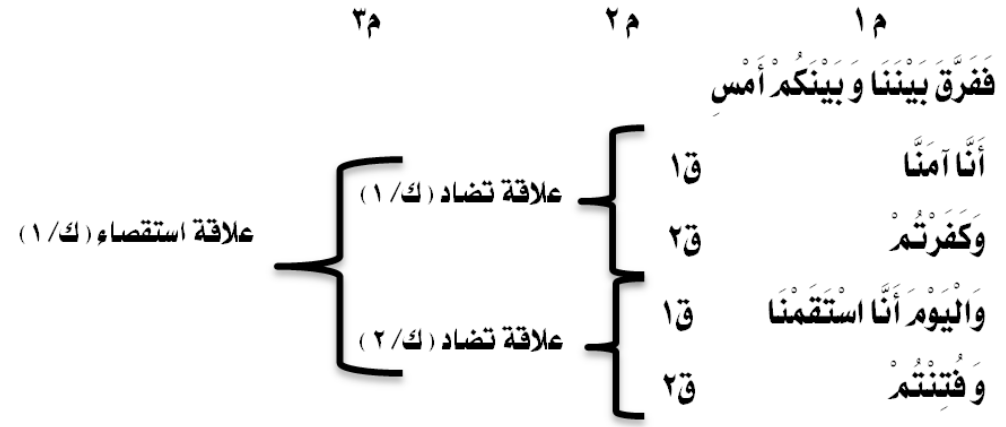


فنلحظ في هذا المخطط أن مجموعة من البنى الصغرى في المستوى الأول قد تداخلت فيما بينها علاقات التضاد فأنتجت بنيتين كبيرتين في المستوى الثاني، وبنى المستوى الثاني ترتبط فيما بينهما بعلاقة استقصاء، وهكذا من خلال التعاقد الدلالي تتقلص بنى النص إلى بنية كبرى واحدة في المستوى الثالث ممثلة قمة الهرم الدلالي، فأسهمت علاقة الإضافة بقيام التتابع الزمني في بناء المعنى العام للنص.

والمظهر الآخر من التتابع الحركي هو التتابع المكاني بالانتقال من مكان إلى آخر، كما جاء في وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) فقال: «**إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ ،لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَ لا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ**»[1].

تضمن النص مجموعة من العلاقات الدلالية التي تسهم في أداء الوصية لوظيفتها الوعظية وقد تمثلت هذه العلاقات بالتضاد والتمثيل والاستقصاء إذ كشفت لنا علاقة التضاد عن ملامح نوعين من الناس: من خبر الدنيا من جهة، ومن اغتر بها من جهة أخرى، ويمكن توضيح هذه العلاقات بالمخطط الآتي:

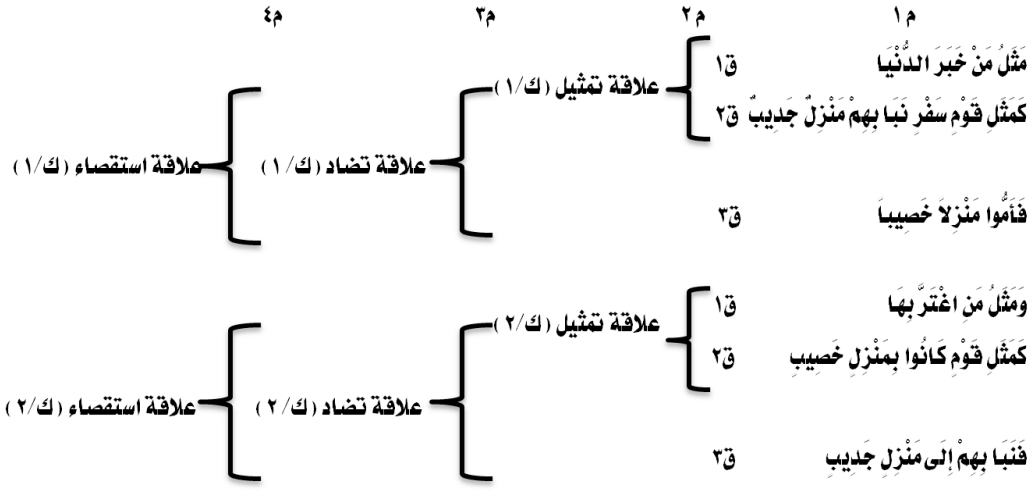


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٢ - ٨٣ (و ٣١).

يظهر لنا أن العلاقات الدلالية من العناصر الرئيسة في النص التي تسهم في إحداث التماسك بين البنى النصية، وقد سيطرت علاقة الاستقصاء على المستوى الرابع للقضايا، فحاول الإمام (عليه السلام) أن يظهرها واضحة جلية للمتلقي بأن كل علاقة تمثل أساساً للعلاقة التي تليها.

**٢ـ علاقة الاستثناء:**



من العلاقات الدلالية التي تربط بين القضايا وتعبر عنها أدوات الربط (إلا، إنما، لكن، ...) وتعمل هذه العلاقة في مستويات مختلفة، وأكثر ما تستعمل هذه العلاقة في بناء الوعظ[١]. على نحو ما نجده في وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: «**وَ لا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلا هَرِمَةً وَلا مَكْسُورَةً وَلا مَهْلُوسَةً، وَلا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلا تُوَكِّلْ بِهَا إِلاّ نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلا مُجْحِفٍ، وَلا مُلْغِبٍ وَلا مُتْعِبٍ**»[٢].

وظّف الإمام علي (عليه السلام) في بناء هذا النص الوعظي علاقات الاستقصاء والاستثناء والسبب والنتيجة لبيان صفات من يستعمله على مال الصدقات (الدينية والسلوكية) معتمداً في ذلك على (النفي وإلاستثناء) ليؤكد حقيقة هذه الصفات ويقرها في نفس متلقيه[٣]، فجاءت علاقة الاستثناء تارة على مستوى البنى الصغرى وتارة على مستوى البنية الكبرى في النص ويمكن أن

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٥٢ (و ٢٥).
(٣) ينظر: أساليب المعاني في القرآن الكريم، السيد جعفر السيد باقر الحسيني: ١٦٧.

نوضح ذلك بالمخطط الآتي:

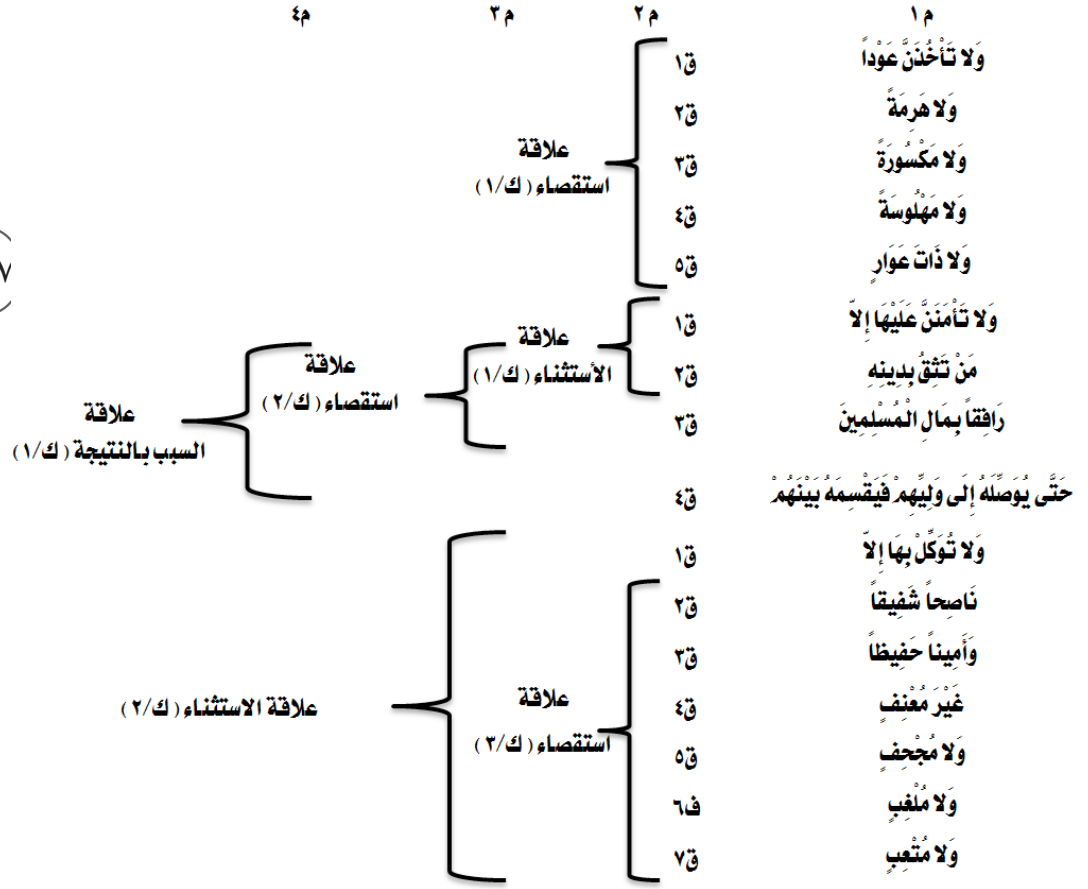


ففي المقطع الأول من صفات عامل الصدقات كانت علاقة الاستثناء رابطة بين الجمل في المستوى الثاني، أما المقطع الآخر من الصفات في المستوى الأعلى وهو المستوى الثالث من البنى الهيكلية، فعملت في هذين المستويين على انسجام النص وتماسكه، ولعل السبب الذي دعاه إلى استثمار هذه العلاقة

دون غيرها هو الفارق الدلاليّ بين هذه العلاقات وخصوصية كل علاقة من غيرها، وهذا الكلام ينطبق على العلاقات الأخرى أيضاً، وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاّ الضَّلالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلاّ اللَّبْسُ**»[1].

جاءت علاقة الاستثناء على صعيد البنى الصغرى إذ أسهمت على الربط بين القضايا الصغرى، وكما موضح في المخطط الآتي:



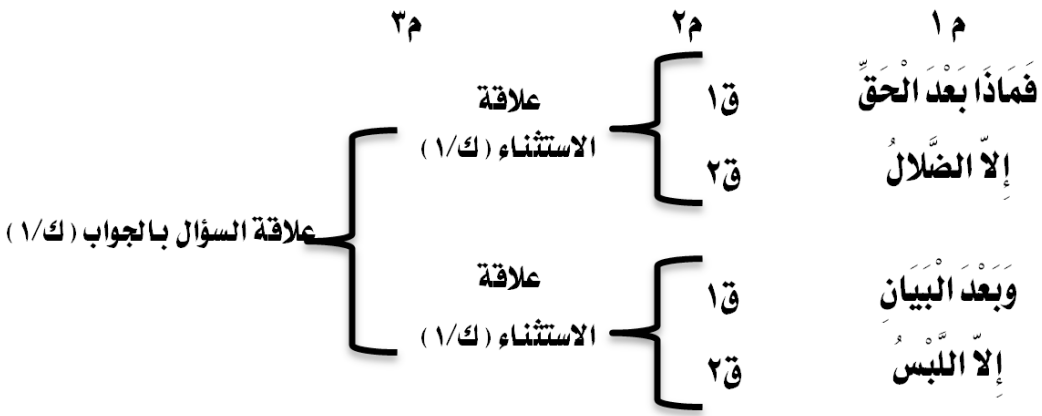


فلا يمكن تصور هذه البنيات بدون علاقة الاستثناء، إذ مكنت هذه العلاقة من تمام المعنى. وقد ترد هذه العلاقة في بناء التقريع في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ**»[2].

لقد وظّف الإمام (عليه السلام) علاقة الاستثناء في تحقيق التماسك الدلالي بين البنيات الصغرى في النص ضارباً بذلك على أوتار التقريع بمعاوية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٢ (ك ٦٥).
(٢) نفسه: ١٦/ ١٥٣ (ك ٣٧).

بإخباره أنه: ((حيث كان للانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس إلى غرضك، أما وهو حي وكان النصر يفيده فقد خذلته وأبطأت عنه))[1].

وتوزعت البنى الهيكلية لهذا النص كما هو موضح في المخطط الآتي:

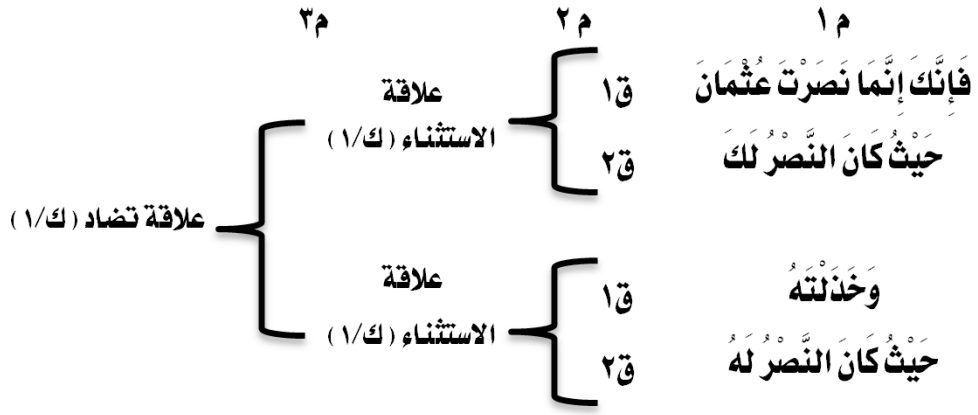


يتضح مما تقدم أن علاقة الاستثناء قد مهدت الطريق أمام ظهور علاقات دلالية تحكم البنى الصغرى لتجعلها أكثر تماسكاً وانسجاماً وكأن نصوص الرسائل والوصايا قد نسجت نسجاً محكماً على يد أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، فالغاية من وجود علاقة التضاد على مستوى البنية الكبرى رابطة بين الاستثنائين بنيان الفارق والتناقض بين الموقفين.

### ٣ـ علاقة الشرط بالجواب:

تربط هذه العلاقة بين القضايا في نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة بوساطة أدوات الربط النحوية (إذا، إن، لو، لولا، من)، وهي إحدى

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٤٣٩.

العلاقات المنطقية التي تحكم النص وتؤدي إلى انسجامه، إذ تفيد هذه العلاقة الدلالية في بناء موضوع الرسالة أو الوصية من خلال ربط عناصر الجملة الواحدة أو سلسلة من الجمل مما يسهم في تماسك النص من ناحية وتحقيق مقاصد صاحبه من ناحية أخرى[1]، فتعاضد هذه العلاقة ما في النص من علاقات لفظية أو منطقية تؤدي إلى ظهوره نصاً متماسكاً ذا بناء رصين قادر على التأثير والبقاء وقابل للتأويل والمشاركة.



ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في كلام له قاله قبيل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ**»[2]. يتكون هذا النص من ثلاثة تراكيب شرطية اشتركت جميعها بأداة الشرط (إن) وقد دلّت على قلة وقوع ما بعدها واحكمت هذه الأداة المعنى المطلوب من النص، فولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) على دمه مرتبطة بمدة بقائه وإن قلت، إذ لا يمكن لأحد أن يقتص من ابن ملجم (لعنه الله) والإمام باقٍ على قيد الحياة وميعاده في الرجل مرتبط بفنائه، وهذا يعني أن بقاءه على فراش الموت لا يلغي حقوقه التي كان عليها وهو في كامل نشاطه وحيوته، فهو لا يزال حياً حتى وقت تكلمه، فإن مات (فني) تحولت الأمور إلى من يخلفه، ولذلك ختم هذه الفقرات بأحقيته في التصرف بأمر ابن ملجم (لعنه الله). ويمكن تمثيل كيفية تنظيم هذه العلاقة بالمخطط الآتي:

---

(١) ينظر: لسانيات النص، ليندة قيّاس: ١٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣ (و ٢٣).

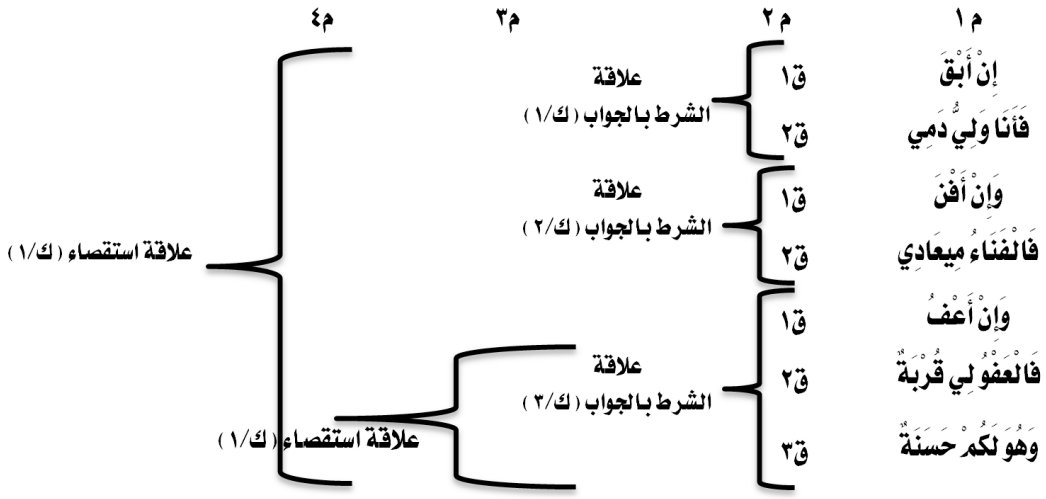


إذ نلحظ في هذا المخطط تعاضد علاقة الشرط بالجواب مع علاقة الاستقصاء مما يضفي على النص سمة الترابط والتماسك النصي. وقد يتعدى تأثير علاقة الشرط بالجواب إلى مستوى البنية العليا، وهذا ما نتلمسه في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): «**فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ**»[1].

لقد حققت علاقة الشرط والجواب ترابطاً بين هذه المتتاليات الجملية إذ كانت رابطاً منطقياً بين أول النص وآخره ليحقق ما يبغيه الإمام (عليه السلام) من الوعظ والنصح لابنه، فترتبت هذه العلاقة على النحو الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٠ (و ٣١).

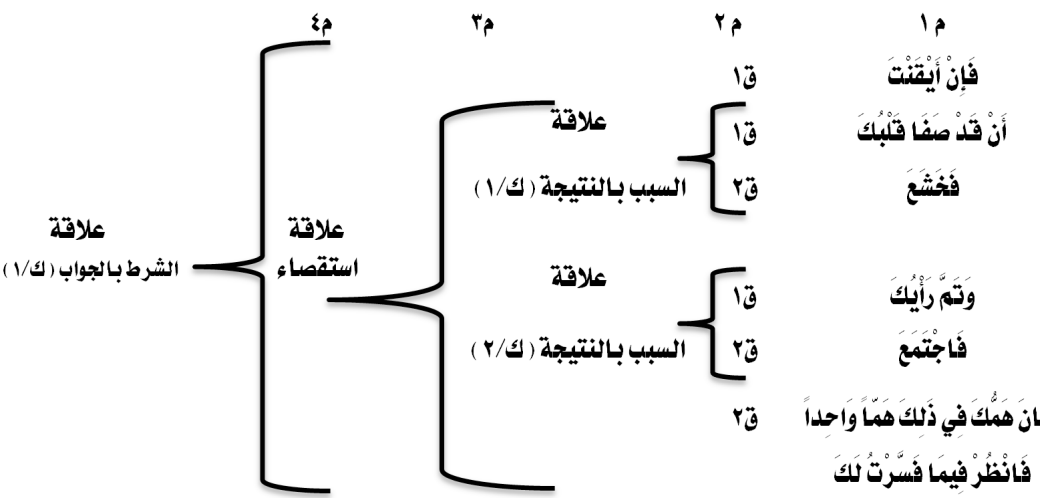




لقد كان لهذه العلاقة أثر كبير في معنى النص لأنها جاءت على مستوى البنية العليا. كذلك نلحظ أن أدوات الشرط جاءت متناسبة مع سياقاتها فـ (إن) استعملها الإمام (عليه السلام) فيما كان مشكوكاً في حدوثه.

**٤ـ علاقة التضاد :**

من العلاقات الدلالية الأساسية علاقة التضاد، وهي ((ناتجة عن تتابع قضيتين، كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى. والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما، وذلك بإظهار الشيء ونقيضه كما أنه يعمل على تميز المعنى وبلورته وبالتالي تناسبه))[1].

وقد لجأ الإمام (عليه السلام) إلى هذه العلاقة الدلالية إما لإقامة مقارنة بين فريقين أو حالين ذكرا في النص، وإما مبالغة في تقريع المتلقي، وفي كلا الحالين

(١) نظرية علم النص: ١٤٢.

يكون المتلقي قادراً على ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض. ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمراء جيشه: «**فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ، فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَ إِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ، إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَ قُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ**»[1].

لقد بدأ النص بالتركيب الشرطي ليفتح الطريق إلى المقارنة بين موقفين (الطاعة والعصيان) ثم ختم هذا النص بتقريع المتلقين العاصين والمتقاعسين عن نصرة هذا الأمير، إن الاتكاء على هذه العلاقة يجعل المتلقي في حالة ترقب لبيان حال المتقاعس والمتكاره، فأحدث بذلك المبالغة في التقريع.



لقد تداخلت علاقات دلالية أخرى مع هذه العلاقة عملت على تفصيل عناصرها وتوضيحها كما في المخطط الآتي:

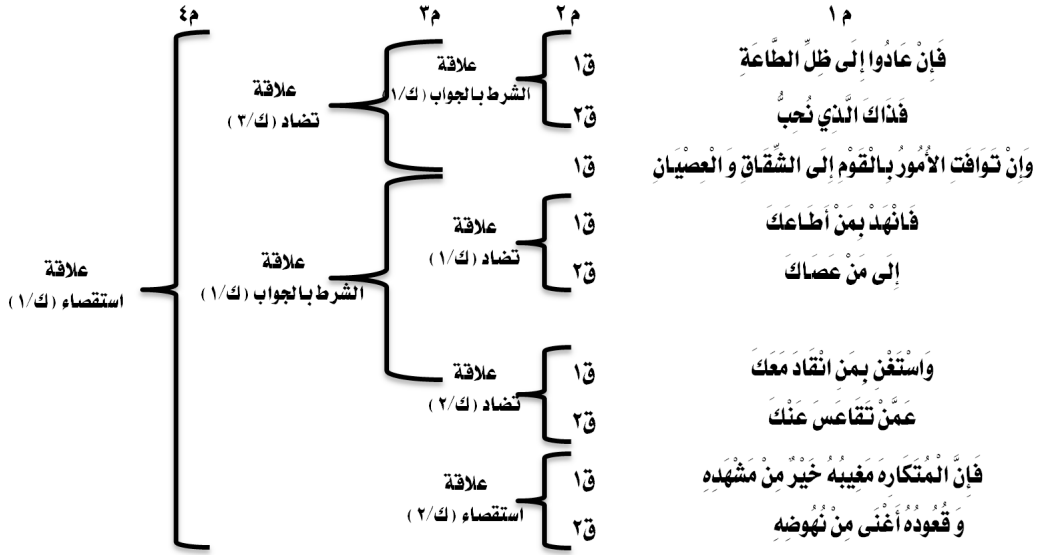


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٣٢ (ك ٤).

والاستقصاء (الإضافة)، إذ استقصى بها الإمام (عليه السلام) المعنى نفسه فشكلت جميعاً حدود تلك القضية الكبرى التي يشير النص إليها. كذلك تعد هذه العلاقة ((إحدى العلاقات الدلالية التي يتم عن طريقها تشكيل قضايا كبرى في مستويات النص الهيراركية المتتابعة. فقد تجمع تلك العلاقة بين قضيتين صغيرتين لتكون قضية كبرى))[1].

مثال ذلك ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**اجْعَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَ الْمُقَارَبَةِ، وَ عِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَ عِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَ عِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَ عِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ**»[2]. إذ برز أثر هذه الظاهرة واضحاً في أداء المعنى أفضل مما لو اعتمد على وسيلة دلالية أخرى وتوزعت كما في المخطط الآتي:



(١) نظرية علم النص: ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٠٤ (و ٣١).

**٥ـ علاقة إعادة الصياغة :**

من العلاقات الدلاليّة الأساسية علاقة إعادة الصياغة ونعني بها ((استعادة معطى باستعمال تعبير لغوي مختلف عن التعبير المستعمل))[١]، وتقع غالباً في العبارات القصيرة والمتتابعة لأن استعمال هذه الوسيلة في المقطوعات الطويلة،

(١) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومنيك مانغونو: ٤٧٦، وينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو: ١٠٧.

قد تكون ضارة؛ لأنها ((تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك تحفيز قوي))[1]. ويقرّ علماء لغة النص أن إعادة الصياغة وسيلة تمنح ((منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر))[2]، وتتخذ علاقة إعادة الصياغة أشكالاً متعددة لكن ((العلاقة التي تجمع بين هذه الأشكال المتعددة هي علاقة التكافؤ التي تظهر على سطح النص وتسهم في تشييد المعنى، وتقنع المتلقي))[3]. فمن أشكال علاقة إعادة الصياغة.



**أ- الترادف التركيبي**:

وهو نوع من أنواع الترادف ولا نقصد به ((الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))[4]، وإنما هو الترادف التركيبي الذي يقع في سياق الجمل، ويقصد به ((تكرار المحتوى، مع نقله بتعبيرات مختلفة))[5]، فتكرار العبارة يضفي على النص سمة خاصة تزيد من تماسكه وترابطه، ويعتمد ذلك على سعة المعجم اللغوي للمتكلم خاصة المترادفات، حيث يقوم المتكلم بتقليب العبارة بوساطة المترادفات[6]. ومن نماذج الترادف التركيبي في النصوص المدروسة ما

(١) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

(٢) نفسه: ٣٠٦.

(٣) أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٤.

(٤) علم الدلالة: ٢١٥.

(٥) مدخل إلى علم النص، إلهام ابو غزالة وعلي خليل الحمد: ٧٢، ينظر: نظرية علم النص: ١٤١.

(٦) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات دكتور خالد المنيف: ٦٤.

جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى اهل الكوفة بعد فتح البصرة: «**وَ جَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ ،وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ**»[1].

تمثلت علاقة إعادة الصياغة عن طريق الترادف التركيبي في قوله ((فقد سمعتم وأطعتم؛ ودعيتم فأجبتم)) وهذه الصورة من صور الترادف تمهد الطريق أمام القضية الأساس في النص بأن تتواجد في مسافة أكبر في النص؛ ((مما يخلق تواجداً دلالياً أكثر فاعلية لها، كما أنه يعطيها الفرصة للدخول في أكثر من علاقة دلالية مع قضايا عديدة في أجزاء النص المختلفة، فتزداد ظهوراً ووضوحاً في عقل القارئ، ويتضح دورها عنده في وضع حدود القضية الكبرى))[2]. إن تركيز الإمام (عليه السلام) على مدح هؤلاء القوم دفعه إلى أن يضعه في مركز الاهتمام فأظهره من خلال علاقات دلالية متنوعة كما في المخطط الآتي:

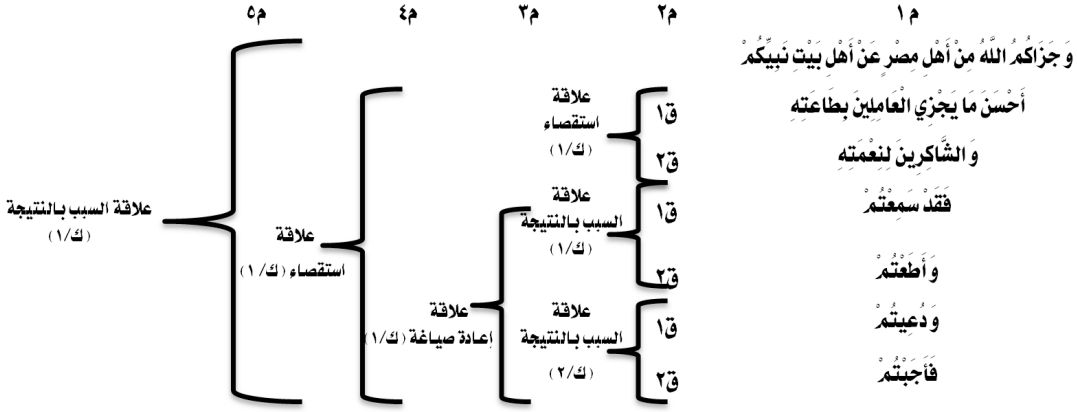


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٦ (ك ٢).
(٢) نظرية علم النص: ١٤١.

إذ وصف الإمام أهل الكوفة بخمس صفات استحقوا على أثرها دعاء الإمام لهم وهي: العمل بطاعة الله، أداء شكره على نعمته، الاستماع لأوامره، إطاعة أمره، إجابة دعوته، وهذه كلها في الحقيقة تعبيرات مختلفة لحقيقة واحدة[1]. فإننا نجد أن لعلاقة الترادف في الجمع بين هاتين البنيتين أثراً بارزاً في تكوّن الإطار الدلالي الذي يكون أكثر اتساعاً للمعنى، إذ إن لكل بنية محتوىً دلالياً خاصاً يشكل ظلالاً للمعنى الرئيس للنص. وهي حالة الموافقة على القيام بالعمل[2].



ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: «**وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا**»[3]. تحققت علاقة إعادة الصياغة من خلال الترادف التركيبي في ثلاث بنى نصيّة هي: ((دعتك فأجبتها، وقادتك فأتبعتها، وأمرتك فأطعتها))، وقد جاءت في معرض توبيخ معاوية وذمه لانخداعه بالذوات الحاصلة له في الدنيا بمتاعها وزينتها، فعكست التراكيب المترادفة مدى انصياعه وطاعته لهذه الدنيا الموهمة له، مما أسهم في أن تشغل هذه القضية مساحة أكبر في النص فهيأها ذلك أن تتداخل مع علاقات دلاليّة متنوعة في النص مما أضفى عليه تواجداً دلالياً

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٩/ ٢٦.

(٢) ذُكِرَ ((أن الطاعة تكون من الأدنى للأعلى، لأنها في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون إجابة إلا بأن تفعل لموافقة الدعاء بالأمر))، الفروق اللغوية، العسكري: ٢٥٠، ينظر: بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحية، الشيخ يحيى البحراني: ٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

أكثر فاعلية كما يوضحه المخطط الآتي:

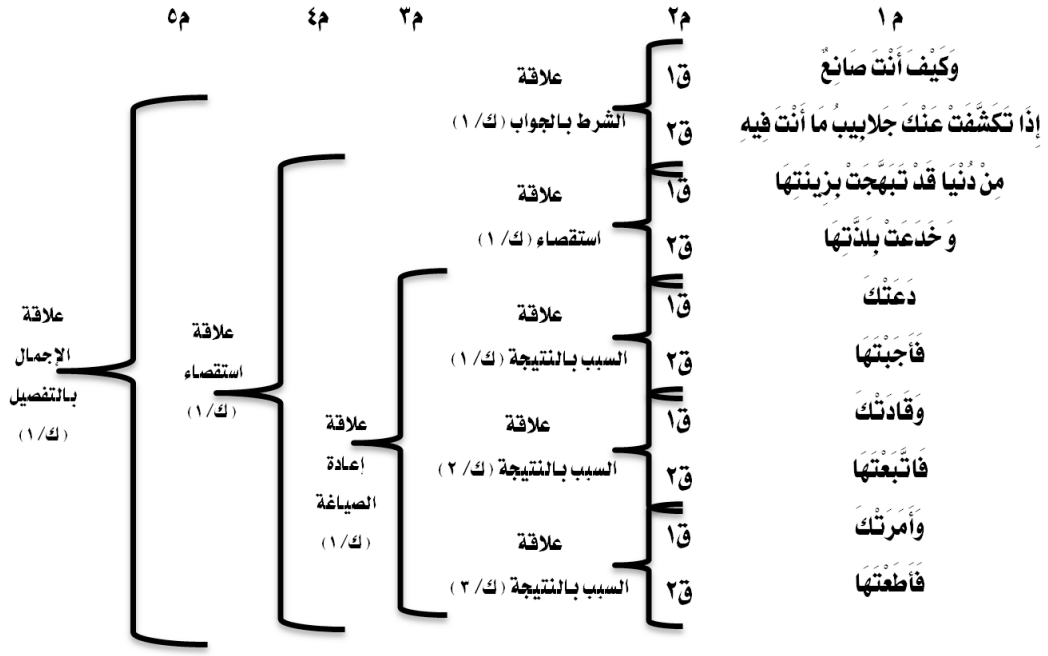




نلحظ هنا أنّ لعلاقة إعادة الصياغة أثراً في الجمع بين البنى النصية الصغرى التي يقوم عليها النص، وقد اشتركت مع علاقات دلالية أخرى لإظهار الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص.

### ب- العكس والتبديل:

إنّ الحديث عن العكس والتبديل ما هو إلا الحديث عن التقديم والتأخير، الذي يحدث أثراً في النص على المستوى الإيقاعي والدلالي من خلال تركيبته المرنة التي تمنح النص جمالاً ورونقاً.

وقد عرّفه العسكري (ت ٤٠٠هـ) بقوله: ((العكس: أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل))[١]. ويتضح من هذا التعريف أنّ العكس ذو طبيعة تكرارية لكن التأمل في بنية العكس يؤدي بنا إلى القول أنها ((عملية توّقف مؤقتة تعدل فيها الصياغة خطّ سيرها، لتجعله خطاً مزدوجاً يعتمد على (التقديم والتأخير) الذي تتبادله الدوال المتماثلة...؛ لأن الذهن يتحرك إلى الامام، فيدفع الصياغة إلى متابعته، ثم يرتد للوراء، فتلاحقه الصياغة أيضاً، وبين التقدم والتراجع تتوافق البنية السطحية وتتخالف بنية العمق))[٢]، ويجب الإشارة إلى مسألة مهمة فيما يخص العكس والتبديل وهي أنّ بنيته الثنائية ((لا تتم إلا بين التراكيب، فلا مدخل لها بين المفردات، كما أن هذه الثنائية لا تقوم على نفي أحد الطرفين للآخر، بل من المحتم تلازمهما. لكنه تلازم مع المغايرة، على معنى أن اكتمال بنية العكس بمجيء الطرف الثاني، يترتب عليه تعديلاً في المعنى على نحو من الأنحاء، لأن التغاير في شكل التركيب ... يقتضي تغاير الناتج الدلالي))[٣]. الذي يهدف ((إلى تمكين المعنى وتقرير الأغراض))[٤]. وقد تحقق هذا المظهر من مظاهر علاقة إعادة الصياغة في الرسائل والوصايا على شكلين:

الأول: العكس والتبديل الاسمي.

الآخر: العكس والتبديل الفعلي.



(١) كتاب الصناعتين: ٣٧١.

(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب: ٣٧٨.

(٣) بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، د. محمد عبد المطلب: ٣٢١.

(٤) التكرير بين المثير والتأثير: ٢١٦.

فمن أمثلة العكس والتبديل الاسمي قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): «**إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَ الدَّاءُ دَوَاءً**»[١]. تحدّث الإمام (عليه السلام) -هنا- عن وجوب مراعاة كل مقام وأن يؤدي الإنسان حقه. وقد حصل العكس والتبديل -هنا- في موضعين:

**الأول**: إذا كان الرفق خرقاً

(يعاكس)

كان الخرق رفقاً

**الآخر**: ربما كان الدواء داء

(يعاكس)

والداء دواءً

إن تبادل العبارتين أسهم في تحريك الدلالة مع تحريك التراكيب عّما كانت عليه في الصياغة الأولى، فبنية العكس ((تقدم لنا شكلاً تعبيرياً فريداً يأتي فيه التقابل من التوافق، فهو علامة على تداخل الدلالات في وعي المبدع أولاً، ثم تداخلها على مستوى الصياغة ثانياً))[٢]. فتحريك الدلالة حاصل؛ لأن الخرق ضد الرفق[٣]، فالرفق ((عبارة عن وضع كل شيء موضعه، ومن الناس من لا ينفع معه الرفق))[٤].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٩٧ (و ٣١).

(٢) بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٣٢٢.

(٣) ((الخَرَق بالخاء المعجمة بفتحتين هو المصدر والاسم منه الخُرق بضمتين هو العنف: والرفق نقيضه))، لسان العرب، مادة (خرق): ٣/ ٣٥٥.

(٤) توضيح نهج البلاغة، الشيرازي: ٤/ ٧٦.

ومثال ذلك ((أنه إذا أقدم عليك العدو في الحرب فتأنيت في دفعه وقتله، فهذا يكون رفقاً بالإضافة إلى العدو، وهو بالإضافة إليك خرقاً؛ لأنه يؤدي إلى هلاك نفسك ومثال ما يكون الخرق رفقاً: هو أنك إذا خاطرت وعاجلت في قتل العدو، وكان هذا خرقاً بالإضافة إلى العدو ورفقاً بالإضافة إلى نفسك، وحاصل المعنى... هو أن الرفق في بعض المواضع قد يكون خرقاً، والخرق في بعض المواضع قد يكون رفقاً))[1]، أما من جهة التركيب فإن كلا الاسمين من خلال العكس الذي حصل فمرة يكون حكمهما (اسم كان) ومرة يكونا (خبر كان)، فبنية العكس اكتملت بين الاسمين في ضوء تقديمهما المعنى المطلوب. أما الموضع الآخر فتحريك الدلالة حاصل بين الداء والدواء من خلال استواء الدلالة بينهما فـ ((ربما كان الدواء داء لأنه موجب لازدياد المرض والداء دواء لأنه موجب لدفع مرض أشد))[2]. وذلك يعني أنه ((ربما أهلك الدواء الذي ترجا منه صحة الإنسان، وربما كان الشيء الذي يؤلم ويؤذي دواء مفيداً للصحة مثل: الكي، وقطع بعض الأعضاء لسلامة الروح))[3]، فعند التأمل في هذا النص نلحظ ((إعادة تنظيم العناصر التي تتكون منها الجملة مع الحفاظ على أصواتها وتغيير دلالتها))[4].

أما تحريك التركيب فحاصل في كلتا العبارتين اللتين جرى بهما التبديل فكان كل منهما مرة يرد اسم كان، ومرة يأتي خبرها كما في الموضع



(١) الديباج الوضّي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٥/ ٢٣٤٦.
(٢) توضيح نهج البلاغة: ٤/ ٧٦.
(٣) الديباج الوضّي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٥/ ٢٣٤٥.
(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٥.

الأول. من ذلك كله يظهر لنا أنّ علاقة إعادة الصياغة عن طريق العكس والتبديل كانت علاقة أساسية في توجيه المعنى المقصود من النص وذلك لتحقيق الغرض المطلوب من الوصية وهو النصح والإرشاد فانتظمت العلاقات الدلالية فيه على النحو الآتي:

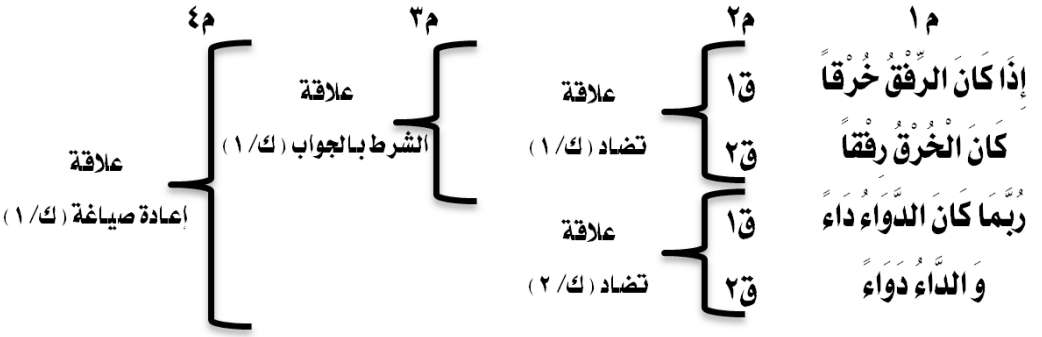


فنجد أنّ علاقات (التضاد والشرط بالجواب) كان لها أثر في الربط بين البنى الصغرى التي يقوم عليها النص، وكان لعلاقة إعادة الصياغة بالاشتراك مع هذه العلاقات أثر في إيضاح الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص. ومن العكس والتبديل الفعلي قوله (عليه السلام) في وصية له لعبد الله بن العباس (عند إستخلافه إياه على البصرة): «**سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٧٠ (و ٧٦).

لقد جاء العكس والتبديل في:

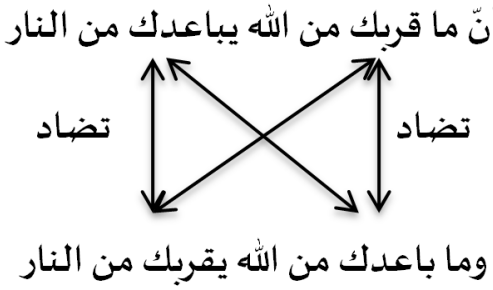




فنلحظ مجيء الفعل الماضي في الجزء الأول من التركيبين (قربك، باعدك)، ثم عدل الإمام إلى صيغة المضارع في الجزء الآخر من التركيبين. فحرك دلالة النص، إذ ((رغبه فيما يقرّبه من الله بما يستلزمه من كونه مباعداً له من النار، ونفره عمّا يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقرّباً له إلى النار))[١]، ففي فعل الأعمال الصالحة سعادة وفي تركها شقاء، أما الأعمال السيئة فأن الاتيان بها أدراك الشقوتين البعد عن رضا الله سبحانه والقرب من النار[٢].

لقد ظهرت جمالية التقديم والتأخير في العكس التي خضعت ((بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية متميزة))[٣]، ألقت بأثرها على المتلقي عند سماعها ومعاينتها.

أما من ناحية التركيب، فكل واحد من الفعلين جاء بصيغة (فعل ماضٍ فاعله ضمير مستتر + كاف الخطاب (مفعول به) = صلة موصول لا محل لها

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٢٨٧.
(٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤/ ٢٦٣.
(٣) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٢٧١-٢٧٢.

من الإعراب و (فعل مضارع فاعله ضمير مستتر + كاف الخطاب (مفعول به)، مع الحفاظ على الحكم الإعرابي الذي تتمتع به باقي كلمات العبارتين.

لقد عكس علاقة إعادة الصياغة عن طريق العكس والتبديل صورة النص من خلال عده بنية جامعة لعلاقات دلالية متنوعة؛ لأنّ ((الناتج الدلالي لبنية العكس واسع ومتنوع، والمهم كيفية توظيفه، إذ إن هذا التوظيف يختلف من مبدع لآخر ممّا يجعل هذه البنية من أخصب البنى))[1]. فانتظمت العلاقات الدلالية وتوزعت على النحو الذي يوضحه المخطط الآتي:



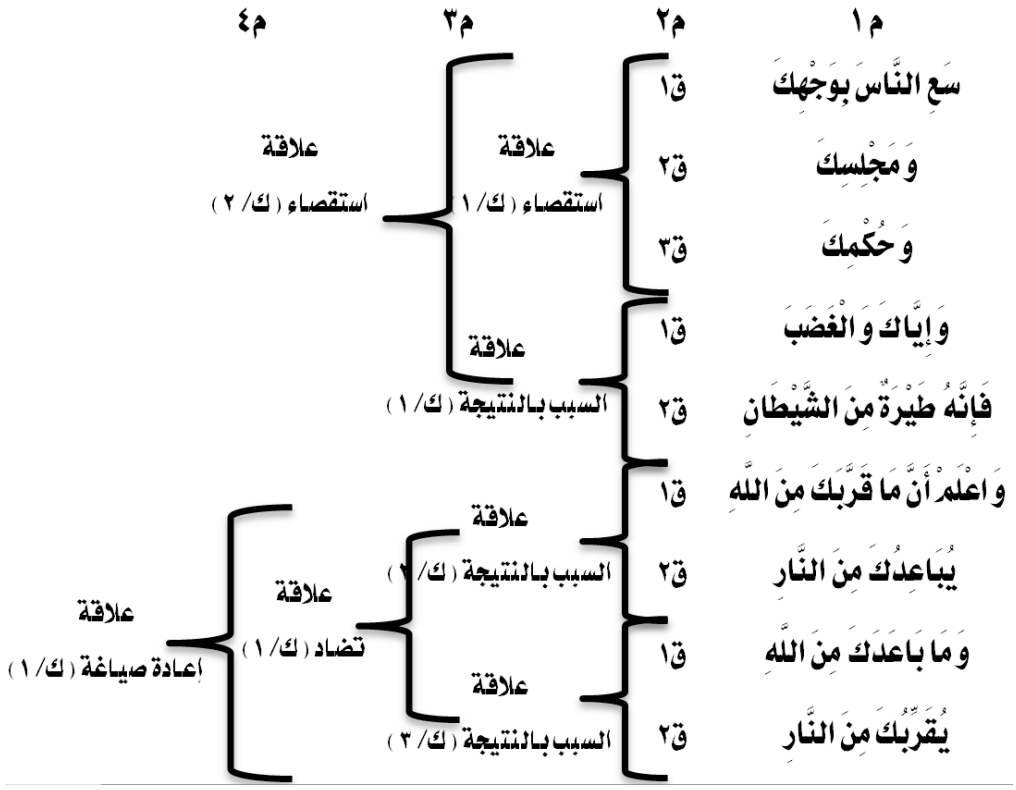


(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٣٢٩.

فلا شك في فاعلية علاقة إعادة الصياغة عن طريق العكس والتبديل في إحداث الانسجام النصي على الصعيد الدلالي للنص، إذ جاءت على نطاق المستويات العليا للنص كما هو ظاهر في المخطط الدلالي السابق.

مما تقدم يتضح أنّ لإعادة الصياغة أثراً بارزاً في النص إذ حققت تشاكلاً صوتياً ومعنوياً، وكان ذلك نابعاً من داخل المنجز النصي فأثر ذلك في استمراريته وانتج منه صورة جديدة، فأدت بذلك إلى تماسكه وتناسقه معاً.



**٦ـ علاقة السبب بالنتيجة:**

هي أحدى العلاقات الدلاليّة التي تحكم النص وتؤدي إلى انسجامه، كونها علاقة من علاقات التبعية النصية التي هي علاقات منطقية تصورية قد لا تظهر في النص، إذ إنها ((غير متمثلة بصراحة في النص، أي أنها لا تحظى باستثارة مباشرة من خلال تعبيرات ظاهر النص، وإنما يقوم المرء بتزويد ما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص))[1]، فتجعل منه نصاً متماسكاً، وتعرف هذه العلاقة بأنها ((الطرق، والوسائل التي فيها يؤثر موقف، أو حدث على الظروف المهيئة لوقوع حدث آخر))[2]، وهذا يعني أنّ هذه العلاقة تعمل عندما يكون هناك سبب يؤدي إلى نتيجة تظهر على سطح النص، فلا يمكن فهم جملة النتيجة إلاّ بالرجوع إلى الجملة التي سبقتها وكانت سبباً في إيجادها، فهما مترابطتان معاً وهذا الترابط يسمح للنص

(١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٢٧.
(٢) الدلالة والنحو: ٢٢٨.

بالاستمرارية في تقديم المعاني المرجوة منه، ومن جانب آخر فإنه يعمل على تماسك النص وانسجامه ويسد ثغراته إن وجدت، وقد عملت هذه العلاقة في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة من جانبين:

الجانب الأول: عملت علاقة السبب بالنتيجة على ربط النص بالسياق ويقصد بذلك أن يستعمل السبب ((لإيضاح علاقة بين حدث وحدث آخر تلاه فالحدث الأول أتاح الظروف لحدوث حدث آخر وعلى العكس))[1].



وهذه الأحداث مرتبطة بالسياق الذي أنتجت فيه، ويتمثل ذلك في إرسال الكتب إلى المتلقين نتيجة وجود حدث سابق حفز كتابة هذه النصوص، إذ بدأها الإمام (عليه السلام) بالفعل (بلغني)، وذلك متحصل في الكتب المرقمة (٣، ٣٤، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٦٣، ٧٠)، وقد خدم توظيفها في هذه النصوص بطبعها بسمات تكاد تكون مشتركة فيها.

استياء الإمام (عليه السلام) من تصرفات متلقي هذه الكتب، فغالباً ما يبدأ الإمام (عليه السلام) بالدخول المباشر إلى مضمون الكتاب دون مراعاة البناء الفني في كتابة الرسائل، ولعل هذا نابع من حالته الشعورية وحرصه على تطبيق الأحكام الشرعية.

اهتمامه (عليه السلام) بمراقبة عماله وولاته بشكل دقيق، فينظر في تحركاتهم وسلوكياتهم، لئلا ينحرف العامل أو الوالي أدنى أنحراف، فكان الإمام (عليه السلام) في غاية التدبير ومنتهى الدقة في إدارة الدولة.

(١) الدلالة والنحو: ٢٢٨- ٢٢٩.

التأكد من صحة الخبر (فالبلوغ) يعني الوصول والنهاية[1]، وكأنه (عليه السلام) يريد أن يؤكد للمتلقي تيقنه من فعله ولا يدع له مجالاً للشك بعدم قيامه بعمله السيء.

ويتضح أثر علاقة السبب بالنتيجة في ضوء ربط النص بسياق في قوله في كتاب له إلى بعض عماله: «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ**»[2].

يبين الإمام (عليه السلام) السبب الحقيقي لكتابة هذه الرسالة الموجهة إلى عامله الذي خان الأمانة التي كلف بها، فكانت علاقة السبب بالنتيجة هي العلاقة الرئيسة في النص والموجهة له، فوصول خبر خيانة هذا العامل لأمانته كان باعثاً لإرساله هذا الكتاب له؛ ليعبر عن استياء امير المؤمنين (عليه السلام) من تصرف هذا العامل، وقد تضافرت مع علاقة السببية بالنتيجة علاقات أخرى تكاملت جميعها لإظهار ترابط المعنى في النص كما يوضحه المخطط الآتي:



(١) ينظر: لسان العرب مادة (بلغ): ٢/ ٤٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٤ (ك ٤).

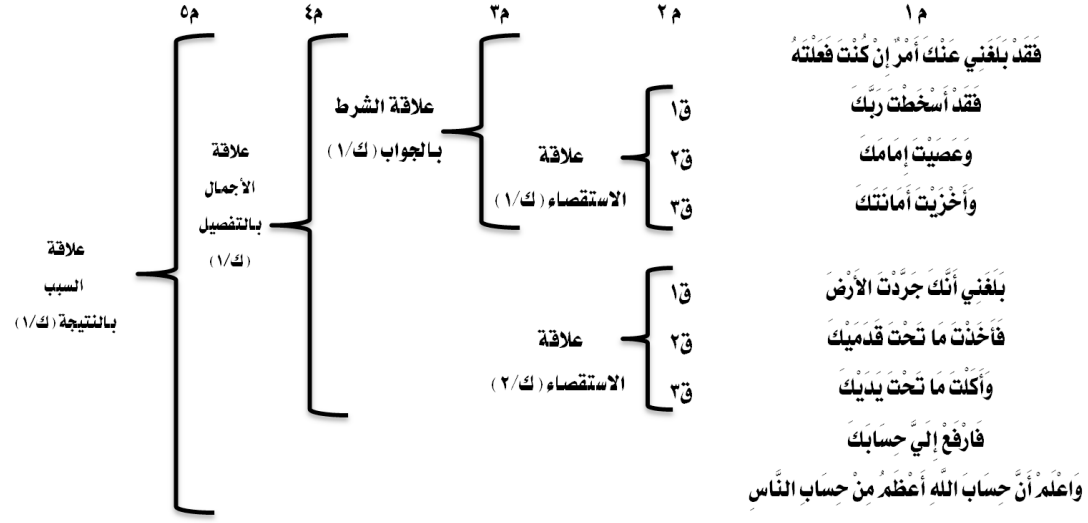


وقد أسمهت علاقة السبب بالنتيجة في ربط النص بسياقه الذي أُنتج فيه، فخيانة هذا العامل دفعت الإمام (عليه السلام) إلى كتابة نص الرسالة ثم تحولت هذه النتيجة إلى سبب لنتيجة أخرى وهي أن يرفع هذا العامل حسابه لأمير المؤمنين وإنهاء عمله. والمخطط الآتي يوضح ذلك:

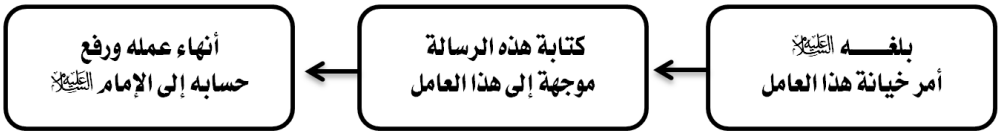


إن ما يقوم به الإمام (عليه السلام) من تفصيل للأسباب يضفي ((معقولية لكيفية تتابع قضايا الرسالة وتسمها دائماً بسمة المنطقية، خاصة وأنها من العلاقات ذات الحضور المكثف. وانتشارها يؤدي إلى قوة البناء المنطقي

للرسالة))[1]. إلا أن الملاحظة المهمة أنّ علاقة السبب بالنتيجة لم تظهر إلا على مستوى الأفكار العامة والقضايا الكبرى، إذ شغل الإمام (عليه السلام) نفسه أثناء بناء كل قضية باستقصاء جزئياتها بشكل تراكمي، ثم أخذ يفسر منطقياً سبب وجود هذه العناصر ككل في نص واحد.

ومن أمثلة الربط السياقي أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: «**يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْه**»[2].

إن وصول خبر حضور عثمان بن حنيف مأدبة ذلك الرجل من أهل البصرة إلى مسامع الإمام (عليه السلام) سبب في إرساله لهذه الرسالة، والتأمل في هذا النص يثير اشكالات متعددة منها: إنها مأدبة اختصت بالأغنياء دون الفقراء، كثرة الأطعمة وتنوعها، حضور عثمان بن حنيف إلى هذه المأدبة، والأمر الأهم اشتمال هذه المأدبة على طعام حرام وهذا ما صرح به (عليه السلام) في قوله: ((فما اشتبه عليك علمه فالفظه))، وهنا يتضح لنا أمران من إرسال هذه الرسالة حققتهما علاقة السبب بالنتيجة:

(١) نظرية علم النص: ١٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي: ١٦/ ٢٠٥ (ك ٤٥).

الأول: (الأمر المباشر): هو إبلاغ هذا العامل بحقيقة هذه المأدبة واشتمالها على الشبهة بطعامها وضيوفها.

الأخر: (الأمر غير المباشر) يرى الإمام (عليه السلام) ((إن الولاة والمسؤولين في الحكومة الإسلاميّة ينبغي أن يقفوا إلى جانب الناس وجمهور المستضعفين والمحرومين وأن لا يعتنوا أبداً بالطبقة المترفة الذين تزداد توقعاتهم وتقل معونتهم، والتجارب تؤكد على أن المحرومين المستضعفين هم أول المدافعين عن الدين والبلاد الإسلامية في مواقع الخطر والظروف الصعبة))[1].



لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في ربط نص الرسالة بالسياق الذي أنتجت فيه، فالإمام (عليه السلام) يذكر في مقدمة الرسالة أن حضور هذا العامل لهذه المأدبة سبب في كتابة هذه الرسالة ثم تحولت هذه النتيجة إلى سبب آخر هو تحقيق الإبلاغية المرجوة من النص كما يوضحه المخطط الآتي:

فانتظمت العلاقات الدلالية في النص على النحو الآتي:

(١) نفحات الولاية: ١٠/ ١٤١.

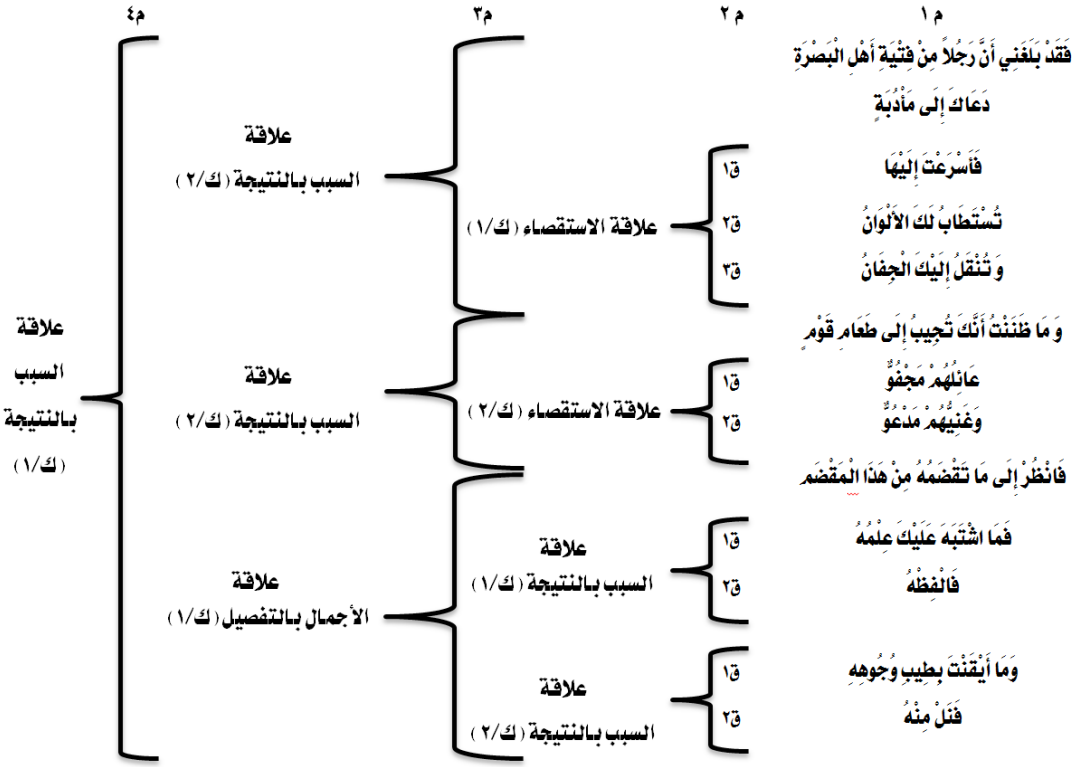




فنلحظ هنا وجود علاقات دلالية حركية بين القضايا الكبرى ففي المستوى الثاني كانت علاقة الاستقصاء (الإضافة) وعلاقة السبب بالنتيجة، وقد كانتا على مستوى البنى الصغرى وفي المستوى الثالث نجد علاقتي السبب بالنتيجة وعلاقة الإجمال بالتفصيل اللتين عبرتا خير تعبير عن فكرة النص وينهي الإمام (عليه السلام) إطار النص بذكره الأسباب مستعملاً في ذلك علاقة السبب بالنتيجة في المستوى الرابع وعلى هذا عملت علاقة السبب بالنتيجة على تحقيق ترابط النص من ناحية البنى الصغرى من جانب ومن ناحية البنى الكبرى من الجانب الآخر مما أفضى إلى قوة تماسكه وانسجامه.

والجانب الآخر: لا تقتصر علاقة السبب بالنتيجة على ربط النص بالسياق فقط، وإنما لها أثر بارز في ترابط المعاني داخل النص كما في النص الذي سبق ذكره وكذلك قوله في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين: «**وَ إِنَّ لابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ. وَ إِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله، وَ قُرْبَةً إِلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله)، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ**»[1].



ينبني نص الوصية على كيفية التصرف بالأموال الموقوفة وفي هذا الجزء يخص الإمام (عليه السلام) ابني السيدة فاطمة (عليها السلام) بالتصرف فيها، وقد استثمر الإمام (عليه السلام) علاقة السبب بالنتيجة في عرض أربعة أدلة مرتبطة ببعضها على اختياره هذا، وهي: ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، التقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، اكراماً واحتراماً له ولكريمته، التشرف بقرابته، ويمكن أن توضح طبيعة العلاقات الدلالية في النص بالمخطط الآتي:

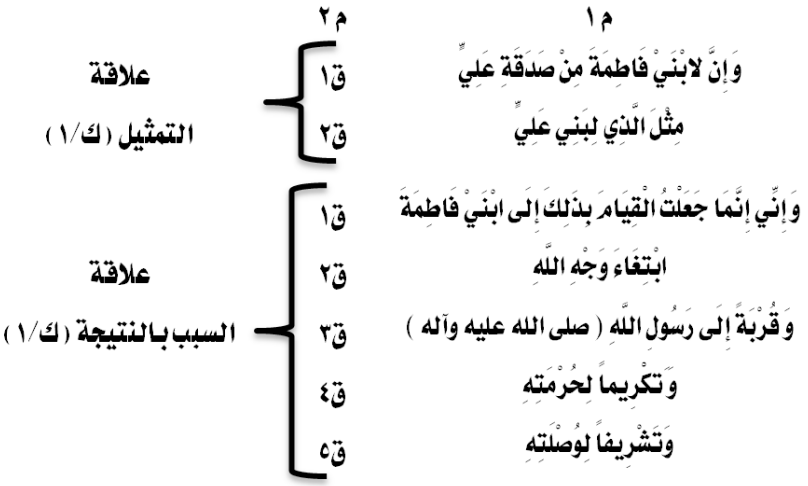


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٧ (و ٢٤).

لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في ترابط النص وتماسكه، كذلك جاءت أكثر عمقاً لأنها عملت على نطاق المستويات العليا في النص. ومثله قوله (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر: «**إِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ؛ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ، فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَ التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَ النَّاسِ**»[1].



بدأ النص بأسلوب التحذير لينبّه مالكاً الأشتر إلى الأمور التي يجب الحذر منها ثم أخذ (عليه السلام) بسرد تلك الأمور معتمداً على علاقة البديل التي تنتج فرصة عرض التصرفات المتوقعة كافة، ثم ذكر نتائج القيام بكل أمر منها والغاية النصح والإرشاد بما يحسن علاقة الوالي برعيته، فنلحظ تشابك هذه العلاقات مع بعضها، كما يوضحه المخطط الآتي:

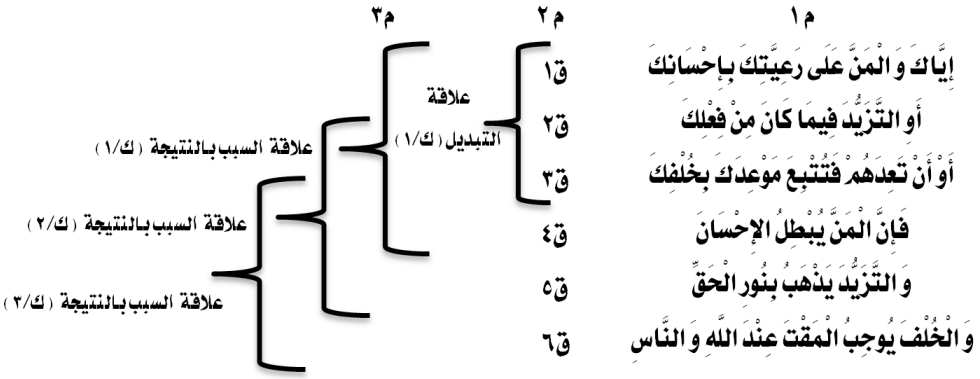


لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في انسجام النص وترابط أوله بأخره مما مكن ذلك المعنى في ذهن المتلقي .

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١١٣ (ك ٥٣).

**٧ـ علاقة البديل.**

تعد علاقة البديل ((من علاقات الانفصال في النص التي تفيد التخيير بين معنيين))[١]، وتحصل هذه العلاقة بوساطة حرف العطف الذي يفيد التخيير (أو)[٢]*، و (أم)، ويرتبط استعمال علاقة البديل في الرسائل والوصايا بمقاطع الوصف، ويتضمن ذلك وصف الأشياء والأماكن والشخصيات.



من ذلك ما جاء في وصية له (عليه السلام) وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو: «**فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً. وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَ مَنَاكِبِ الْهِضَابِ لِئَلا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ؛ وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَ إِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً وَ لا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً**»[٣].

تتضمن هذه الوصية حديثاً مفصلاً ((عن جميع الأمور الهامة التي تتعلق بأساليب القتال والدفاع في مواجهة العدوّ وكيفية الاستفادة من الفرص وتجنب الوقوع في كمين الأعداء وكيفية حماية أفراد الجيش في الليل عند استراحة المقاتلين، وغير ذلك من المسائل الدقيقة التي تتصل بمسؤوليات

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.

(٢)* سبق الإشارة إليه في الفصل الأول في موضوع العطف من البحث.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٨٩ (و ١١).

القيادة العسكرية... بحيث أنّ هذه التوصيات والتعليمات للإمام (عليه السلام) يمكن الاستفادة منها في الجيش الإسلامي في كلّ عصر وزمان))[1].

لقد استعمل الإمام (عليه السلام) -هنا- علاقة البديل ليبين المسائل التي تتصل بقيادة الجيش وترتيب وضعه العسكري في ساحات القتال؛ لضمان النصر على العدو. وقد تداخلت علاقة البديل مع العلاقات الدلالية فزاد ذلك النص وضوحاً في ذهن المتلقي نتيجة لتجمع القضايا الصغرى بصورة متتابعة لتعبر عن القضية الكبرى التي يحتويها نص الوصية، فترتبت هذه العلاقات على النحو الآتي:



(١) نفحات الولاية: ٩/ ١٣٥-١٣٦.

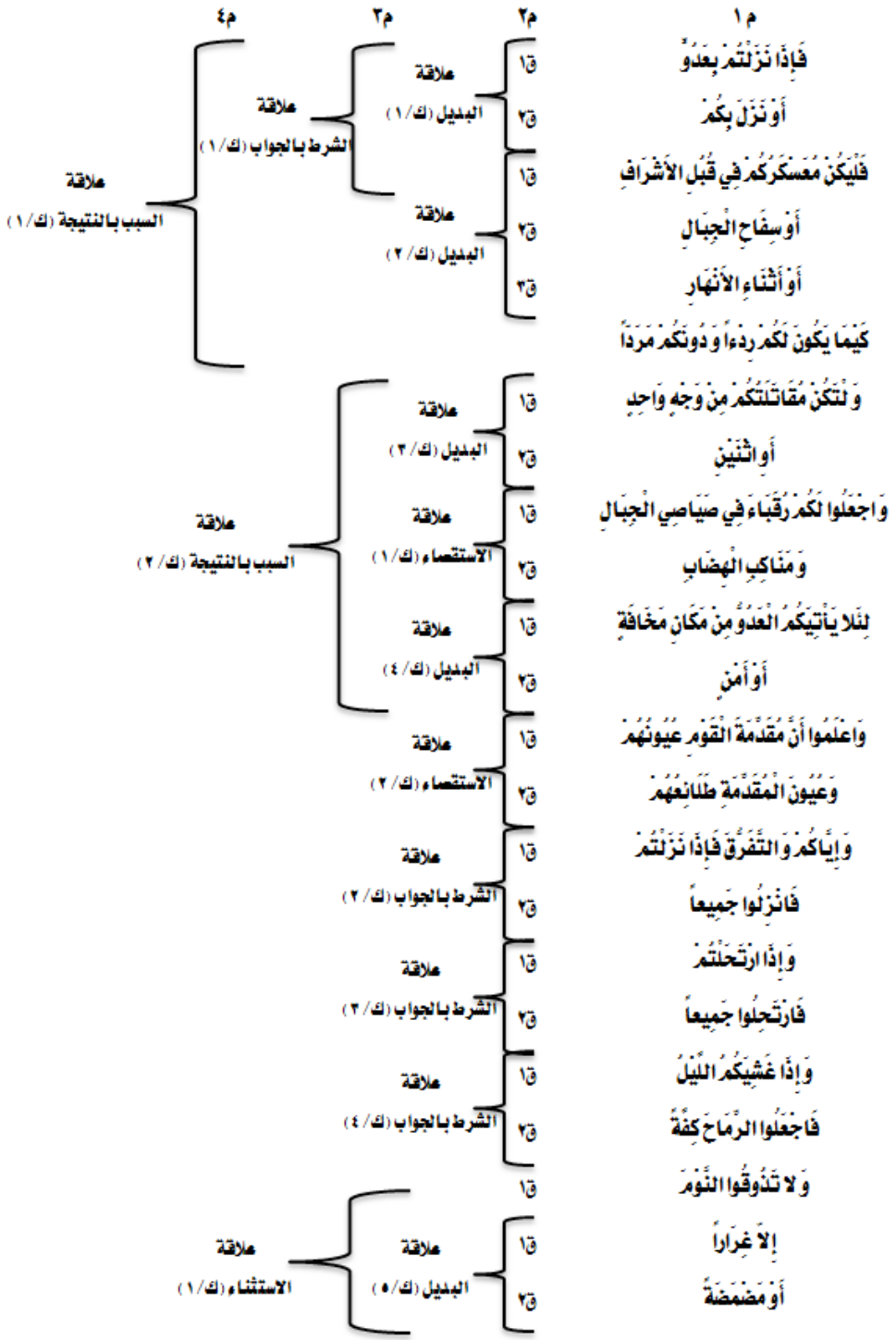
م ١
م٢
م٣
م٤
فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ
أَوْ نَزَلَ بِكُمْ
فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ
أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ
أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ
كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَ دُونَكُمْ مَرْدَاً
وَ لْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ
أَوِ اثْنَيْنِ
وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ
وَ مَنَاكِبِ الْهِضَابِ
لِئَلا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ
أَوْ أَمْنٍ
وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ
وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ
وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ
فَانْزِلُوا جَمِيعاً
وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ
فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً
وَ إِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ
فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً
وَ لا تَذُوقُوا النَّوْمَ
إِلاَّ غِرَاراً
أَوْ مَضْمَضَةً
ق١
ق٢
ق٣
علاقة
البديل (ك/ ١)
البديل (ك/ ٢)
البديل (ك/ ٣)
البديل (ك/ ٤)
البديل (ك/ ٥)
الاستقصاء (ك/ ١)
الاستقصاء (ك/ ٢)
الشرط بالجواب (ك/ ١)
الشرط بالجواب (ك/ ٢)
الشرط بالجواب (ك/ ٣)
الشرط بالجواب (ك/ ٤)
السبب بالنتيجة (ك/ ١)
السبب بالنتيجة (ك/ ٢)
الاستثناء (ك/ ١)

يظهر لنا أن علاقة البديل مهمة جداً في هذا النص لأنها استطاعت أن تقدم لنا البدائل الممكنة في النص مما أسهم في ربط البنى الصغرى داخله فربطت بين أجزاء النص، وعبرّت عن مقاصد الإمام علي (عليه السلام) من الوصية، وتزداد المعاني عمقاً إذا كانت القضية الكبرى جماع بنى صغرى مثل ذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ؛ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلافِهَا، وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلالَةِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمُتَاهَةِ**»[1].

وظّف الإمام (عليه السلام) علاقة البديل للحديث عن الغرض من خلق الإنسان، فنفى عنه خمسة أمور هي: ((الأول: أن يكون حال الإنسان حال سائر الحيوانات السائبة أو المعلوفة التي همها علفها، والاخر: أن لا يكون هناك أي غرض من خلقه ويترك لحاله، والثالث: أن يكون الغرض من خلقه اللعب واللهو، والرابع: أن يكون سبباً لإضلال الأخرين وإغوائهم، والخامس: ان يتحرك الإنسان نفسه في وادي الحيرة والضلالة))[2]. وعليه فإن الغاية من خلق الإنسان القرب من الله عز وجل وتحصيل الكمال الإنساني والفضائل النفسية ويمكن توضيح البنى الهيكلية للعلاقات الدلالية في هذا الجزء من الرسالة بالمخطط الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٧ (ك ٤٥).
(٢) نفحات الولاية: ١٠/ ١٦٠.

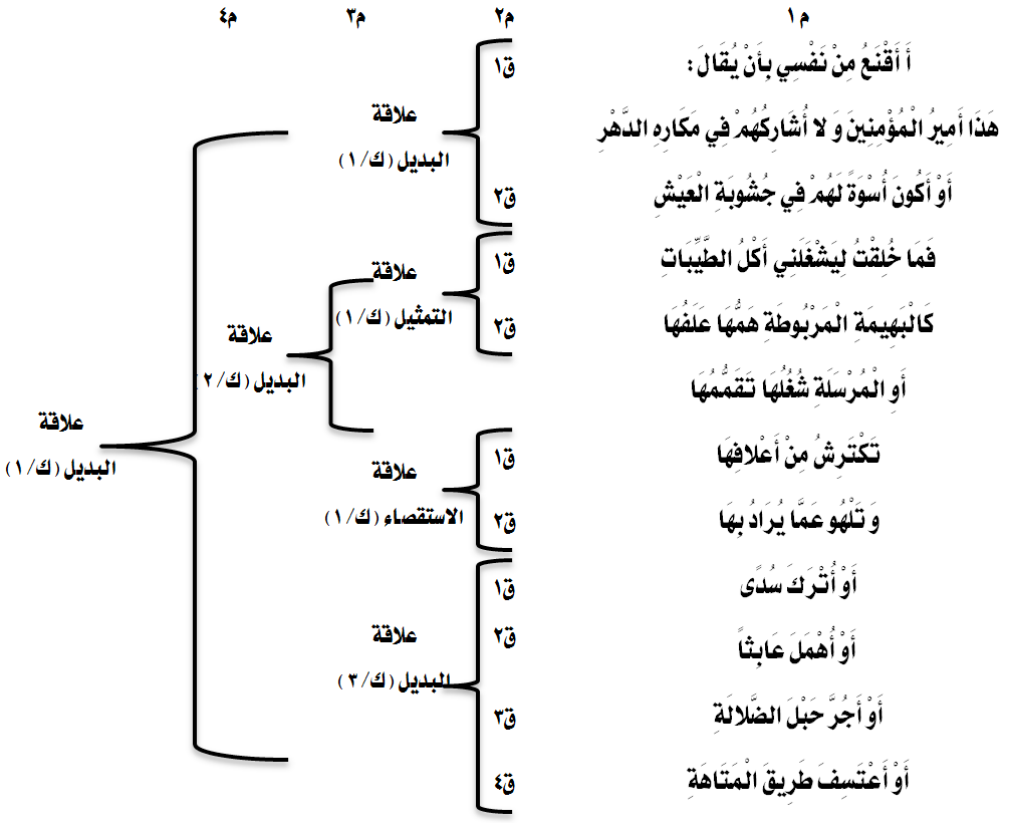




فنلحظ -هنا- أن لعلاقة البديل أهمية بالغة في إحداث التماسك النصي على الصعيد الدلالي في النص، إذ جاءت على نطاق المستويات العليا في النص.

## ٨ـ علاقة التمثيل.

تقوم علاقة التمثيل بالربط بين القضايا في النص، وتتضافر هذه العلاقة ((مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء الوصف داخل النص))[١]، وتعبر عنها الروابط اللفظية (الكاف، مثل، كأن، ...إلخ)، فنرى أثر هذه العلاقة

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.

في بناء الوصف ما نجده في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ ،وَالاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ، تَكْذِبُهُ أَحْلامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لا يَدْرِي أَ لَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ**»(١).

أراد الإمام (عليه السلام) إخبار معاوية بأنّ ((شهوة السيطرة والحكم قد اعمت قلبك، وحطمت اعصابك حتى صرت كالنائم نوماً عميقاً، وقد رأى في منامه أنه نال ما تمنى ... أو كالقلق التائه المضروب على رأسه يقول ويفعل ولا يدري هل الذي حدث منه خيرٌ أو شر))(٢)، والمشكل هذا التمثيل في قوله (او المتحير) لأن معاوية بارتكابه اعماله ليس متحيراً لأنه يدري ما له وما عليه، فهذا التمثيل ((إما من عكس التشبيه أو من باب أنّ المتحير أهون عاقبة من مثل معاوية الذي عاقبته وخيمة والأضعف يشبه بالأقوى))(٣).
وقد ربطت بنية النص بوساطة علاقات دلالية يوضحها المخطط الآتي:

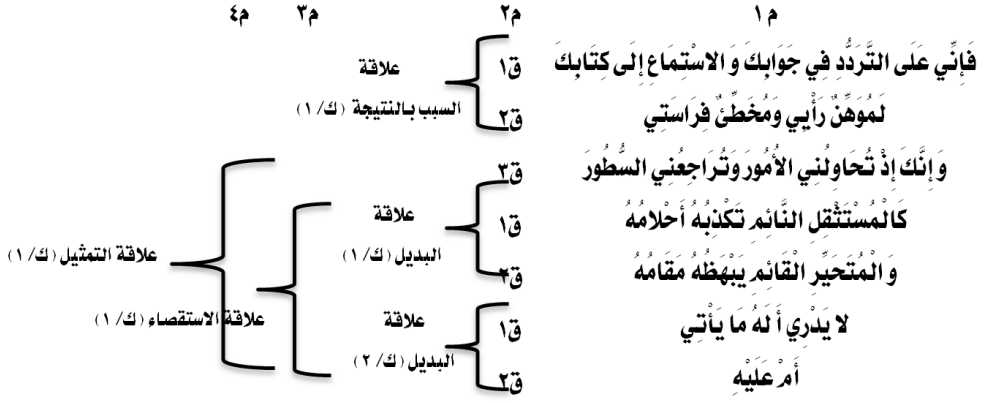


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٦٢ (ك ٧٣).
(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٥/ ٥٩٧.
(٣) توضيح نهج البلاغة: ٤/ ٢٥٨.

فلا يخفى أثر علاقة التمثيل في إحداث التماسك النصي إذ وقعت على صعيد المستويات العليا في النص. كذلك نجد أن علاقة التمثيل كانت وسيلة لإدخال التناص، بما يثري الإعلامية بما يعبر عن المخزون الثقافي لدى الكاتب وتفاعله مع النص[1]. كقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب: «**فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاءِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ**»[2].



أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين فساد كلام معاوية وقبحه فيما يتصل بوصف الإسلام وعظمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فجاء بمثلين ((كل واحد منهما أبلغ وأقوى من الآخر))[3]، وقد تضمن النص علاقات دلالية أخرى غير علاقة التمثيل لتحقيق الترابط الدلالي والانسجام النصي فيه، فتوزعت على النحو الآتي:

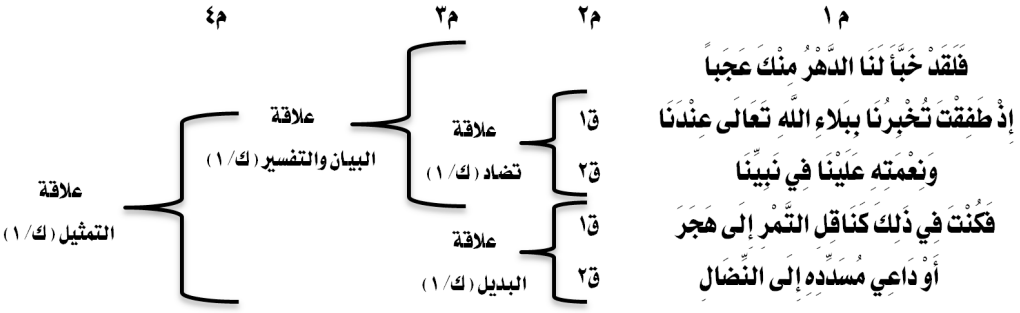


(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨١ (ك ٢٨).
(٣) نفحات الولاية: ٩/ ٣٤٦.

لقد ربطت علاقة التمثيل بين أجزاء النص، فعملت على تصعيد البناء النصي من خلال التداخل بين هذه العلاقات النصية بعضها ببعض لتوصلنا إلى البنية العليا للنص التي تظهره كقطعة واحدة.

**٩ـ علاقة الإجمال والتفصيل .**

تعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات الدلاليّة التي ركّز عليها اهتمام علماء النص؛ لأنها تضمن اتصال المقاطع النصية بعضها ببعضها الآخر بفضل ما تمنحه هذه العلاقة من استمرارية دلالية بين مقاطع النص[١].



ويقصد بها أن تأتي في النص بنية تحمل دلالة مختصرة، يأتي تفصيلها موزعاً على أبنية عدة تكون متقدمة عليها أو لاحقة، إذ إنّ البنية المجملة تكون بمنزلة مرجعية تحيل إليها البنى المفصّلة[٢]. وهذا التفصيل ما جاء إلا ليوفر أو يحقق غاية سعى لها منشئ النص لأنّ ((علاقة التفصيل بالإجمال لا تخلو من غاية، وهي تأكيد التفصيل للإجمال))[٣].

إذ تجري علاقة الإجمال والتفصيل ((في الأنساق اللغوية التي تتشكل وفق علاقات بنائية مختلفة تكشف عن الحكمة العقلية التي شكلت النص المكتوب، وذلك إن العقل يتحرك بطبيعة تفصيلية تكشف عن أن هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للجزئية أحياناً أو أنها تتحرك مع عناصر مختلفة تكون هذه العناصر مجتمعة فكرة عامة او كلية. ومن هنا فإن

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٧٢.
(٢) ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ٢/ ١٨٠، ١٨٤-١٨٥.
(٣) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٨٨.

ذكر الشيء ثم تقسيمه إلى عناصر مختلفة في شيء واحد أو ذكر شيء وتفريقه مع عناصره ما هو إلا أسلوب في الإجمال والتفصيل))[1].

وعند استقرائي لأمثلة الإجمال والتفصيل في الرسائل والوصايا وجدت أن بنياتها موزعة بين البنية الثنائية وهي أن ((يتعلق بالإجمال عنصران متضمنان في التفصيل لا أكثر))[2] والبنية المتعددة ((وفيها ترد ثلاثة عناصر أو اكثر في التفصيل))[3]، لكن جميع هذه البنى مرتبطة فيما بينها بالمستوى التركيبي أي أن تعتمد عناصر التفصيل على ألفاظ وتراكيب لإقامة الصلات والعلاقات بالإجمال أي بالطرف الأول من البنية التركيبية[4]. وقد أدار الإمام (عليه السلام) دلالات الإجمال والتفصيل في مجالات وموضوعات هي:



**أ- النصح والإرشاد** :

تظهر علاقة الإجمال والتفصيل في سياق النصح والإرشاد في قوله في كتاب له (عليه السلام) كتبه لشريح بن الحارث قاضيه: «**هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ. وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَاتِ، وَ الْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي. وَ فِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ**»[5].

(١) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (بحث منشور)، د. فايز القرعان: ١٠.
(٢) نفسه: ١٥.
(٣) نفسه: ١٦.
(٤) ينظر: نفسه: ١٥-١٦.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧ (ك ٣).

جاءت علاقة الإجمال والتفصيل من نوع البنية المتعددة إذ جاءت تقسيمات حدود الدار رباعية وفاقاً إلى جهات المساحة الأربعة المعروفة في كتب الشروط والأملاك، والمعمول بها حتى وقت قريب من عصرنا، وصيغتها ((هذا ما اشترى فلان من فلان، اشترى منه داراً من شارع كذا وخطة كذا، ويجمع هذه الدار حدود أربعة، فحدّ منها ينتهي إلى دار فلان، وحد آخر ينتهي إلى ملك فلان، وحد آخر ينتهي إلى ما كان يعرف بفلان، وهو الآن بفلان، وحد آخر ينتهي إلى كذا ومنه شروع باب هذه الدار وطريقها: ((((اشترى هذا المشتري المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مبلغه كذا وكذا ديناراً، أو درهماً، فما أدرك المشتري المذكور من درك فمرجوع به على من يوجب الشرع الرجوع به عليه)). ثم تكتب الشهود في آخر الكتاب شهد فلان ابن فلان بذلك، وشهد فلان ابن فلان به أيضاً))[1]. عمد الإمام (عليه السلام) إلى تحويل صيغة عقد شراء الدار إلى كتاب وعظي ونصحي ناقلاً صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر جديد لم يسبق لأحد أن صاغه على الطريقة التي صاغها بها الإمام (عليه السلام) ((ولا غرو فما زال سباقاً إلى العجائب والغرائب))[2].

فكانت علاقة الإجمال والتفصيل خير توضيح وأفضل إبانة عن الفكرة التي أُريد ترسيخها في ذهن المتلقي، يضاف إلى ذلك أن التفصيل بعد الإجمال استطاع أن يضمن للنص استمراريته وتطوره وان يؤدي وظيفته الحقيقية من النص وهي الوظيفة التوجيهية التي ((هي من ضرورات نمو النص وسيرورته،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٣٠ - ٣١.
(٢) نفسه: ١٤/ ٣١.

إذ كل جملة تلقي مزيداً من الضوء على المنطلق، سواء أجاء على أصله أم لا، فقد يحدث أن المنطلق يكون في البداية ثم تتوالى جمل تخصصه))[1]. لقد أظهرت علاقة الإجمال والتفصيل هذا النص مترابطاً قوياً اجتمعت معها علاقات دلالية أخرى ساعدت على ظهوره نصاً منسجماً مترابطاً، وهذا ما أهله للقبول والتأثير في المتلقي وتتضح هذه العلاقة من خلال المخطط الآتي:

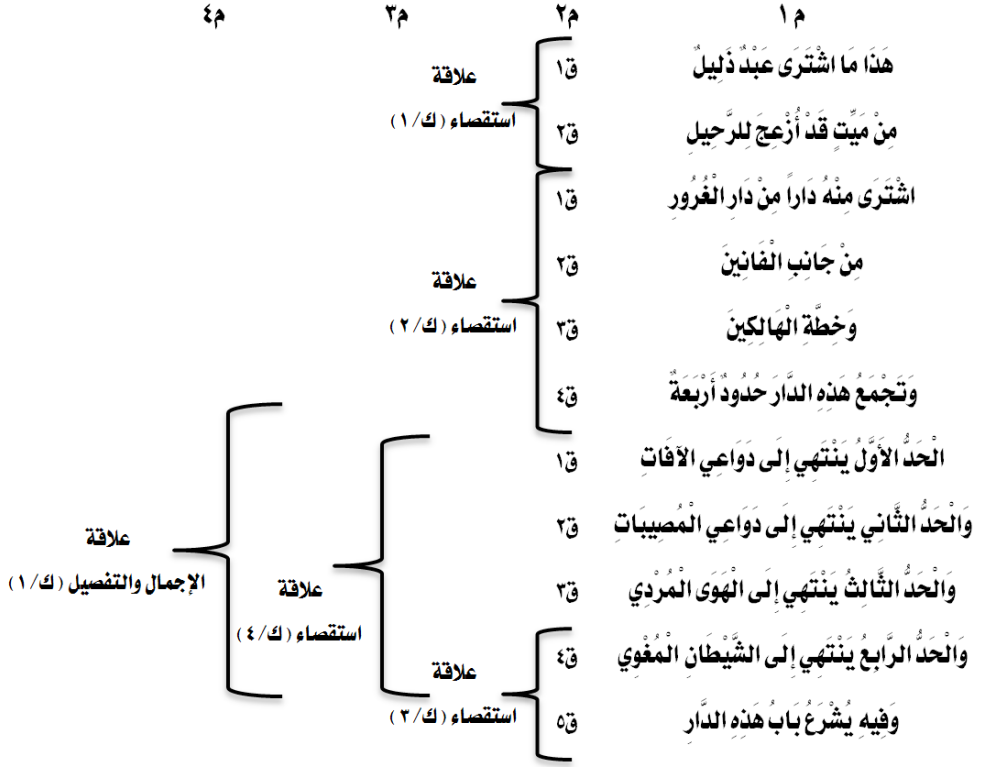


قامت علاقة الإجمال والتفصيل - بحسب البنية المتقدمة - بالربط بين أجزاء نص الرسالة من خلال ربطها بعدد من البنيات، فلفظة (حدود) مجملة، جاء التفصيل بعد ذلك موزعاً على عدد من البنى النصية أسهمت

(١) النص من القراءة إلى التنظير: د. محمد مفتاح: ١٣.

في إظهار قضية النص وهي (شراء الدار) ومن النصح أيضاً ما جاء في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ: رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ**»[1]. لقد جاء الإجمال والتفصيل من نوع البنية الثنائية، فقد ثنى الإمام (عليه السلام) لفظة (الرزق) وقسمها على نوعين وذلك على سبيل الوعظ والنصح لابنه الحسن (عليه السلام) فعملت هذه العلاقة على تحريك ذهن المتلقي إلى أن يخمن المعنى العام من النص مع ما فيه من علاقات دلالية أخرى، كما يوضحها المخطط الآتي:



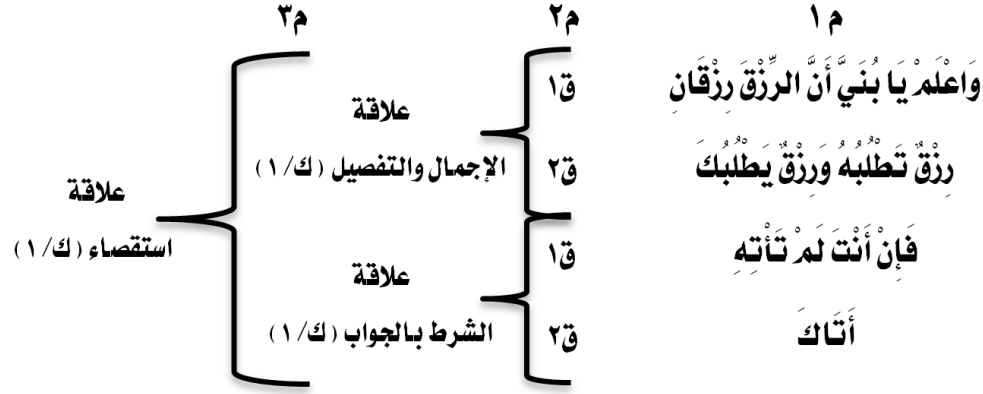


### ب- ذم أصحابه والزمان والدنيا :

استثمر الإمام (عليه السلام) علاقة الإجمال والتفصيل في بيان أحوال أصحابه الذين دعاهم إلى غياث محمد بن أبي بكر، وكان ذلك في الكتاب الذي وجهه إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: «**وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَ بَدْءاً،**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١١٢ (و ٣١).

**فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، وَ مِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً؛ وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً**»[1].

لقد مثلت لفظة (الناس) مركز الثقل في الإجمال، ثم تلاه التفصيل بالبنية المتعددة وبعناصرها المركبة متصلة به، ومتمثلة بتقسيم صفات هذه الفئات من اجل إفهام المخاطب، وهذا الإفهام يتحقق ((من خلال ما يحمله النص من رموز وايحاءات ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم))[2]، فجاء هذا التقسيم مشيراً إلى ما كان عليه أصحاب الإمام (عليه السلام) من التثاقل في تلبية نصرة محمد بن أبي بكر كذلك أفاد معنى الشكوى منهم.

فمنهم من أجابه وخرج معه، لكنه كارهاً للخروج وهؤلاء ((يحضرون إلى الميدان كارهين لا يوفّقون للقيام بأي عمل إيجابي))[3]، ومنهم من قعد معتلّين بعلل كاذبة فهم ((ينسلون من ميدان المواجهات بتبريرات واعذار مختلفة لإبعاد أنفسهم عن مواجهة العدو))[4]، ومنهم من تأخر مصرحاً بالقعود والخذلان وهم ((الذين يخالفون الحضور في الميدان بصراحة ويحرضون الناس على القعود معهم))[5]، فجاء هذا التقسيم ضروري لفهم المعنى المراد وإقناع المخاطب ويمكن تمثيل العلاقات الواردة مع علاقة الإجمال والتفصيل بالمخطط الآتي:



(١) نفسه: ١٦/ ١٤٥ (ك ٣٥).
(٢) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود اسماعيل: ١٧١.
(٣) نفحات الولاية: ١٠/ ٣٤.
(٤) نفسه: ١٠/ ٣٤.
(٥) نفحات الولاية: ١٠/ ٣٤.

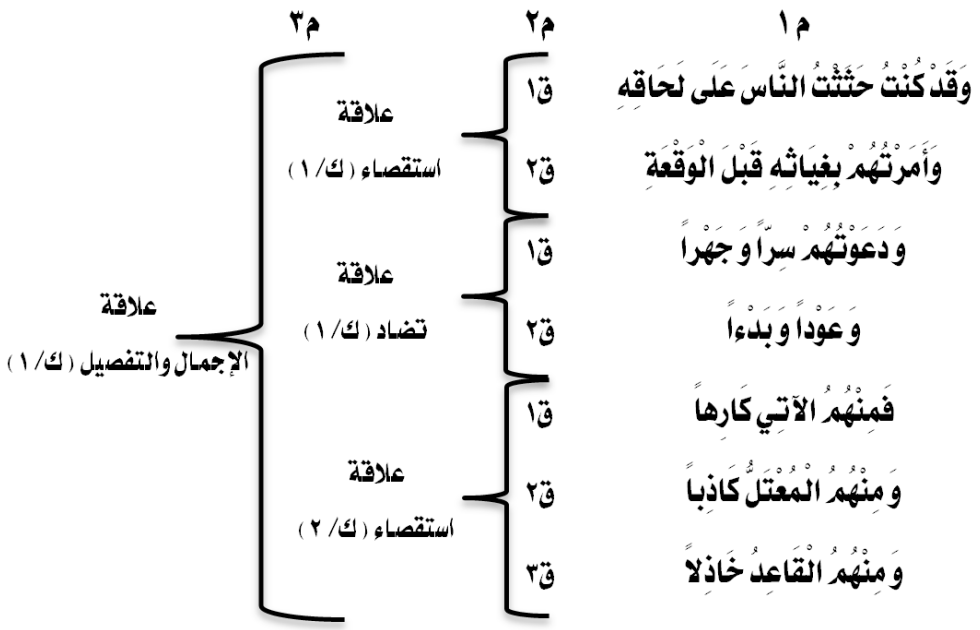




يتضح لنا من هذا المخطط ما لعلاقة الإجمال والتفصيل من أثر كبير في لم شتات النص والتقريب بين أجزائه من خلال ربط أوله بأخره مع ما احتواه النص من توازن موسيقي لأن التقسيم بما احتواه من التوازن والانسجام في ظواهره الإيقاعية يشد النفس إليه ويشوقها ويجعلها أكثر قبولاً للفن القولي المتوفر عليه عن طريق الإيحاء الموسيقي (النغميّ) بما يتناسب مع تموجات النفس البشريّة[1]، فجاء النص كلًا موحداً منسجمًا ومترابطاً له تأثيره الواضح على متلقيه. ومن ذم الزمان والدنيا قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عبد الله بن العباس: «**فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ**

(١) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٦٤.

**أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ»**[1].

تحدث الإمام (عليه السلام) في هذا النص عن أجل الإنسان ورزقه ممهداً للوصول إلى علاقة الإجمال والتفصيل وهي من نوع البنية الثنائية، ولو أمعنا النظر في أطراف هذه العلاقة نجدها ترتبط بعلاقة التضاد التي أسهمت في تصعيد المعنى في النص وجاء الإجمال والتفصيل في هذا النص في موضعين:



**الأولى**: فيما يخص الدهر، فقوله: (الدهر يومان) إجمال وقوله: (يوم لك ويوم عليك) تفصيل. وأما الآخر: فهو ما يخص الدنيا، فالإجمال في قوله: (الدنيا دار دول) والتفصيل في قوله: (فما كان فيها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك). والمخطط الآتي يبين العلاقات الدلالية المؤثرة في النص.

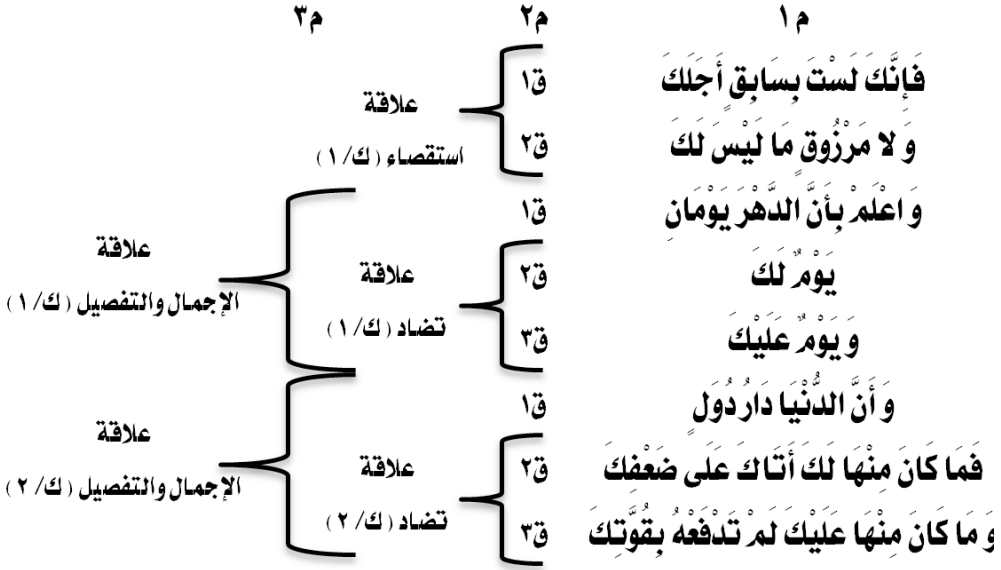


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٦٠ (ك ٧٢).

نلحظ هنا أن تقسيمات الإمام العقلية مستوفية معانيها سليمة من النقص والخلل، ((فلم يغادر ركناً من أركان المعنى إلا ذكره، فتم المعنى وجاء في نهاية البلاغة))[1]. فأسهمت علاقة الإجمال والتفصيل في تعميق المعنى وتوضيحه من جهة، وعملت على تثبته في ذهن المتلقي من جهة أخرى، إذ وقعت هذه العلاقة في المستوى الثالث من مستويات البنية النصية.



**جـ- الأمور الدينية**:

تناول الإمام (عليه السلام) ضمن علاقة الإجمال والتفصيل عرض مجموعة من الأمور الدينية منها ما جاء في عهده (عليه السلام) للأشتر النخعي عندما أمره بالإحسان للرعية، فقال: «**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ؛ وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ؛ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ**»[2]. جاءت علاقة الإجمال والتفصيل من نوع البنية الثنائية، إذ تمثل الإجمال في قوله: (صنفان)، ثم تلاه تفصيل ذلك، إذ قسمها على قسمين: أخ لك في الدين وإمّا نظير لك في الخلق.

لقد ساعدت العلاقات المنطقية في ظهور النص محكماً اتسم بالانسجام والترابط، وهذا ما أهله للقبول وامده بالقدرة على التأثير في المتلقي؛ لأنه نص عابر لحدود الزمان والمكان لكون الفكرة التي يقدمها فكرة إنسانية؛ لأنه ((يتجاوز حدود الطوائف والأديان، تجعل الناس كلهم مهما كانت ألوانهم

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني: ١٥٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٣٢ (ك ٥٣).

وأديانهم تحت مسمى الرعية والحاكم مسؤول عن حماية أمنهم وحياتهم. إنها شراكة عادلة أن يتناصف الناس بقسمين الأخوة في الدين والشبه في الإنسانية، وهما أدعى لاحترامهما كما يرى أمير المؤمنين (عليه السلام))[1]، فانتظمت العلاقات الدلالية في النص على النحو الآتي:

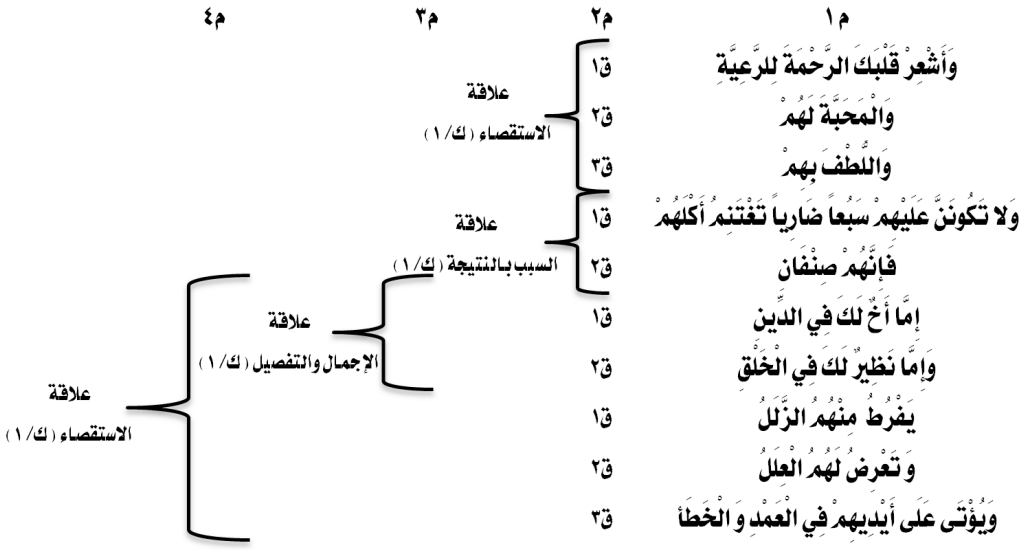


فنجد أن علاقة الإجمال والتفصيل تشترك مع العلاقات الأخرى في ايضاح الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص فضلاً عن أنها قد عملت على ايجاد العلاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية مما يبعث على تشويق المتلقي وشحذ ذهنه لملاحقة الأجزاء وإعادة تركيبها لتأويل الدلالة المتضمنة فيها مما يعمل على انسجام النص ومثلها أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى

(١) بلاغة النهج في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام: ١٩١.

أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَ إِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ وَ أنا أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي**»[1].

يتضمن هذا النص حديث الإمام (عليه السلام) عن نفسه فقد قسّم أحواله على أمرين: إمّا أن يكون ظالماً أو مظلوماً وإما باغياً أو مبغياً عليه والغاية من الإجمال والتفصيل هنا أن يحرك همة الناس ويستميلهم إليه، فمعنى كلامه فلينفر إلي الناس فإن وجدوني مظلوماً أعانوني وإن وجدوني ظالماً نهوني عن ظلمي لأعتب وأرجع إلى الحق، وعكس التضاد الاختلاف بين هذه الاحوال ويلحظ هنا ان الامام بدأ الكلام بالتضاد وختمه بالتضاد أيضاً والمخطط الآتي يوضح انتظام هذه العلاقات الدلالية:

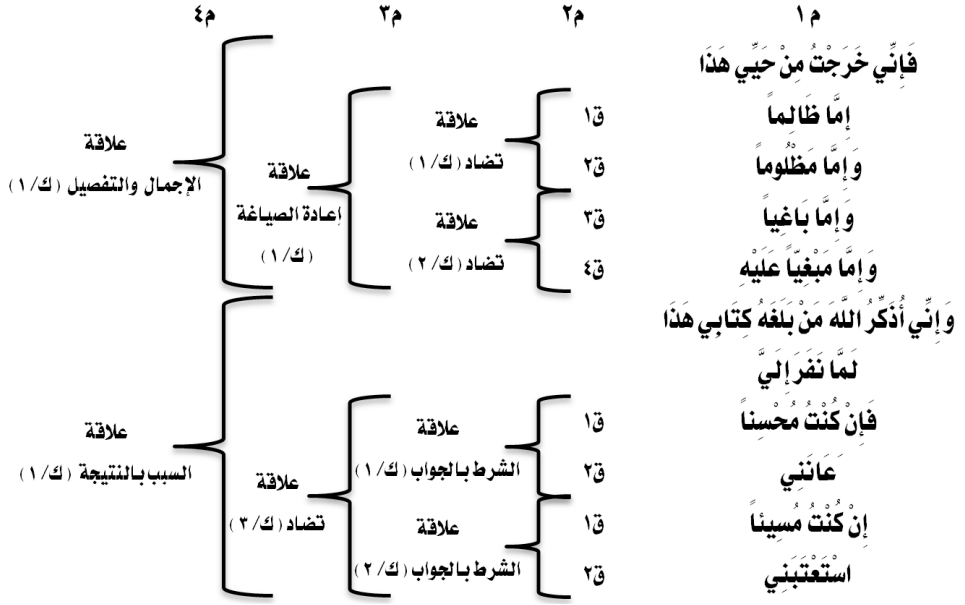


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤٠ (ك ٥٧).

فتظهر العلاقات الدلالية بين سلسلة من الجمل مما يشكل ((عناقيد من الدلالات))[1] أسهمت في تماسك أجزاء النص وتحقيق مقاصد الامام (عليه السلام) في تنفير الناس وحثّهم على التحرك معهم مما تقدم يتضح لنا هذه العلاقة تعتمد على طريقين: يكون أحدها مجملاً والآخر يمثل تفصيلاً لذلك المجمل من خلال إيراد عناصر أو أقسام مختلفة تجتمع كلها لتعود من ثَمَّ فتعطي معنى الطرف الاول وقد وجدت أن الإمام (عليه السلام) يستعمل علاقة الإجمال والتفصيل في نصوص الرسائل والوصايا؛ إذ تسمح تلك العلاقة بالامتداد النصي من خلال تناسل الموضوعات المختلفة المرتبطة بمركز واحد، هو الطرف المجمل.



**١٠- علاقة القسم والجواب:**

من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ولاسيما جزئي التركيب القسمي (تركيب القسم وتركيب جواب القسم)، وغالباً ما يرد استعمال هذه العلاقة في النصوص المدروسة في مواضع التقريع والتهديد والوعيد وذلك لتوكيد الكلام، كما قال سيبويه: ((اعلم أنّ القسم توكيد لكلامك))[2]. ولتلمس أثر هذه العلاقة في احداث الانسجام النصي نأخذ قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى زياد بن أبيه: «**وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ**»[3].

(١) علم لغة النص أ.د. عزة شبل محمد: ٢١٢.
(٢) الكتاب: ٣/ ١٠٤.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٨ (ك ٢٠).

إنّ دلالة التهديد واضحة جلية في النص[١]*، وبالطبع فإن علاقة القسم وجوابه تكشف جانباً من جوانب القضية الكبرى، التي تكتمل جوانبها الأخرى في ضوء مجموعة من العلاقات الدلالية الأساسية كالاستقصاء والبديل لإبراز المعنى وإظهار مشاعر الاستياء من أفعال المخاطب (زياد بن أبيه) ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:

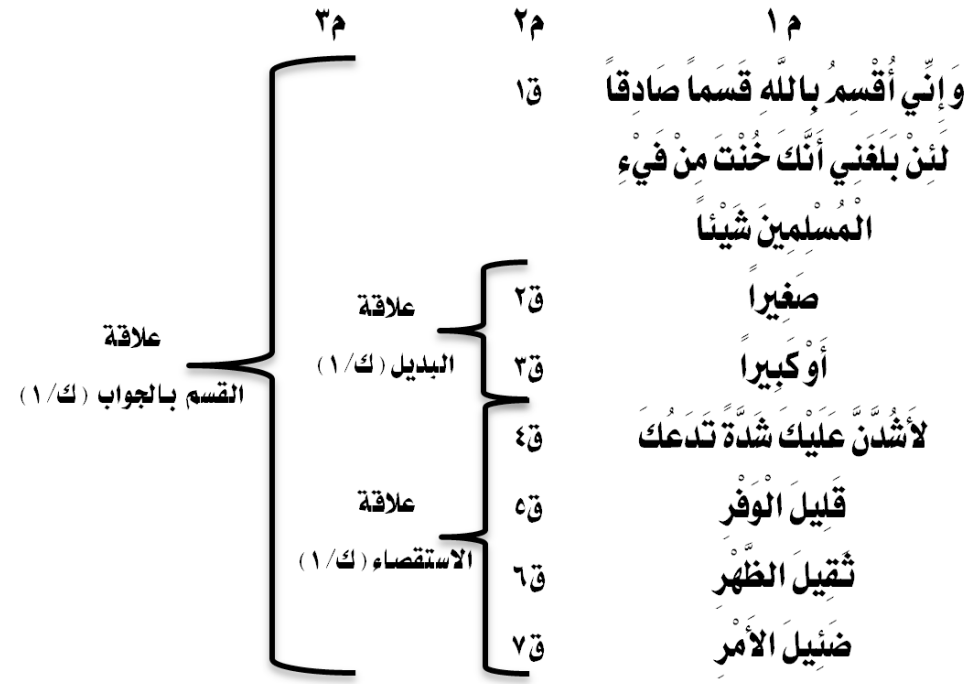


لقد أسهم عقد العلاقات فيما بينها على المستويات المتدرجة كافة في الوصول إلى القضية الكبرى للنص الذي برّز علاقة القسم بالجواب إذ عملت على صعيد البنية العليا للنص.

(١) قد سبق تناوله في المبحث الأول من الفصل الأول في موضوع السجع المرصّع، ينظر: الصفحة (٤١) من البحث.

وقد يرتبط أكثر من جواب بالقسم المتقدم كما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير وقد بلغ الإمام (عليه السلام) أنه يقسم في المسلمين وقد تصرف فيه: «**فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ؛ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً. لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً**»[1]. بدأ الإمام (عليه السلام) بالقسم بهذه الصفات الإلهية التي تشير إلى عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته اللامتناهية، ((وكان (عليه السلام) كثيراً ما يحلف بقوله والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إذا اجتهد في يمينه وهذا ممّا لم يسمع من غيره أن يقسموا به وكان (عليه السلام) متفرداً بإنشائه والحلف به))[2]، وذلك لتبلغ دلالة التهديد منتهاها عند المتلقي. وقد عملت علاقة القسم على تحقيق التماسك النصي لأنها جاءت على صعيد المستويات العليا كما في المخطط الآتي:

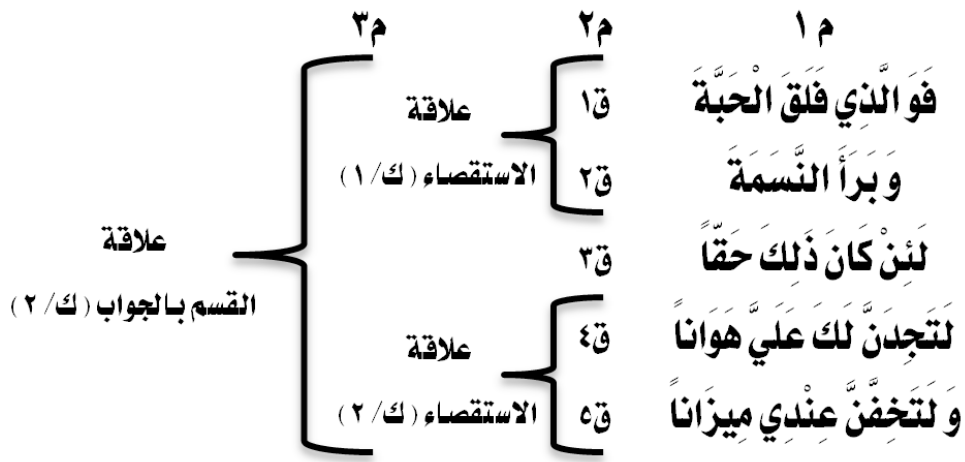


(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٧٥ (ك ٤٣).

(٢) منهاج البراعة: ١٨/ ١٩٢.

نلحظ هنا أن علاقة الاستقصاء عملت مع علاقة القسم بالجواب في إيضاح المعنى عند المخاطب وربط أجزاء النص بعضها مع بعضها الآخر.

**١١- علاقة السؤال والجواب:**

تقوم هذه العلاقة بوظيفة أساسية داخل نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة تتمثل في بناء الحوار ويعبر عنها من خلال أدوات الاستفهام (الهمزة، أي، أين، ...)، على نحو ما نجده في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: **«وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً، وَ اخْرُجْ إِلَيَّ، وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمُرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَ الْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ»**[1].

أسهمت علاقة السؤال والجواب في ربط أول خيط لهذا النص من الرسالة بآخره؛ لأنها من العلاقات المهمة التي تربط بين معاني الجمل فتحقق لها التماسك الدلالي، إذ كانت إحدى الوسائل التي استعان بها الإمام (عليه السلام) في بيان الاختلاف الواضح بينه وبين معاوية الذي يعكس الاختلاف بين الحق والباطل وتمت هذه العلاقة بين قوله: ((أينا المرين على قلبه...)) وقوله: ((فأنا أبو حسنٍ ...))، وقد تداخلت مع هذه العلاقة علاقات دلالية أخرى لتؤدي جميعها إلى ترابط المعنى وتماسكه، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

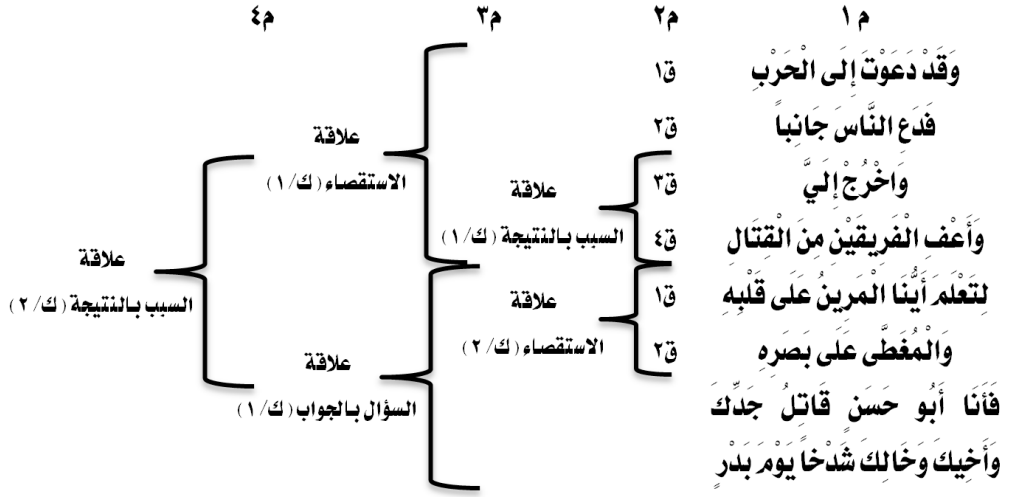


ومثل هذه العلاقة أيضاً ما جاء في قوله في كتابه له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ**»[1].

نرى في هذا النص أن هناك نوعين من المخاطبين الأول: (مخاطب مباشر) وهو عثمان بن حنيف، والآخر: (مخاطب غير مباشر)، وهو جميع المخاطبين على امتداد التاريخ البشري محذراً أياهم جميعاً من مغبة الوقوع في مصائد الملذات الدنيوية والنوازع النفسية بلغة في غاية الجمال الأدبي والروعة والبلاغة، فقد شبه الدنيا بأربعة أشياء لتنفير المخاطبين منها. الأول: أنّ الدنيا تشبه الناقة التي تغري صاحبها فما أن يتركها في مرعاها حتى تنشغل

(١) نفسه: ١٦/ ٢٩٢-٢٩٣ (ك ٤٥).

عنه بالرعي في المرتع والثاني: يشبه الإمام (عليه السلام) الدنيا بالسبع الذي يروم صيد الفريسة بمخالبه القوية. والثالث: يشبه الإمام (عليه السلام) الدنيا بالصياد الذي نصب حبائله وشراكه لصيد الحيوانات أو الطيور. والرابع: يشبه الدنيا بالمنزلق الخطير والوادي السحيق الذي يحوي مزالق كثيرة من المال والمنصب والزوجة والأبناء والماديات المغرية، فذكر الإمام (عليه السلام) أنه لا يسقط في حبالها ولا في مخالبها ولا في منزلقها[1]. ثم جاءت علاقة السؤال والجواب لأجل النصح والوعظ والإرشاد من خلال الاعتبار بمصير الأقوام السابقة وقد تضافرت معها علاقة الاستقصاء (الإضافة) لإتمام المعنى كما موضح في المخطط الآتي:

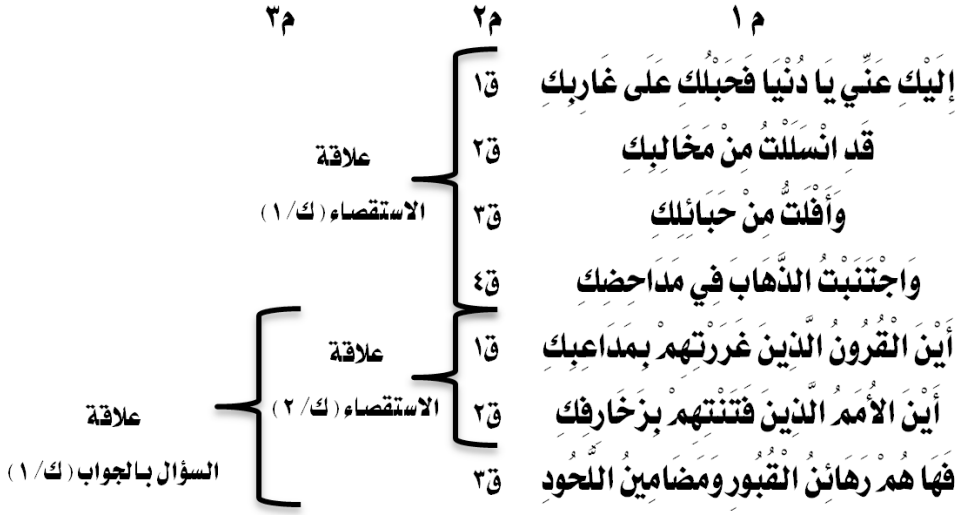


لقد كان أثر هذه العلاقة واضحاً في النص لأنها جاءت على مستوى البنية العليا، إذ جاءت على صعيد المستوى الثالث.

(١) ينظر: نفحات الولاية: ١٠/ ١٦٧-١٦٨.

**١٢- علاقة التفسير والبيان:**

قد يلجأ الإمام (عليه السلام) إلى تفسير لفظ أو حكم أو رده، فيقيم علاقة بين المفسّر والمفسَّر؛ إذ هما في الحقيقة شيء واحد، إلا إنّ المفسّر يحمل دلالات إضافية كإزالة إيهام في المفسَّر أو تحديد المعنى أو زيادة المفسَّر وضوحاً.

ومن أمثلة هذه العلاقة قوله في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر: **«وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ»**[1].

لقد أراد الإمام (عليه السلام) تفسير ما تحمله هذه الآية القرآنية من معنى، فقد تحمل في طياتها إبهاماً، وهو أمر قد يقع فيه بعض المتلقين ومن اجل ابعاد المتلقين عن هذا الإبهام اتبع كل لفظ بتفسيره حتى يميز بين الرد إلى الله والرد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)))[2].

والحاصل في هذا التفسير أنه جعل الامتداد في النص مشتبكاً بعضه ببعض، فلا يمكن للمتلقي الاكتفاء بذكر الألفاظ والأحكام دون تفسيرها ويمكن توضيح سير هذه العلاقة بالمخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٥٢ (ك ٥٣).
(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٤٦٥.

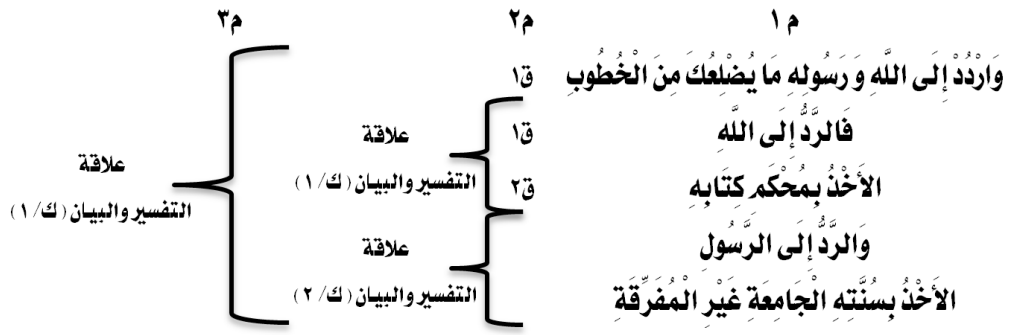




أما اللجوء لعلاقة التفسير للفظ متقدم في النص، فنجد له مثالاً في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: ((وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلاّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿**سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ**﴾ فَالْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي الَّذِي: يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ))[1]. لقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى تفسير لفظتين حملتهما هذه الآية القرآنية فأتبع كل لفظة بما يفسرها وكأنه (عليه السلام) يشرح للمتلقي معنى تلك الألفاظ، فيقرب معناها من ذهن المتلقي وقد أقام بذلك التفسير تماسكاً دلالياً بين المفسَّر والمفسّر إن هذا الأثر الدلالي لعلاقة التفسير لا ينكشف إلا من خلال تتبع سبب النص وتتبع الوحدات النصية للوصول إلى ربط دلالي لها.

### ١٣- علاقة التتابع المفاجئ:

تشهد نصوص الرسائل ظهور علاقات دلالية ثانوية، لأن نسبة تواترها أقل من أنواع العلاقات الأخرى، لكنها يعتمد عليها في بناء النص ومن هذه العلاقات علاقة التتابع المفاجئ في ظهور الأفعال وتضفي على النصوص

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٠ (ك ٦٧).

التي توجد فيها طابع المصادفة أو سمة المفاجأة بظهور شيء جديد لا يترتب ظهوره على ما سبقه[١]. وقد ذكر أرسطو أنّ عدم التوقع في النص يحُدث ((روعة أعظم مما تحدثه لو وقعت من تلقاء نفسها أو بمحض الاتفاق))[٢]، لذلك يستعين المرسل بالروابط اللفظية بين الجمل مثل (إذا) الفجائية التي تعبر عن الظهور المفاجئ في النص[٣].

إذن وظيفة هذه العلاقة أنها تقوم ((بتقديم مراجع جديدة أخرى في النص))[٤]، ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في وصيته لأبنه الحسن (عليه السلام): «**وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَ لا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ؛ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ**»[٥].

نلحظ في النص دلالة الوعظ والإرشاد فضلاً عن اتسامه بالانفتاح إذ تمكن الإمام أن يقدم هذه الموعظة لتشمل الإنسانية جمعاء في مختلف الأزمان والأمكنة، فبينما الإنسان يحدث نفسه بالتوبة قبل موته إلا إن اغتراره بالحياة تمنعه من ذلك فيتفاجأ بتحول حاله إلى حال أخرى، وهذا ما أفادته (إذا الفجائية) وقد تضافرت علاقات دلالية أخرى مع علاقة التتابع المفاجئ



(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٤.
(٢) في الشعر، أرسطو طاليس: ٦٨.
(٣) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٩٨.
(٤) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٥.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٩ (و ٣١).

لإظهار مدى تماسك النص وانسجامه إذ عملت هذه العلاقة على صعيد مستوى البنية الثانوية على تحقيق الترابط بين حدثين منفصلين كل منهما يمثل حالة مختلفة عن الحالة الأخرى ويمكن توضيح ذلك كما في المخطط الآتي:

وقد توجد هذه العلاقة على مستوى البنية الكبرى، وذلك لتحقيق مقاصد الإمام (عليه السلام) من ذلك ما نجده ماثلاً في قوله (عليه السلام) في كتابه إلى قاضيه شريح بن الحارث: «**فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الآخِرَةِ**»[1].

نلحظ في هذه الجمل عناية بالغة بالدلالة والمعنى اللتين فرضتا العناية في صياغتها، فالجملة الأولى بدأت بفعل منفي (لا تكون) التي تنفي وقوع

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧ (ك ٣).

هـذا الفعـل مـن قاضيـه أو تسـتبعده مـع تأكـد الإمـام (عليه السلام) مـن حصـول الفعـل ووقوعـه فعـلاً دون أدنـى شـك ولكنـه عمـد إلى هـذا الأسـلوب اللغـوي ليحقـق غايتـين أو مقصديـن.

الغايـة الأولى (المقصـد المبـاشر) مراعـاة الحالـة النفسـية للمتلقـي حتـى لا يكـون وقـع الأمـر قويـاً عليـه، فيبعـد النـص عـن غايتـه مـن الوعـظ والإرشـاد. والأخـرى (المقصـد غـير المبـاشر) إكسـابنا معرفـة بكيفيـة صياغـة عبارتنـا بـما يتناسـب مـع المواقـف التـي تواجهنـا وعـدم التسرع في اتخـاذ القـرارات إلا بعـد مشـاورة ذوي الألبـاب، والا فـإن وذلـك يوقعنـا في الخطـأ والإثـم. وبذلـك حققـت علاقـة التتابـع المفاجـئ قبـولاً عنـد المتلقـي؛ لأنـه لكـي يكـون النـص مقبـولاً عنـد المتلقـي لابـد مـن أن تكـون مجموعـة الوحـدات الكلاميـة تشـكل نصـاً متماسـكاً، يمـس المتلقـي مـن طـرف مـا، ويحـدث منـه تغـيراً، وعندهـا لابـد أن يكـون النـص ((ذا نفـع للمسـتقبل أو صلـة مـا بـه، أي اكتسـابه معرفـة جديـدة أو قيامـه بالتعـاون لتحقيـق خطـة مـا))[1]، فانتظمـت البنـى الهيكليـة للنـص عـلى النحـو الآتي:

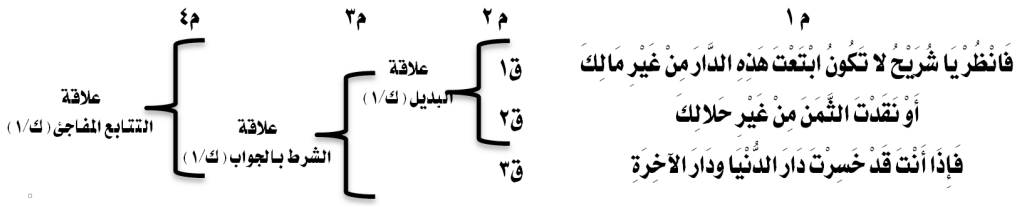


(١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي الحمد: ٣١.

وكذلك ظهرت هذه العلاقة في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى المنذر بن الجارود العبدي (وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله): «**فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ، لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ ،وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ**»[1].

فعكست علاقة التتابع المفاجئ صورتين متناقضتين، الأولى صورة الأب الصالح، والأخرى صورة الابن الطالح، فوظّف الإمام (عليه السلام) (إذا الفجائية) التي أفادت عنصر المفاجأة في النص من هذا السلوك المنكر الذي غذته علاقة التضاد الرابطة بين الجمل المتتالية لتقدم هذه العلاقات الدلالية جميعها السبب الحقيقي وراء كتابة هذا النص، إذ تمثل علاقة السبب والنتيجة العلاقة الأساسية في النص فاجتمعت مع (إذا الفجائية) الفاء السببية لأن الإمام (عليه السلام) أراد معنيي السبب والمفاجأة في النص، وقد وظّف الإمام (عليه السلام) دلالة صيغة الفعل المبني للمجهول (رُقِيَ) التي تدل على عدم القصد من الإمام مدعماً ذلك بدلالة الفعل (رُقِيَ)[2]، لبيان السبب الذي دفعه لكتابة هذه الرسالة ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٥٤ (ك ٧١).

(٢) رُقِيَ إلى: رُفع وأنهى إلى، ينظر: لسان العرب، مادة (رقا): ٦/ ٢٠٩.

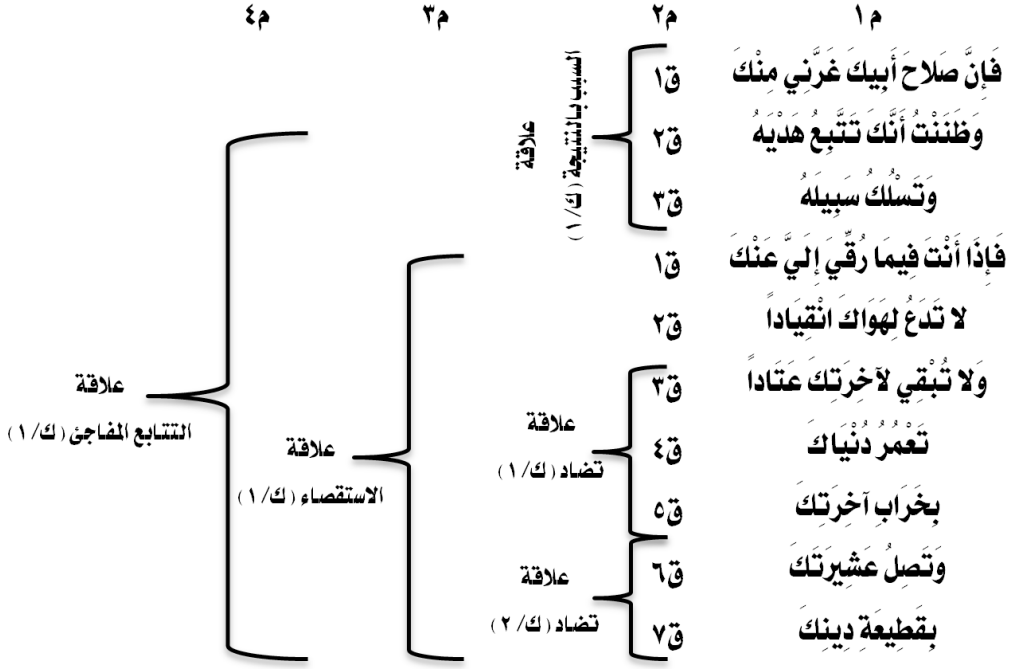


لقد كانت علاقة التتابع المفاجئ علاقة رئيسة في النص، إذ إنها أسهمت مع علاقات دلالية أخرى كعلاقة الاستقصاء وعلاقة السبب والنتيجة والتضاد، التي ترابطت لإظهار انسجام النص وتماسكه.

وخلاصة لما تقدم ذكره أنه لوحظ في أغلب النصوص ترابط العلاقات الدلالية فيما بينها إذ نادراً ما يشمل النص على علاقة واحدة فضلاً عن أنّ هذه العلاقات الدلالية عملت في إطار بنية عليا هي بنية تلك العلاقات بما يتلاءم مع موضوع الرسالة أو الوصية مما حقق قوة تماسك النصوص وانسجامها.

**ثانياً: الأبنية العليا.**

لكل نص بنية عليا تميزه وتجعله ينتمي إلى نوع معين من النصوص رغم أنّ هذه البنية العليا ترتبط بالجانب الشكلي من النص وهي ((لا تكشف في النص عن بنية كلية خاصة تالية فحسب، بل إنها تحدد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النص أيضاً ...، ومن ثم فإنها نوع من التخطيط (مخطط Schema) الذي يتواءم النص معه))[١].

إذ تعد ((إحدى الروابط النصية على المستوى الأعلى باعتبارها أداة تنظيمية تحدد النظام الكلي لأجزاء النص))[٢]. وتعرف أنها ((المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي ترتكز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفية))[٣]. أي إنّ هذه البنية – شأنها شأن الأبنية النحوية – ترتكز على قواعد عرفية ولكن هناك سمة مشتركة أخرى بين البنيتين (العليا والكبرى) في أنهما لا تتحددان بالنظر إلى جمل مستقلة أو تتابعات جزئية في الجمل، بل بالنسبة للنص بوصفه كلاً[٤].

وعليه هناك أساسان للبنية العليا، الأول: هيكلي[٥]* يستند إلى قواعد

(١) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٢١٠.
(٢) نظرية علم النص: ١٥٧.
(٣) علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات: ٢١٢.
(٤) ينظر: نفسه: ٢٠٩.
(٥)* قد وضعت في المخططات داخل هذا المبحث العلاقات الدلالية التي عن طريقها تكونت القضايا الكبرى من أخرى صغرى.

عرفيـة، والآخـر: تـداولي مرتبـط بغـرض الكاتـب ومقصـده[1]، وكلاهمـا مترابطـان حيـث يشـترك عنـد تكويـن النـص أن يعلـم منتـج النـص مـاذا يريـد بوسـاطة النـص المخطـط لـه؛ لذلـك فهـو ينشـط القالـب المناسـب لهـذا المطلـب ذي الصـورة النمطيـة الـذي يصبـح حينئـذ ذا قيمـة توجيهيـة في عمليـة اسـتقبال النـص وتفسـيره[2].

ونحـن في هـذه الدراسـة يجـب علينـا تحديـد النصـوص المدروسـة من الرسـائل والوصايـا وبيـان أنواعهـا وأشـكالها النصيّـة، إذ يـرى (فـان دايـك) أنّ ((التفريـق بـين أنـواع مختلفـة مـن الأبنيـة النصيـة ضروري، لأن هـذا يرتبـط بمعايـير إدراكيـة واتصاليـة واجتماعيـة وثقافيـة متباينـة))[3]. فضـلًا عـن أنّ لـكل نـوع مـن أنـواع النصـوص ملامـح وصفـات خاصـة، وقـد قسّـمها (فـان دايـك) عـلى ثلاثـة أنـواع رئيسـة هـي:

- النصوص السردية.
- النصوص الجدلية (الحجاجية).
- النصوص البحثية.

وقـد حـدّد أسـس التنميـط أو التجنيـس النـصيّ في ضـوء السـمات الدلاليـة الضروريـة لاسـتقبال أمثـل للمعنـى، كالعناويـن الرئيسـة والفرعيـة، والإشـارات إلى نمـط النـصّ التـي يحملهـا النـص والبنيـة العليـا، والصياغـات الخاصـة

(١) ينظر: نظرية علم النص: ١٥٧.
(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هانيه مان ديتر فيهفجر: ٢٤٥- ٢٤٦.
(٣) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٢٥٤.

بالنصوص[1]. وقدّم (روبرت دي بوجراند) وصفاً أشمل لأنواع النصوص هو الآتي[2]:

١- النصوص الوصفية: ونجد مراكز الضبط في عالم النص في معظمها تصورات للشيء والموقف، ويتم إثراء بيئاتها بكثرة الاتجاهات إلى كشف الوصلات مع تكرار وجود أنواع من الوصلات مثل الحال والصفة والتخصيص، أعم ما يجري تطبيقه من أنماط المعلومات هو الإطار.



٢- النصوص القصصية: ومراكز الضبط في عالم النص في أغلبها تصورات الحدث، والعمل التي تنتظم في توجّه مرتّب للوصلات، ويتكرر ورود الوصلات مثل: العلة، والسبب، والتمكين، والغرض، والمقاربة الزمنية، وأعم نمط للمعلومات فيها هو المشروع.

٣- النصوص الجدليّة: ومراكز الضبط فيها قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق، وتتكرر أنواع من الوصلات مثل: القيمة، الإفادة، الإدراك، الإرادة، والسبب، ويشتمل النص السطحي على حشد من عبارات تحديد القيمة، وأكثر نماذج المعلومات تطبيقاً هو نموذج الخطة الذي غايته الانتهاء إلى مشاركة في المعتقدات.

٤- النصوص الأدبية: يبدو عالم النص فيها في علاقة تبادلية مع الأنماط المناسبة من المعلومات حول العالم الواقعي المقبول، والمقصود هنا حثّ بعض النظرات الثابتة إلى تنظيم العالم الواقعي بواسطة التقابلات وإعادة الترتيب.

---

(١) ينظر: نفسه: ٢٤٩-٢٥٢.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٤١٥-٤١٧.

٥- النصوص الشعرية: وفيها يتسع التخطيط للخيارات بين المستويات المتداخلة كالأصوات، والنحو، والأفكار، والعلاقات، والخطط، ...، هكذا. وبهذه الطريقة يتم تحوّل التنظيم بالنسبة لكل من العالم الحقيقي والتخاطب حول العالم إلى مشكلة، وإنّ زيادة التحفيز بالنسبة للمنتج والتركيز بالنسبة للمستقبل ستزداد ومدةً حتى تصلح عناصر النص لأن تؤدي وظائف متعددة.



٦- النصوص العلمية: ويتوقع فيها أن تتفق اتفاقاً تاماً مع العالم الواقعي المقبول ما لم تقم دلائل على العكس كنظرية مرفوضة مثلاً.

٧- النصوص التعليمية: وينبغي أن يُعرض عالم النص فيها من خلال عملية تدريجية من المزج، لأنه يفترض في مستقبل النص أن يكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها النص العلميّ، فيتخذ النص طابع المشكلة ثم يتخلى عن هذا الطابع فيما بعد.

٨- نصوص المحادثة: ويتخذ التنظيم السطحي للمحادثة طابعاً خاصاً بسبب التغير في نوبات التكلّم.

ولعل ((إدراج نص ما ضمن هذا النوع أو ذاك يعتمد اعتماداً واضحاً على وظيفة النص في الاتصال، وليس على شكل اخراجه في ظاهر النص فحسب))[1]. ومن قراءة نصوص الرسائل والوصايا نجد أن بعضاً منها نصوص سردية تستثمر لتنظيم الوقائع والأحداث وترتيبها بشكل تتابعي، وبعضها الآخر نصوص جدليّة جاء بها لتأكيد بعض الأمور الدينية وبعض

(١) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٢٣٦.

الأفكار الاجتماعية ويستغل فيها الإمام (عليه السلام) وسائل الإقناع وترتبط بوساطة علاقات بين التصورات والمفاهيم، ويشتمل سطح النص فيها على حشد من وسائل الترابط وله (عليه السلام) نصوص أُخر وصفية معظمها تصورات للشخصيات كشخصية معاوية، ومالك بن الأشتر ... وغيرها والمواقف، كذلك نجد تداخلاً بين هذه الأنواع في نصوص رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه فيتداخل السرد بالوصف والوصف بالجدل ... وهكذا.

# الفصل الثالث

## معـايـير نصية اخـرى
## فـي الرســائل والوصايــا

# توطئة

بعد ان انتهينا من دراسة معياري (الاتساق والانسجام) في الفصلين الأول والثاني على التوالي، سنتناول في هذا الفصل دراسة بقية المعايير النصية التي أقرها (دي بوجراند دريسلر) وهي (القصدية، المقبولية، الإعلامية، السياق، التناص).

وقد أرتأيت تقسيم هذا الفصل على مبحثين، وتوزيع هذه المعايير عليهما وفق إلماح وجه الاشتراك بين هذه المعايير، فتشترك معايير (القصديّة والمقبوليّة والإعلاميّة) بأنها تختص بمستعملي النص (المتكلم / الكاتب) و (المتلقي / القارئ).

أما المبحث الثاني فسندرس فيه معياري ((السياق والتناص)) ووجه الاشتراك بينهما في انهما يختصان بالمؤثرات الخارجية التي تؤثر في النصوص المدروسة والمتمثلة بالسياق الخارجي أو النصوص الخارجية. وسوف نوضح كل معيار من هذه المعايير في المباحث الآتية:

# المبحث الاول

## معايير تتصل بمستعملي النص

## (القصدية والمقبولية والإعلامية)

**أولاً: القصديـــة.**

إذا كان الاتساق والانسجام من المعايير التي تمركزت في النص أي التي تشير إلى عمليات متجهة ناحية مادة النص، ففضلاً عن هذا النوع من الأفكار، يحتاج المتلقي إلى أفكار تمركزت في مستعمل النص، وهي ذات تأثير على نشاط الاتصال بوساطة النصوص بوجه عام سواء أكان ذلك من قبل المنشيء أم المتلقي. وهذا يشمل ثلاثة معايير نصية هي (القصديّة والمقبوليّة والإعلاميّة).

ويسلط هذا الجزء من البحث الضوء على معيار القصدية بوصفه المعيار الذي ((يتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتماسكة، والمتسقة وسيلة لإنجاز قصد المتكلم، ومثال ذلك توزيع المعرفة، أو الوصول إلى هدف يُحدَّد في ضوء خطة ما Plan))[1].

(١) الدلالة والنحو: ٢٣١.

وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا المعيار بربطه بالمعنى، فهذا أحمد بن فارس يقول: ((فأما المعنى - فهو القصد))[1]، أمّا عبد القاهر الجرجاني، فيرى أن توفر القصد في النص يُعّد من الأمور البديهية وهذا ما نستشعره في قوله: (( وكان مما يعلم ببدائه المعقول، أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً، ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده))[2].

أما القصد (Intentionality) في الدراسات النصية، فهو: ((يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسّبك والالتحام))[3]، وهذا يعني أنّ أي نص ((ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومترابطاً من أجل تحقيق هدف محدد، وبمعنى آخر هو عمل مخطط له غاية يود بلوغها))[4].

إذ إن (((منتج النص يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون نصاً متضاماً متقارناً))[5].

ويلحظ الدكتور سعيد حسن بحيري في ضوء مناقشته لآراء (دي بوجراند دريسلر) أنهما يشيران إلى أمرين مهمين الأول: الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعياري الربط والتماسك (الاتساق والانسجام)، إذ يمكن أن تحافظ على هذين المعيارين بدرجة ما من خلال الصياغة لتحقيق أهداف نصيّة متغايرة.



(١) الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس: ١٩٨.
(٢) دلائل الإعجاز: ٥٣٠.
(٣) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٢٨.
(٤) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.
(٥) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي الحمد: ١٥٢.

الآخر: ضرورة محافظة منتج النص عليها تتضمن حرصه على دوام التواصل، ورغبته في ايصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن تنقطع نهائياً[1] ((وترجع هذه الرؤية النظر إلى تلك العلاقة الجوهرية القائمة بين هذا المعيار ومعياري النصية (السبك والحبك)، ذلك أن محافظة منتج النص عليها معاً، تتضمن حرصه ورغبته على ايصال مقاصده إلى متلقيه))[2].



فالقصديّة شرط ضروري في التفاعل الاتصالي؛ لأنه ((لا غنى لأية تشكيلة لغوية يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصاً))[3]. وقبل إجراء معيار القصديّة في نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة لابد من الوقوف على أنماط المقاصد وأقسامها في الدراسات النصيّة ومن ثمّ عرض تطبيقاتها في النصوص المدروسة. إذ يقسم النصيون المقاصد على قسمين، فمنها: المقاصد المباشرة، ومنها: المقاصد غير المباشرة[4].

المقاصد المباشرة (الصريحة أو الظاهرة): وهي تلك المقاصد المرتبطة بالمعنى المباشر للكلمات والجمل[5] ونجد تطبيق ذلك في معايير سابقة كالاتساق والانسجام ولاحقة كالإعلاميّة والسياق والتناص[6]*، ويدخل ضمن المقاصد

(١) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٧.
(٢) الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم: ١٥٨.
(٣) مدخل إلى علم لغة النص: ١٥٢.
(٤) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٦، نظرية علم النص: ٤٨.
(٥) ينظر: نظرية علم النص: ٤٨.
(٦)* لقد أشير إلى مقاصد الإمام (عليه السلام) في كل معيار بحسب موضوعه في البحث مما يغنينا عن إعادة ذكره في هذا الموضع من البحث.

المباشرة ما تشير إليه مقدمات النصوص وهي – عموماً مقدمات قصيرة نسبياً– يعبر بها الإمام علي (عليه السلام) عن كتابة النص ويكفي تبين ذلك أن نقف على ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ. وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُك عَلَيْهِمْ** ...»[1].

لقد تضمنت مقدمة هذا النص صراحة مقصد الإمام (عليه السلام) وهدفه بعد أن بلغه أن ابن عباس قد أضرّ بأهل البصرة بعد أن عرف ما وقع منهم يوم الجمل لأنهم كانوا انصار طلحة والزبير وعائشة، فدعاه الإمام (عليه السلام) إلى ((أن يستخدم اسلوب الإحسان معهم في مقابل موقفهم السيء يوم الجمل، لكي يغسل درن الأحقاد والكراهية ويجعلهم يعيشون الندم والخجل على ما بدر منهم، وربّما كانت مخالفتهم له بسبب خوفهم من العقوبة والانتقام، فعندما يتعامل معهم ابن عباس بالرأفة والرحمة، فهذا من شأنه أن يعيد إليهم روح الهدوء والطمأنينة ويزيل حالات الخوف والقلق))[2].

ومثل ذلك ما جاء في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفة من صفين: «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَ يُعْطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ**»[3]. يتضمن محتوى النص ما أمر به الإمام (عليه السلام) بالنسبة لما له، ويكشف لنا في هذا المقطع من النص عن ثلاثة مقاصد صريحة هي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٥ (ك ١٨).
(٢) نفحات الولاية: ٩/ ٢٠٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٦ (و ٢٤).

**الأول** : في قوله: ((ابتغاء وجه الله)) أي رغبة في ثواب الله سبحانه وتعالى.

**الثاني**: في قوله: ((ليولجه به الجنة)) أي يدخله الله سبحانه بسبب هذا الأمر وهذا العمل الجنة.

**الثالث**:في قوله: ((يعطيه به الأمنة)) أي الامن في الأخرة من النار والعذاب.



المقاصد (غير المباشرة): ويطلق عليها أيضاً المقاصد الضمنية وهي ((التي لا يصرح بها النص، ولا يكشف عنها الكاتب صراحة، ولكنها متضمنة في معنى النص))[١]. ويربط الدكتور حسام أحمد فرج بين هذه المقاصد وأفعال الكلام، فيعرف المقاصد المتضمنة بأنها ((التي ترتبط بالمغزى من استخدام هذا الفعل أو ذاك في إشارة واضحة إلى أفعال الكلام))[٢]. فعلى وفق المفهوم الأول للمقاصد الضمنية يمكن أن نجملها بالمقاصد الآتية:

**أ- نقل فن الكتابة من مرحلة إلى مرحلة أخرى:**

فالإمام (عليه السلام) ((أول من أطال الكتب والرسائل، وتفنن في بداياتها وخواتمها ... وجمع بين الايجاز والإطناب مراعاة لمقتضى الحال، وتخير الألفاظ الفصيحة وأكثر من الصور الفنية وجمع بين فنون البيان وألوان البديع كما آثر لجمله توازناً وإيقاعاً عروضياً وما إلى ذلك))[٣].

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٤١.
(٢) نظرية علم النص: ٤٨.
(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ١٠٨.

**ب- تصوير الأوضاع الاجتماعية والسياسية:**

يمثل عالم النص ((عملية تواصل أو تفاعل مع العالم الواقعي، ومن ثم فالنص شبكة عمل ليست لغوية فقط، وإنما نفسية واجتماعية أيضاً))[١].

لقد صور الإمام (عليه السلام) ما يحيط بالمجتمع الإسلامي من حوادث وطبقات اجتماعية، فحاول أن يخلق توازناً في الواقع الاجتماعي، فنجده يعالج في رسائله ووصاياه ((حالة خاصة في مجتمعه الذي بدا غافلاً عن مصيره التعس، مهملاً لواجباته في جهاد النفس، وجهاد العدو متلهفاً على المتع والثراء اللذين لا يستحقهما إلا مجتمع مستقر أحكم وضعه الأمني والسياسي والاجتماعي))[٢]، ويكفينا أن نقرأ النصوص الآتية لتكوين تصور واضح للمجتمع الإسلامي والسياسي آنذاك منها:

ك١، ك٢، ك٣، ك٤، ك٥، و١١، و١٢، و١٤، و١٦، ك١٨، ك١٩، ك٢٠، ك٢١، ك٢٢، ك٢٣، و٢٤، و٢٥، ك٢٦، ك٢٧، و٣١، ك٣٣، ك٣٤، ك٣٦، ك٣٨، ك٣٩، ك٤٠، ك٤١، ك٤٢، ك٤٣، ك٤٥، ك٤٦، و٤٧، ك٥٠، ك٥١، ك٥٣، و٥٦، ك٥٩، ك٦٠، ك٦١، ك٦٢، ك٦٦، ك٦٧، ك٦٨، ك٦٩، ك٧٠، ك٧١، ك٧٢، ك٧٤، و٧٦، و٧٧، ك٧٨، ك٧٩.

---

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٤٤.

(٢) حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٤٨.

**ج- تقديم وثائق تاريخية.**

من قراءة رسائل الإمام (عليه السلام) - ولا سيما - رسائله إلى معاوية[١]* يمكننا القول إنها تعد مصادر لدارسي التاريخ الإسلامي ولا سيما مدة خلافته (عليه السلام) حتى استشهاده، وبذلك تأخذ الرسائل والوصايا بعداً اجتماعياً وإنسانياً وسياسياً فضلاً عن أنها نشاط لغوي منظم، ومن هنا يمكن القول: إنها سلسلة متتابعة من الأقوال، التي تصدر من قبل الإمام (عليه السلام) لتؤدي ما يروم إليه، إذ يمكن أن تكتشف مقاصد منتج النص اعتماداً على تشكيلة النص اللغوية، أو بمرعاة العوامل السياقية[٢].

ومما يرتبط بالمقاصد غير المباشرة الحديث عن نظرية أفعال الكلام؛ لأن مصطلح القصديّة بالمعنى الواسع يشير ((إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها))[٣].

تبين ممّا تقدم أن للقصد تأثيراً في بنية النص وأسلوبه؛ لذلك فإن الكاتب يبني نصه بناءً معيناً ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده، وبذلك نلحظ أن النص يعد مظهراً من مظاهر السلوك اللغوي، وشكلاً من أشكال اللغة يتضمن - لا محالة - قصداً معيناً وتكمن أهمية القصد في أنه يمثل جزءاً مهماً من دلالة النص، بل لا يكتسب النص دلالة إلا بفعل قصد المتكلم[٤].

---

(١)* ينظر الكتب المرقمة: ك٦، ك٧، ك٩، ك١٠، ك١٧، ك٢٨، ك٣٠، ك٣٢، ك٣٧، ك٤٨، ك ٤٩، ك٥٥، ك٦٤، ك٦٥، ك٧٣، ك٧٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديترفيهفجر: ١٢١.

(٣) مدخل إلى علم النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ١٥٧، ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٢٨.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ١٥٢.

**القصدية وأفعال الكلام:**

تعد الأفعال الكلامية من أبرز المقولات اللسانية التداولية التي تعنى بالأفعال اللغوية وعلاقتها بالسياق، وقد تأسست هذه النظرية على يد اللغويين (أوستين) و (سيرل) وانبثقت من الفلسفة التحليلية التي نشأت على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجيه) في كتابه أسس علم الحساب[١].

ويعرّف الفعل الكلامي على أنه ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلاً عن ذلك، يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية (Acteslocutoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actesillocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية (Actesperlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)))[٢]. مما نعنيه عادة بقولنا إننا نفعل شيئاً هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعداً أو ننصح أو نفرح. والرسائل والوصايا في نهج البلاغة كانت تمثل نوعاً نصياً يمكن أن يعرض فعلاً إنجازياً واحداً أو أفعال إنجازية عدة متباينة، وقد تمّ تقسيم الأفعال الكلامية من قبل (أوستين) على خمسة أقسام حسب قوتها الإنجازية هي[٣]:

---

(١) ينظر: لسانيات النص، ليندة قيّاس: ١٩٠.

(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٤٠.

(٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين: ١٧٤-١٨٥، استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري: ١٥٦، لسانيات النص، ليندة قياس: ١٩٢-١٩٣.

أفعال الأحكام (Verdictives): تتمثل في حكم يصدر عن قاضي محكمة أو هيئة معينة، وليس ضرورياً أن تكون هذه الأحكام نافذة أو نهائية، فقد يكون هذا الحكم الصادر في صورة رأي أو حكماً تقديرياً وممّا يدل عليها الأفعال الآتية: يقدر، يحكم على، يبرئ، يشخص، يحلل، يصنف، يصف.

أفعال القرارات (Exercitives): وتتمثل في اتخاذ قرار معين، أو ممارسة سلطة تشريعية أو قانونية كالإذن والطرد، والحرمان، والتعيين، ... وممّا يدل عليها الأفعال الآتية: يأذن، يطرد، يحرم، يعيين، يأمر، يرجو، يأسف.



أفعال التعهد (Commissives): إن الغاية منها أن يلزم المتكلم نفسه بإنجاز فعل معين، أي يتعهد بفعل شيء ما والأفعال المعبرة عنها هي: يعد، يضمن يؤيد، يكفل، ... والسمة المميزة لهذا النوع عن سابقة كونه لا يبتغي التأثير في السامع.

أفعال السلوك (Behabitives): وتعبر عن رد فعل لسلوك ما، والأفعال المعبرة عنها: يعتذر، يشكر، يواسي، يتحدى، ... والغرض من هذا الصنف التعبير عن مواقف نفسية تعبيراً صادقاً.

أفعال الإيضاح (Expositives): والغاية منها تبرير وجهة نظر معينة، أو الإفصاح عن رأي وإثبات ذلك بالبراهين والحجج ومما يدل عليها الأفعال الآتية: أثبت، أنكر، ألاحظ، أشكك، أصوب، ...، إذ في سياق الكلام يكون المتكلم في حاجة إلى طرائق شتى ليبين عن رأيه حتى يقتنع المخاطب بصحة ما أورده، وتبني فكرة ما يحتاج إلى مجموعة من الحجج والبراهين حتى تنتقل من مستوى العرض إلى مستوى الإقناع والتسليم بها، وهذا الصنف

من الأفعال يدخل ضمن نطاق ((الحجاج والنقاش والتبرير))[١]، ويقتضي إسقاط مفاهيم هذه النظرية (نظرية الأفعال الكلامية) على نماذج الرسائل والوصايا في نهج البلاغة أن نتأمل هذه النصوص ونتعامل معها مبدئياً مع أول صنف للأفعال الكلامية كما قسّمها (أوستين):

١- الأفعال الدالة على الأحكام ومن أمثلتها ما ورد في قوله (عليه السلام): «**فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ؛ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الآخِرَةِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ**»[٢]. تضمنت هذه البنيات اللغوية أفعالاً عدة، شكلت بنية اساسية في تكوين الجمل والأساليب، إذ اختار الإمام (عليه السلام) هذه الصيغ ليؤدي أغراضاً ومقاصدَ، وقد ورد بعضها مثبتاً (فانظر، ابتعت، نقدت، خسرت، اتيتني، اشتريت، لكتبت)، وبعضها منفياً (لا تكون، فلم ترغب) فبوساطة هذه الأفعال تمكن الإمام (عليه السلام) من أن يبين حكم شراء دار من مال حرام.

إذ بدأ جمله بفعل أمر (أنظر) لتنبيه المتلقي بما سيلقى إليه من كلام ثم استعمل اسلوب النداء زيادة في التنبيه ثم قال: (لا تكون) استعمل أسلوب النفي وكأنه أراد أن يبعد المتلقي من هذ العمل مع أنه متحقق وواقع بالفعل، ومما يؤكد هذه الحقيقة مجيء الأفعال الماضية في هذا النص أكثر من غيرها

(١) استراتيجيات الخطاب: ١٥٦، ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد: ٤٦، ٦٩ - ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧ (ك ٣).

من الأفعال إذ استعمله الإمام (عليه السلام) ست مرات وهو يدل على حدوث الشيء في الزمن الماضي ثم إن مجيء (إذا الفجائية التي ربطت بين حدثين منفصلين كان لها أثرٌ كبير في إثارة المتلقي وتنبيهه إلى خطئه.

وكذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمراء جيشه: «**فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ، فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَ إِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ**»[1].

تعبر أفعال الأحكام الواردة في هذا النص عن الظروف السياسية التي عاصرت مدة خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ يستتر وراء النظام اللغوي لهذه الرسالة أحكام لأفعال إنجازية عبرت عنها الأفعال الآتية: (عادوا، نُحبُّ، توافت، فانهد، أطاعك، عصاك، استعن، انقاد، تقاعس، أغنى)، قد اختارها الإمام (عليه السلام) لتؤدي اغراضاً ومقاصدَ، إذ تحيل دلالة التضاد بين الأفعال (اطاعك وعصاك) (انقاد وتقاعس) إلى نوع من المفاضلة والموازنة فبوساطة هذه الوسيلة اللغوية تمكن الإمام (عليه السلام) أن يفاضل بين صنفين من الناس الموالي والمخالف. وقد وردت أغلب الأفعال - بصيغة الماضي - لتفيد وصف حقيقة الأوضاع السياسية وتقريرها آنذاك. كذلك خدم وقوع أفعال الأحكام ورود التركيب الشرطي بأداة الشرط (إن) إذ ارتبط الحكم الوارد بطبيعة فعل الشرط سواء كان إيجابياً أم سلبياً. ويتناسب مع أفعال الأحكام أيضاً الحضور الواضح لصيغ التفضيل (خير، وأغنى)، إذ تعد وسيلة لغوية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٣٢ (ك ٤).

مهمة للفصل بين نوعين من الناس. وعليه فقد عبرّت أفعال الأحكام عن قضايا مهمة في حياة المجتمع الإسلامي آنذاك وقد أوردها الإمام علي (عليه السلام) لتخدم أغراضاً وهي إحداث التأثير الفعال وبث التوجيه الصارم وإشاعة النصح والإرشاد العام لإصلاح أمور الناس الخاصة والعامة.

٢- أفعال القرارات ومن أمثلتها ما ورد في كتاب له (عليه السلام) إلى جرير بن عبد الله البجلي، لما أرسله إلى معاوية: «**فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ**»[1].

تكشف أفعال القرارات عن براعة الإمام (عليه السلام) ومقدرته بصفته يمثل الحكومة الشرعية التنفيذية إذ تمثلت أفعال القرارات بأفعال الأمر (أحمل، خذه، خيرّه، انبذ، خذ) وهي موجهة إلى مخاطب معين وهو جرير بن عبد الله البجلي والأفعال الماضية (أتاك، اختار) وهي موجهة إلى مخاطبين وهما (جرير ومعاوية) والتأمل في هذه الأفعال نجد أنها عنيت بإبراز نوعين من السلوكيات المتضادة وهي في الحقيقة انعكاس لصورة الواقع السياسي الذي عاشه الإمام (عليه السلام)، إذ صور كيفية تعامل الناس معه بين (العصيان والطاعة) و (الرفض والقبول).

ومن أفعال القرارات قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أميرين من أمراء جيشه: «**وَ قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَ عَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً**»[2]. يقدم لنا أمير المؤمنين سلسلة من الأوامر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٤٥ (ك ٨).
(٢) نفسه: ١٥/ ٩٨ (ك ١٣).

ضمن أسلوب إنشائي واحد (الأمر) ليؤدي غرض الإمام ومقصده من النص، فقد وظف الأفعال الإنفاذية الآتية (اسمعا، واطيعا، واجعلاه) على سبيل الإلزام المباشر بعمل هذه الأوامر، وبهذا تكون أفعال القرارات (الأوامر) الإنفاذية قد أحكمت سيطرتها على النسيج اللغوي لهذا النص، فضلاً عن أنها موجهة إلى أميرين من أمراء جيشه قصد الإمام (عليه السلام) بها الوعظ السياسي فجاءت أفعال القرارات منسجمة مع الغرض المقصود من النص.



٣- أفعال التعهد ومن أمثلتها قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**فَوَ الله لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّنِي، وَ لا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي. وَايْمُ الله يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ الله، لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَ لأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَ تَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، وَ يَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!**»[1].

يشتمل هذا النص على طائفة من أفعال التعهد والصيغ والأدوات التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينها كلامه كالقسم، والنفي، والتوكيد، والشرط، والاستفهام... وقد خدمت هذه الوسائل اللغوية غرض الإمام (عليه السلام)، إذ اتخذها الإمام أداة مطواعة للتعبير عن قوة شخصيته في مواجهة هذه المغريات المادية والدنيوية.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٩٤ (ك ٤٥).

وقد حضرت الأفعال الإنجازية (المضارعة) بنسبة أكبر في قوله: (أذل، تستذليني، أسلس، تقودني، استثني، أروضنّ، تهش، وتقنع، أدعنّ، تمتلئ، تبرك، تشبع، تربض، يأكل، يهجع) إذ وردت خمس عشرة مرة، أما الأفعال (الماضية) فقد وردت أربع مرات في قوله: (قدرت، نضب، قرت، اقتدى)، وإذا دققنا النظر وجدنا اثنين منهما في سياق جملة دالة على الحال وهما (قدرت واقتدى) بقيد اداة الشرط. أما الفعلان الآخران (نضب وقرت) فليسا بأفعال انجاز، فالأول للوصف والآخر للدعاء، وعلى هذا فالأفعال الإنجازية كلها للحال والاستقبال مضارعة وماضية، وهذا هو الذي يعطي للنص الحركية والتجدد وعدم توقف الدلالة على زمن محدد.



والجامع المشترك بين هذه الأفعال المختلفة هو خدمة مقاصد الإمام (عليه السلام) من النصح والإرشاد الديني.

ومثله أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أمرائه على الجيوش: «**أَلا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلا فِي حَرْبٍ، وَلا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلا فِي حُكْمٍ، وَلا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَ لا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لله عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ، وَأَلا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَ لا تُفَرِّطُوا فِي صَلاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَ لا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَ أَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٦ (ك ٥٠).

حوت هذه البنيات اللغوية على أدوات وصيغ عدة أسهمت في دعم القوة الإنجازية لأفعال التعهد وهي (التوكيد، والنفي، والاستثناء، والشرط)، إذ خدمت هذه الوسائل المعنى المقصود من هذا النص. وقد حضرت الأفعال الإنجازية بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) مع تفاوت ملحوظ في المقدار الزمني مع تراوحها بين الإثبات والنفي وكما موضح في الآتي:



- الأفعال المضارعة (لا احتجز، لا أطوي، لا أوفر، لا أقف، أن تكونوا، لا تنكصوا، ولا تفرطوا، وأن تخوضوا، لم تستقيموا، لم يكن، أعظم، ولا يجد، يصلح).
- الأفعال الماضية (فعلت، وجبت، اعوجّ)، فالفعلان الأولان خرجا إلى الحال بقرينة أداة الشرط، أما (أعوج) فجاء للوصف وهو ليس فعلاً انجازياً.
- افعال الأمر (خذوا، أعطوهم).

فكانت الأفعال المضارعة أكثر الأفعال تليها الماضية ثم الأمر وهذا يتناسب مع طبيعة أفعال التعهد التي تلزم المتكلم بإنجاز عمل معين ويترتب أيضاً على المخاطب القيام بعمل معين نتيجة لهذا التعهد، فتكون كل الأفعال المضارعة والماضية المتحولة زمنياً إلى الحال والاستقبال أفعالاً حركية تضفي على النص الحيوية والاستمرارية.

٤- أفعال السلوك ومن أمثلتها قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض عُماله: «**فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ، وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ**

**الثَّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ؛ وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لا تُغْنِي عَنْكَ إِلا الشِّدَّةُ. وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَ لا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ»**[1].

تشير حركة الأفعال في هذا النص بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) إلى طغيان الجملة الفعلية على حساب الجملة الأسمية، لما تقتضيه طبيعة هذا النص من إبراز للسلوكيات والأفعال التي تصدر من العامل العادل، وقد طغى فعل الأمر على بقية الأفعال إذ كان له ظهوراً بارزاً في النص متمثلاً بـ (استعن، اخلط، ارفق، اعتزم، اخفض، ابسط، الن، وآس) ويليه الفعل المضارع الذي كان على نوعين المثبت (استظهر، أقمع، أسد)، والمنفي (لا تغني، لا يطمع، لا ييأس) يشير عن طريقها إلى السلوكيات المختلفة من قبل رعيته.

أما الفعل الماضي فكان أقل الأفعال حضوراً وقد تمثل بـ (أهمك، كان، أرفق) ومثل ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**وَ قَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الأَعْلامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الأَنُوقُ، وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ**»[2]. يحشد الإمام (عليه السلام) طائفة من الأفعال الماضية والمضارعة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٣ (ك ٤٦).
(٢) نفسه: ١٨/ ٢٢ (ك ٦٥).

لتعبر تعبيراً صادقاً عمّا يختلج في نفسه من كتاب معاوية، الذي اعتاد على التلاعب بصيغ الكلام لنيل ما يطمح إليه.

- فتمثلت الأفعال الماضية بـــ (أتاني، ضعفت، اصبحت، وترقيت).
- وتمثلت الأفعال المضارعة بـــ (لم يحكها، تقصر، ويحاذى).

وقد كانت هذه المواد اللغوية ضرورية في تشكيل النسيج اللغوي للنص في عكس سلوكيات معاوية في كتبه إلى الإمام علي (عليه السلام) ولما لها من زخم حجاجي لا يخفى.



٥- أفعال الإيضاح ومن أمثلتها ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «**وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَ لا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ**»[1].

طغت أفعال الإيضاح على هذا النص من الوصية لبيان صفات الله- سبحانه وتعالى- وقد اعتمد على العبارات السهلة والجمل القصيرة التي احكم سبكها نازعاً إلى التركيب النحوي السهل، وقد حفلت هذه الجمل بكثرة استعمال أساليب التوكيد (إنّ، الشرط، التكرار، ...)، وقد تعددت أفعال الإيضاح وتعددت أزمنتها لتشمل (الماضي، المضارع، الأمر) وكما موضّح في الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٧ (و ٣٠).

- الأفعال الماضية (كان، لأتتك، لرأيت، ولعرفت، وصف، عظم).
- الأفعال المضارعة (لا يضاده، ولا يزول، ولم يزل، أن تثبت).
- وفعل الأمر (اعلم) وهو أقل الأفعال مقارنة بالأفعال المتقدمة لأن هذا النص مشغول بصدد عرض الصفات الإلهية وشرحها ولا سيما استعمال الفعل المضارع المنفي، كذلك تشير حركة الأفعال بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) داخل هذا النص إلى طغيان الجمل الفعلية على حساب الجملة الأسمية، لما تقتضيه طبيعة هذا النص لإبراز الأفعال والصفات الإلهية.



ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عمر بن أبي سلمه المخزومي، وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: «**فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ الله**»[1].

اشتمل هذا النص على طائفة من أفعال الإيضاح التي عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمالها لأنها تحيل إلى السبب عزل هذا العامل واستعمال غيره، وقد تضمن النص نوعين من الأفعال الماضية وتتمثل بـــ (أردت، وأحببت، شاء)، وأفعال مضارعة وتتمثل بـــ (تشهد، استظهر)، وقد عضد الإمام (عليه السلام) كلامه باستعمال أدوات التوكيد (قد، إن) لأنه أراد كلامه أن يكون واضحاً ومقنعاً ومؤثراً في الوقت نفسه، ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال الأساليب

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٧٣ (ك ٤٢).

التوضيحية من أفعال وأدوات لغوية (أدوات التوكيد) مما تقدم يتضح لنا أنّ الأفعال الكلامية قد ساهمت في تحقق الترابط النصي، إذا استطاعت أن تكوّن تماسكاً نصياً بأغراضها التخاطبية المتوازية التي تؤدي في النهاية إلى المشاركة في بناء البنية الكلية لنصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة إذ تتوسل أفعالاً انجازية لتخدم اغراض المتكلم (الإمام (عليه السلام)) من ناحية، ولتخدم غايات تأثيرية من ناحية أخرى (أي التأثير في المتلقين (المخاطبين)).



**ثانياً: المقبوليـــة.**

تعد المقبوليّة الوجه الآخر لقصد المنتج، فهي رغبة نشطة للمشاركة في عملية الإنتاج التي تتكون من (المنتج والنص والمتلقي)[١]. وهذا يعتمد ((على التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة))[٢]، إذ تتكئ المقبوليّة على إيضاح الدور الذي يقوم به المتلقي في عملية انتاج النص، فالنص مهما كان نوعه فهو في نظر علم لغة النص موجه حتماً ((إلى المتلقي، كي يتفكر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره، ولا شك أنّ النص يكتسب حياته من خلال المتلقي))[٣]، فهو يتدخل بوجود النص وطبيعة بنيته.

ولنتعرف أولاً على المقصود بالمقبوليّة قبل التعرف على أثرها في توجيه نصوص الرسائل أو الوصايا وبنائها في نهج البلاغة، فالمقبوليّة يقصد بها

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٤.
(٢) نظرية علم النص: ٥٢.
(٣) علم اللغة النصي: ٢/ ٢١٣.

((موقف المتلقي وتقييمه لأهمية النص))[1]، كذلك تعرّف بـ ((تقبلية المستقِبل للنص باعتباره متضاماً متقارناً ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة به))[2].

وهذا يعني أن فكرة التقبلية تتجه صوب المخاطب، وهي بصورة عامة تعني أن ثمة تفاعلاً مع النص من المتلقي، وهو ما يلخصه (محمد عزام) بـ (الاستجابة والقبول)[3]، ((فعملية القراءة تفاعل بين النص والخلفية المعرفية المسبقة للقارئ أو مخطط الذاكرة Memory Schemata والتوقعات المعينة حول البنية العامة للنصوص))[4]. وتتحكم في عملية القبول مجموعة من العوامل تحمل المتلقي على قبول النص، نوجزها على النحو الآتي[5]:



(١) أن يحتوي النص على مقدمات سياقية تساعد المتلقي على الفهم والتأويل.

(٢) معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص.

(٣) وضوح المضمون العام للنص.

(٤) أهمية الرسالة بالنسبة للمتلقي.

(٤) تعدد الخلفيات الفكرية والأيديولوجية للقراء.

(٦) العوامل النفسية ويظهر هذا في رد المتلقي أو في مدى استيعابه الكامل للنص، إذ إن حالته النفسية تؤثر على حالته الذهنية.

---

(١) أسس لسانيات النص: ١٥٢.

(٢) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ١٢.

(٣) ينظر: النص الغائب: ٥٠.

(٤) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٤.

(٥) ينظر: نظرية علم النص: ٥٥-٥٦.

وبلحاظ هذه العوامل ومدى توافرها في نصوص الرسائل والوصايا يمكننا أن نقول إنّ هذه النصوص لا تخلو من معيار المقبوليّة، لأنها تكمن في أنّ الإمام (عليه السلام) عمل جاهداً بأن تظهر رسائله ووصاياه بمظهر تتضح من خلاله الأفكار والمعلومات التي يريد إيصالها إلى متلقيها على نحو أفضل.

فقائل هذه النصوص (أي منتجها) هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو معروف بفصاحته وبلاغته التي فاقت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء، فكان هذا عاملاً مهماً يدفع المتلقي - أياً - كان إلى قبول النص الموجه إليه والتفاعل معه. وسنقف فيما يأتي على بعض مظاهر المقبولية في الرسائل والوصايا.



منها اتباع أسلوب كتابة الرسائل بتقديم اسم المرسِل والمرسَل إليه ((فذلك أسلوب متبع من قبل في اقتضاء التصريح بالاسم منذ عهد النبوة والرسائل التي بعثها إلى الملوك لنشر الدعوة الإسلامية، وأصبحت تلك سنة متبعة في التصريح بالاسم))[1] ويختتمها بالسلام، وهذا حاصل أيضاً حتى في الوصايا، فمنها ما تسير على آداب الرسائل وتلتزم بقيودها الموضوعة كوصيتها إلى ابنه الحسن (عليه السلام)، فعلى الرغم من طولها وضخامتها وتنوع مضامينها فإنها مقبولة عند متلقيها لإلتزامها بقواعد الكتابة فضلاً عن طبيعة لغتها التي جاءت متناسبة مع موضوعها الوعظي فقد افتتحها بقوله: «**مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ للدهر، الذّام للدنيا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً. إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ**

(١) بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٥١.

**الأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمُنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ»**[1].

نلحظ – هنا – استعمال الإمام (عليه السلام) لفظتي (الوالد، المولود) لأنه أراد أن يجعلهما موجهتين إلى عموم الناس فحقق النفع للمستقبل العام وهذا مما يشير إليه مفهوم المقبولية، وقد جعل الإمام (عليه السلام) أوصاف الوالد سبعة وأوصاف المولود أربع عشرة صفة ((لأنه المقصود بالوصيّة والموعظة))[2] واختتمها بقوله: «**اسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَالسَّلامُ**»[3]. مما يشعر المتلقي بنهاية النص واستكمال الوصيّة لكل مضامينها وكذا الحال في عهد له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لمّا ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب أمر أميرها (محمد بن أبي بكر)، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن قال فيه: «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلادِهَا**»[4].

فنجد استعمال الإمام (عليه السلام) لقب (أمير المؤمنين) الذي يحمل ((ايحاءً بأنه المسؤول الأول الذي يحمل على عاتقه هموم الرعية ومواساة فقرائها. وقوله: أمير المؤمنين إشعار بأنه هذا الشعار تكليف ينبغي اداؤه على أتم مراد وأسد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٩ (و ٣١).
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٨.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٢٢ (و ٣١).
(٤) نفسه: ١٧/ ٣٠ (ك ٥٣).

منهاج وليس منصباً يثير في النفس الشعور بالزهو والاستطالة على الناس... وهي تكشف عن عظمة ما انطوت عليه ذات علي من سمو في القدرة على الإحساس بالآخرين ومشاركتهم معاناتهم))[1].

ويختتم نص هذا الكتاب بما يشير المتلقي بالالتزام بكل ما أمر به الإمام علي (عليه السلام) بما يخص فئات المجتمع وطبقاته المختلفة بقوله: «**وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ، مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ؛ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ. إِنَّا إِلى الله راغبون، وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ**»[2]. ففيه دعاء واضح لمالك الأشتر يعكس رضا الإمام (عليه السلام) عنه مما يدفع مالك إلى تقّبل أوامر الإمام (عليه السلام) وتنفيذها لتفاعله معها.

ومن مظاهر المقبوليّة في النصوص المدروسة هو توشيح رسائله ووصاياه بالنصوص الدينية (قرآنية وأحاديث نبوية) والنصوص الأدبية (الأمثال والأشعار) وهذا ما سنتناوله في موضوع لاحق (التناص). وتتمثل مظاهر مقبولية نصوص الرسائل والوصايا أيضاً ((في تقديم عنصر جديد يفجر لدى المتلقي رغبات نحو قبول النص))[3].



(١) بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٦٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١١٧ (ك ٥٣).
(٣) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٥.

وهـذا يظهـر في توظيـف العنـاصر الموسـيقية كالسـجع المرصـع في كتـاب لـه (عليه السلام) إلى زيـاد بـن أبيـه، وهـو خليفـة عاملـه عبـد الله بـن عبـاس عـلى البـصرة وعبـد الله عامـل أمـير المؤمنـين عليهـا، وعـلى كُـورِ الأهـواز، وفَـارسَ وكَرمَـانَ، قـال فيـه: «**وَإِنِّي أُقْسِـمُ بِـالله قَسَـماً صَادِقـاً، لَئِـنْ بَلَغَنِي أَنَّـكَ خُنْتَ مِـنْ فَيْءِ الْمُسْـلِمِينَ شَـيْئاً صَغِـيراً أَوْ كَبِـيراً، لأَشُـدَّنَّ عَلَيْـكَ شَـدَّةً تَدَعُـكَ قَلِيـلَ الْوَفْـرِ، ثَقِيـلَ الظَّهْـرِ؛ ضَئِيـلَ الأَمْـرِ وَالسَّـلامُ**»[1].

٣٥٨

فالنـص قصـير جـداً، تحتشـد الشـدة في عباراتـه وألفاظـه لتفيـد غـرض التوبيخ والتهديـد، موشـحاً ذلـك بأسـاليب التوكيـد (القسـم، إنّ، الـلام، نـون التوكيـد الثقيلـة، التكـرار) ولإضافـة غـرض الإثـارة جـاء السـجع المرصّـع بـين (قليـل الوفـر، ثقيـل الظهـر، ضئيـل الأمـر)، الـذي كان لـه أثـر في اسـتقبال النـص عنـد المتلقـي وتقبلـه. وقـد تحصـل مقبوليـة النـص مـن خـلال التميـز والتفـرد الإسـلوبي وهـذا يظهـر جليـاً في كتـاب لـه (عليه السلام) إلى عبـد الله بـن العبـاس بعـد مقتـل محمـد بـن أبي بكـر: «**أَمَّـا بَعْـدُ فَـإِنَّ مِـصْرَ قَـدِ افْتُتِحَـتْ، وَمُحَمَّـدُ بْـنُ أَبِي بَكْـرٍ رَحِمَـهُ اللهُ قَـدِ اسْتُشْـهِدَ، فَعِنْـدَ الله نَحْتَسِـبُهُ وَلَـداً نَاصِحـاً، وَعَامِـلاً كَادِحـاً، وَسَـيْفاً قَاطِعـاً، وَرُكْنـاً دَافِعـاً. وَقَـدْ كُنْـتُ حَثَثْـتُ النَّـاسَ عَـلَى لَحَاقِـهِ، وَأَمَرْتُهُـمْ بِغِيَاثِـهِ قَبْـلَ الْوَقْعَـةِ، وَدَعَوْتُهُـمْ سِرّاً وَجَهْـراً، وَعَـوْداً وَبَـدْءاً، فَمِنْهُـمُ الآتِي كَارِهـاً، وَمِنْهُـمُ الْمُعْتَـلُّ كَاذِبـاً، وَمِنْهُـمُ الْقَاعِـدُ خَـاذِلاً. أَسْـأَلُ اللهَ تَعَـالَى أَنْ يَجْعَـلَ لِي مِنْهُـمْ فَرَجـاً عَاجِـلاً؛ فَـوَ الله لَـوْ لا طَمَعِـي عِنْـدَ لِقَائِـي عَـدُوِّي فِي الشَّـهَادَةِ، وَتَوْطِينِـي نَفْـسِي عَـلَى الْمَنِيَّـةِ، لأَحْبَبْـتُ أَلا أَبْقَـى مَـعَ هَـؤُلاءِ يَوْمـاً وَاحِـداً، وَلا أَلْتَقِـيَ بِهِـمْ أَبَـداً**»[2].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٨ (ك ٢٠).
(٢) نفسه: ١٦/ ١٤٥ (ك ٣٥).

إذ يبرز لنا التميز والتفرد الأسلوبي في اختتام نهايات الجمل والتراكيب بأسماء منصوبة تمثل مواقع إعرابية متنوعة، فهي أما صفات تتمثل في (ناصحاً ، كادحاً ، قاطعاً ، دافعاً)، أو أحوال كما في (سراً، عوداً، كارهاً، كاذباً، خاذلاً)، أو معطوف عليه كما في (جهراً وبدءاً)، أو تمييز كما في قوله (واحداً) او ظرف كما في قوله (أبداً). وقد أثار بناء النص على هذه الصورة إعجاب بعض الشراح، فهذا ابن أبي الحديد يقول: ((وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه؛ سلسة سهلة، تتدفق من غير تعسّف ولا تكلّف... وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة، جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بيّن، وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن... ثم إن فواصل كلّ واحد منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلّفية، ثم أنظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل، كيف قال: ((ولداً ناصحاً)) و ((عاملاً كادحاً)) و ((سيفاً قاطعاً)) و ((ركناً دافعاً))، لو قال: ((ولداً كادحاً)) و (عاملاً ناصحاً)) وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعاً، فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة))[1].

فضلاً عمّا تقدّم قد يصرح المتلقي بموقفه وتقييمه للنص مثلما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٤٥-١٤٦.

كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»[1].

يدور النص حول موضوع الوعظ الديني، فنلحظ لين العبارات وسهولتها، فليس فيها تقريع أو تهديد، مما له أثر في توغل معناه في نفس المتلقي، وجعله مقبولاً لديه.



يتضح ممّا تقدم أنّ معيار المقبولية يتحقق من خلال أثر شخصية منتج النص في نصه، فضلاً عن طبيعة النص وصياغته وموضوعه مما يدفع المتلقي إلى الاستجابة والقبول حتى وإن كان النص يحمل بين طياته نغمة التوبيخ والاستهزاء والتقريع والنقد لشخصية المتلقي.

**ثالثاً: الإعلاميـــة.**

تعد الإعلامية المعيار الخامس من المعايير النصية، ويعرفها (دي بوجراند) بأنها ((العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم Uncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textual في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))[2]. فالإعلاميّة تتعلق

(١) نفسه: ١٥/ ١٤٠ (ك ٢٢).

(٢) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.

((بمدى (توقع / عدم توقع) أو (معرفة / عدم معرفة) العناصر (الوقائع) التي يقدمها النص، ويقصد بذلك المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإن كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقل إعلاميّة، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإنه يوصف بأنه أكثر إعلامية وهذا يعني أن المعلومة الجديدة، إذا قدّمت للمتلقي فإن النص يكون أقل إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي فإن النص يكون أكثر إعلامية))[1].



وتقول الدكتورة إلهام أبو غزالة ((إن لكل نص حظّهُ من الإعلاميّة فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بحذافيرها ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان))[2]. وقد اختلف بعض الباحثين والدارسين في وضع المصطلح العربي المقابل لـــ (Informativity)، وكما موضح في الجدول الآتي:

(١) الدلالة والنحو: ٢٣١، ينظر: نظرية علم النص: ٦٦.

(٢) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٣٣.

| المقابل العربي | اسم الباحث أو الدارس | الموضع |
|---|---|---|
| الإخبارية | • د. أحمد عفيفي<br>• أحمد محمد عبد الراضي<br>• الأزهر الزناد<br>• اشرف عبد البديع عبد الكريم<br>• بشير إبرير<br>• د. سعيد حسن<br>• ليندة قياس<br>• محمد يحياتن<br>• محمد عزام<br>• هناء محمود اسماعيل | نحو النص: ٨٦.<br>نحو النص بين الأصالة والحداثة: ٩٦.<br>نسيج النص: ١٥.<br>الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: ٧٦.<br>من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.<br>اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٨.<br>لسانيات النص: ٢٤.<br>المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٨.<br>النص الغائب: ٥٠.<br>النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٦٦. |
| الإعلامية | • د. أحمد عفيفي.<br>• أحمد محمد عبد الراضي<br>• إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد<br>• تمّام حسّان<br>• جبار سويس الذهبي<br>• حسام أحمد فرج<br>• سعد مصلوح<br>• شريفة بلحوت<br>• صلاح حسنين<br>• عبد الخالق فرحان شاهين<br>• عثمان أبو زنيد<br>• عزة شبل<br>• ليندة قياس | نحو النص: ٨٦.<br>نحو النص بين الأصالة والحداثة: ٩٦.<br>مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.<br>النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.<br>الاتساق في العربية: ٢٨.<br>نظرية علم النص: ٦٦.<br>نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤.<br>الإحالة دراسة نظرية: ٩٨.<br>الدلالة والنحو: ٢٣١.<br>أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٦٤.<br>نحو النص: ٢٧.<br>علم لغة النص: ٦٨.<br>لسانيات النص: ٢٤. |
| الإفادة | • عثمان أبو زنيد | نحو النص: ٢٧. |
| المعلوماتية | • تمّام حسّان<br>• فالح شبيب العجمي<br>• د. موفق محمد جواد | اجتهادات لغوية: ٣٧٩.<br>مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤.<br>أسس لسانيات النص: ١٥٢. |



ويتبنى البحث مصطلح (الإعلامية) لكثرة استعماله بين الباحثين والدارسين. وقد حدد علماء لغة النص لمصطلح (الإعلامية) ثلاثة مفاهيم وهي[١]:

١- الإعلامية بالمعنى العام، تدل على أن أي نص لابد أنه يقدم خبراً ما، فالنصوص تشترك كلها في هذه الوظيفة.

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٦٦-٦٨، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٦٥.

٢- الإعلاميّة بمعنى الجدة وعدم التوقع، وهذا يدل على ما يجده المتلقي في النص من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.

٣- الإعلاميّة بمعنى الدعاية، إيجاباً أو سلباً لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.



وقد وصفت الإعلاميّة بالمفهومين الأول والثالث بأنها إعلاميّة منخفضة؛ لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب. أما الإعلاميّة بالمفهوم الثاني فقد وصفت بأنها إعلاميّة مرتفعة، لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[١].

وفي هذه الحالة يجب على المتلقي أن يبذل جهداً أكبر من الحالين الآخرين، بيد أنه يكون أكثر إمتاعاً. ويجب كذلك على منتج النص أن يتوخى الحذر، كي لا تنوء قدرة المتلقي بالعبء عندما يعالج جدة المعلومات إلى الحد الذي قد يتعرض فيه الاتصال إلى التشتت والانهيار[٢]، ففي الواقع أن لكل نص إعلاميته ومعلوماته التي تقدم بأي شكل من الأشكال[٣]، إلا إن ((مقدار المعلوماتية هو الذي يوجه اهتمام السامع: الحد المنخفض جداً من المعلوماتية (الابتذال، الأمور البدهية لمجموعة معينة من السامعين) تكون مللاً ويمكن أن تقود إلى رفض النص؛ أما المعلوماتية ذات الدرجة العالية (لمجموعة معينة من السامعين) فإنها تكلف الشريك من جهتها أكثر من طاقته، ويمكن أن

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٧٠.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، د. الهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ٣٣.

(٣) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨٦.

تدفعه إلى الانصراف عن مثل ذلك النص. فالمقدار المناسب من المعلوماتية في النص -المعتمد على المقصد والتوقع والموقف- يشكل بذلك عاملاً نصياً أساسياً))[1]. وبناء على ما تقدم فـ ((إن الإعلاميّة ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره))[2].

وسنتناول دراسة الإعلاميّة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة بوصفها عاملاً نصياً من جانبين: الأول: شكلي، والآخر: مضموني. ويقوم كلا الجانبين على نوع من كسر النمط المعتاد في الشكل والمحتوى. فعلى المستوى الشكلي خرجت بعض رسائل الإمام (عليه السلام) عن نمط كتابة الرسائل بذكر اسم المرسِل واسم المرسَل إليه إذ يكتفي الإمام (عليه السلام) بعبارة (أما بعدُ) وهذا يكثر في الرسائل التي فيها نوع من المخاشنة أو العتاب[3].

وقد يدخل الإمام (عليه السلام) إلى الموضوع مباشرة دون أن يذكر اسم المرسِل والمرسَل إليه أو عبارة (أما بعدُ)[4]، وذلك تبعاً لموضوع الرسالة وطبيعة المرسَل إليه والظروف السياسية، إذ كانت هذه الرسائل خير مرآة عكست كل ذلك، أضف إلى ذلك أنّ عدم ذكر (المرسِل) و (المرسَل إليه) يقود إلى القول: إنّ الإمام (عليه السلام) ربما قصد بذلك تعميم محتوى الرسائل لكي تكون



(١) مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤.

(٢) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨٦.

(٣) ينظر: الكتب والرسائل الآتية (٧، ٨، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣).

(٤) ينظر: الكتب والرسائل الآتية (٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٥٨، ٦٩، ٧٤، ٧٨).

أكثر فائدة بتعميم متلقيها وعدم اختصاصها بفرد معين سوف يؤدي إلى أن ترتقي في أكثر مضامينها إلى أن تكون أكثر من رسالة عادية لتصبح بذلك دستوراً إنسانياً واجتماعياً يعتمد عليه في بناء المجتمعات الإنسانية. فكانت هذه وسيلة لإظهار إعلامية هذه النصوص بإثارة المتلقين بخروجها عن نمط الكتابة المعروف في كتابة الرسائل في عصر صدر الإسلام. أما على مستوى محتوى النص ومضمونه ((فمصطلح الإعلاميّة يستعمل للدلالة على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع. وفي العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى والربط بين الوقائع في النص))[١]. وتظهر ملامح الجدة في نصوص الرسائل والوصايا على مستوى:

**١ـ اختيار الألفاظ ويشمل :**

**(أ) اختيار ألفاظ النص من ناحية الشكل .**

تتحصل الجدة وعدم التوقع باختيار ألفاظ غريبة، لأنّ استعمال الكلمات الغريبة يجعل النص يختلف إعلامياً وهذا الأمر يرتبط بثقافة الكاتب أو المتكلم[٢]، ((فكلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية))[٣].

من أمثلة ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة يتحدث فيه عن بني تميم: «**وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً**

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٦٨.
(٢) ينظر: نفسه: ٧٠.
(٣) نفسه: ٦٨.

**خَاصَّـةً، نَحْـنُ مَأْجُـورُونَ عَـلَى صِلَتِهَـا، وَمَـأْزُورُونَ عَـلَى قَطِيعَتِهَـا**»[1]. فاسـم المفعـول (مَـأْزُورُونَ) جـاء بالهمـز شـذوذاً عـلى غـير القيـاس لأنـه مأخـوذ مـن (الـوزر) بالـواو وهنـا حصلـت الإعلاميـة المطلوبـة في النـص بإحـداث نـوع مـن المفارقـة ففيهـا ((تبـدو الأنـماط المعروضـة مـن النـص غـير مواكبـة لأنـماط المعرفـة المختزنـة ويسـتلزم الأمـر قيـام مسـتقبلي النـص بالبحـث في الدافعيـة ... وسـبب اختيارهـا واسـتيعابها المحـدد في إطـار الاسـتمرار الـذي يؤلـف الاتصـال))[2]، فـكان أصـل (مَـأْزُورُونَ) مـوزورون إلا أنـه (عليه السلام) عـدل عـن الأصـل طلبـاً للمطابقـة الصوتيـة بـين مأجوريـن ومَأْزُوريـنَ[3] بحصـول (الجنـاس اللاحـق) الـذي كفاءتـه الإعلاميـة أعـلى مـن قولـه (مَـوزُورُونَ)، فقـد حقـق الجنـاس إثـارة أكـبر لـدى المتلقـي باشـعاره بدلالـة الثبـوت التـي أرادهـا الإمـام (عليه السلام)، وقـد حققتهـا صيغـة اسـم المفعـول، فالثـواب والعقـاب أمـران ثابتـان لا جـدال فيهما[4].

ومـن اختيـار الألفـاظ لصيغتهـا الصرفيـة التـي أثـرت كفـاءة الإعلاميـة في النـص قولـه (عليه السلام) في كتـاب إلى معاويـة جوابـاً عـن كتـاب منـه إليـه: «**وَأَمَّـا قَوْلُـكَ: إِنَّـا بَنُـو عَبْـدِ مَنَـافٍ! فَكَذَلِـكَ نَحْـنُ، وَلَكِـنْ لَيْـسَ أُمَيَّـةُ كَهَاشِـمٍ، وَلا حَـرْبٌ كَعَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ، وَلا أَبُـو سُـفْيَانَ كَأَبِي طَالِـبٍ، وَلا الْمُهَاجِـرُ كَالطَّلِيـقِ، وَلا الصَّرِيـحُ كَاللَّصِيـقِ**»[5].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٥ (ك ١٨).
(٢) مدخل إلى علم لغة النص، د. الهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ١٩٠.
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٦، منهاج البراعة: ١٨/ ٢٦٣.
(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٢٤.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٧ (ك ١٧).

استعمل الإمام (عليه السلام) كلمة (الطليق) ومعناها ((الذي أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية. وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح وهاجر تخلصاً منها))[1]، إذ دلت صيغة (فعيل) على اسم المفعول (المطلق سراحه) وهي أكثر إعلامية إذ ((يأتي اسم المفعول بصيغة (فعيل) كثيراً في رسائله لتدل على الثبوت أو معنى قريب منه))[2].



فلم يستعمل الصيغة (مطلوق) لأنها تؤدي إلى خفض مستوى الإعلامية أما صيغة (طليق)، فقد رفعت الإعلامية للأسباب الآتية: ((١- لثبات هذه الصفة عليه (معاوية). ٢- (مطلوق) يحتمل الحال والاستقبال لكن (طليق) للماضي لأنه اتصف بها كما نقول قتيل للذي قتل فعلاً. ٣- في استعمالها مراعاة للانسجام الصوتي وموسيقى النص التي من شأنها التأثير في النفس))[3] من خلال تكرار صيغة (فعيل) ثلاث مرات في النص. فضلًا عن ذلك إنّ الوصف بفعيل أبلغ وأشد من مفعول؛ لأنّ ((صيغة (مفعول) تدل على الشدة والضعف في الوصف بخلاف (فعيل) التي تفيد الشدة والمبالغة في الوصف فالمجروح جرحاً صغيراً أو بالغاً يصح أن يسمى مجروحاً ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغاً))[4].

فكان استعمال هذا الوصف أشدّ في إظهار حقيقة معاوية مهما حاول إخفاءها مما جعل إعلامية النص أقوى مما لو استعمل صيغة (مفعول)

(١) نهج البلاغة، تح: د. صبحي الصالح: ٦٧٨.
(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٢٤.
(٣) نفسه: ٢٢٥.
(٤) معاني الأبنية: ٦٢.

(مطلوق). ولذلك ذهب الدكتور عبد الكريم حسين السعداوي إلى أن الإمام (عليه السلام) ((مولع في صوغ فعيل بدلاً من مفعول))[1]. ويبدو لي أنّ الموضوع ليس متعلقاً بقضية ولع أو ميل أو رغبة بقدر كونه متعلقاً ببلاغة الخطاب وفصاحته.

**(ب) اختيار ألفاظ النص من ناحية دلالتها ومعناها.**



وهذا متحقق في ألفاظ كثيرة[2]، إذ يتم اختيارها لدعم إعلاميّة النص، وقد أشار (دي بوجراند) إلى أن ((المدى الذي تكون فيه العناصر/ المعلومات/ داخل النص/ معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها؛ فهي تمثل كفاءة إعلاميّة منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة؛ فتمثل كفاءة عالية الدرجة))[3]. ويمكن أن نمثل لذلك بالنماذج الآتية التي فيها تصوير للموضوع عن طريق الإيحاء أو الظل الذي يلقيه في الخيال.

قال الإمام علي (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَ فَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ**»[4]. جاء استعمال لفظة (اجتياح) مفيداً لرفع الكفاءة الإعلامية بدرجة أعلى مما لو كرر الإمام (عليه السلام) المادة اللغوية (أصل) بقوله: (استئصال) قياساً على ما جاء في النص نفسه (هموا، الهموم) و (فعلوا، الأفاعيل)، لكنه (عليه السلام) عدل إلى استعمال هذه اللفظة دون مرادفتها (استئصال) على الرغم من أن الأخيرة تحمل المعنى

(١) غريب نهج البلاغة، د. عبد الكريم حسين السعداوي: ٢٠١.
(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٥-٣١٧.
(٣) نظرية علم النص: ٦٦.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٤٧ (ك ٩).

نفسه. يقال: ((استأصل الله بني فلان، إذا لم يدع لهم أصلاً، واستأصله: أي قلعه من أصله، ... واستأصل القوم قطع أصلهم))[1]، أما الاجتياح فيقال فيه: ((الجوح الاستئصال من الاجتياح جاحتهم السنة جوحاً وجياحة واجاحتهم واجتاحتهم، استأصلت أموالهم))[2]. ويعود ذلك إلى أنّ ((لفظة اجتياح قوية حادة سهلة النطق جزلة في حين أن كلمة استئصال باهتة ثقيلة طويلة متعثرة))[3].



إذ تُثير هذه اللفظة بما تحمله من جرس قوي امدتها به أصواتها، في مخيلة المتلقي معاني كثيرة تدفعه لاستحضار صور ذلك الاجتياح[4] المتمثلة في إزالة الشيء من مكانه بقوة مصورة حرب قريش لرسول الله (ﷺ) والقضاء على الإسلام، لأنها نظرت إليه بوصفه ثورة تجتاح سيطرتها، وتنزع منها سلطانها، وتستأصل امتيازها بين القبائل، فجاء استعمال الإمام (عليه السلام) لها مفضلاً إياها على غيرها من الألفاظ المرادفة ((لأنه أراد التعبير عن معنى محدد لا تؤديه المفردات الأخرى))[5].

ومن الألفاظ أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي**»[6]. فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) لفظة (شدخاً) التي

(١) لسان العرب، مادة (أصل): ١/ ٣١٥.
(٢) نفسه، مادة (جوح): ٢/ ٤٠٩.
(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٥.
(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٨٦-٨٧.
(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٨٦.
(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩ (ك ١٠).

أسهمت في رفع درجة الكفاءة الإعلامية أكثر مما لو استعمل الإمام اللفظة المرادفة لها في معناها، قال ابن أبي الحديد في معناها: ((قوله عليه السلام (شدخاً)، الشّدخ كسرُ الشيء الأجوف، شدخت رأسه فانشدخ))[1].

وعليه فإن دلالة الشدخ تختص بكسر رؤوس هؤلاء الأشخاص الذين ذكرهم الإمام (عليه السلام) في نصه وهذه الدلالة تختلف عن دلالة لفظة (كسر) المرادفة لها ((لأن لفظة شدخاً هي التي تعبر عمّا يريده الإمام في هذا الموضوع تهديداً وتخويفاً نلمسها فيها بدقة وقوة، بينما يأتي مترادفها كسراً عاماً هين الوقع))[2]، فأراد الإمام أن يخبر معاوية بحقيقة مهمة ((وهي أنّ جد وخال وأخا معاوية قتلوا في معركة بدر وأنّ جماجمهم كانت فارغة من العقل والتفكير السليم))[3]. لأنهم لو كانوا خلاف ذلك لقبلوا الدعوة الإسلامية، ولم يتجندوا لقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكأنه يريد أن يخبر معاوية أنّ ما ذكره في رسالته التي أرسلها إليه هو عبارة ((عن مدّعيات خاوية دون إسنادها بالمدارك التاريخية، بينما نرى الإمام (عليه السلام) أخذ معاوية إلى الماضي من صدر الإسلام وبيّن له سوابقه التاريخية في معركة بدر وأنه هو علي بن أبي طالب الذي قتل جدّه وأخاه وخاله))[4].

فكان اختيار الإمام (عليه السلام) للألفاظ ذات الجرس الموسيقي الموحي بالمعنى؛ إذ جاءت معبّرة أصدق تعبير عن همومه الشخصية إزاء ما رافقه

(١) نفسه: ١٥/ ٨٣.
(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٦.
(٣) نفحات الولاية: ٩/ ١٢٦.
(٤) نفسه: ٩/ ١٢٧.

من أحداث، فقد اختار أقواها إثارة وأكثرها إيحاءً وأوضحها دلالة وأجملها تصويراً وأحسنها نسقاً إلى جانب ذلك كان اختيار الألفاظ المترادفة في النص يزيد من الكفاءة الإعلامية في النص ما لو استعمل اللفظ المكرر نفسه. وقد سبق تناول هذا بالتفصيل في موضوع الاتساق المعجمي من الفصل الأول، إذ تنبّه مستقبلو النص إلى عدول صاحب النص من ذكر المادة اللغوية نفسها إلى ذكر مرادفها، وهذا العدول يضفي قوة تعبيرية في النص.



**٢ـ ملامح الجدة على المستوى النحوي .**

قد تبرز الإعلامية في نص ما نتيجة ترتيب الألفاظ فيه إذ ((يستند إلى أساليب ترتيب التتاليات بحسب إعلامية العناصر أو مجموعات العناصر))[١]، وهذا يكون في مظهرين:

الأول: في دراسة أثر التنغيم في الاتساق الصوتي، ولا سيما في خروج الاستفهام إلى أغراض مجازية؛ ((فقد أطر التنغيم الصاعد خروج الاستفهام إلى معنى الاستبعاد والافتخار، والأمر، والتأكيد والتبكيت، والتحذير، والتخصيص، والتذكير، والتشويق، والتعجب، والتعظيم والتفخيم، والتقرير، والتنبيه، والتهديد، والتهويل، والنفي، والنهي، والوعيد. في حين كانت النغمة الهابطة تصحب خروج الاستفهام إلى معنى الاستبطاء، والاسترشاد، والاكتفاء، والإنكار، والاياس، والإيناس، والتجاهل، والتحقير، والتفجع، والتكثير، والتمني، والتهكم، والتوبيخ، والدعاء، والعتاب))[٢].

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ١٩٥.

(٢) المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء، التمكين، التوجيه): ٩٠.

أما من ناحية تحقق الإعلاميّة فإنّ ((العناصر ذات الإعلاميّة المرتفعة تنزع إلى الظهور عند نهاية التركيب وإلى الحظوة بطبقة صوتية مرتفعة وفي المقابل تميل العناصر ذات الإعلاميّة المنخفضة إلى الظهور عند بدايات التراكيب وإلى أن تكون لها طبقة صوت منخفضة))[1].

وقد سبق دراسة نصوص من الرسائل والوصايا مما يغني عن الإعادة -هنا- وهذا يشعرنا أن تحقق بعض المعايير النصية (ولا سيما الاتساق والانسجام) يقودنا إلى تحقق غيرها (الإعلاميّة). الآخر: تعدد التأويلات النحوية، يعمل تعدد التأويلات النحوية على إبراز معيار الإعلامية فكلما ((زاد عدد البدائل الممكنة في لحظة ما، ارتفعت القيمة الإعلامية لاستعمال واحد منها، وأكثر الطرق ضبطاً لتحديد البدائل الممكنة الظهور عندها. هي إجراء مسح للتتاليات المتيسرة في اللغة))[2]. وقد تحقق هذا المظهر في أربع مواضع فقط[3].

ومما تعدد فيه التأويل النحوي قوله (عليه السلام) في كتاب كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: «**وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ**»[4]. لو وقفنا عند التأويلات التي أدارها الشراح والنحويون لوجدنا أن لكل تأويل دلالة

(١) مدخل إلى علم النص: ١٩٥.

(٢) نفسه: ١٨٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٨٣، ١٠٦، (ك ٥٣)، ١٤١ (ك ٥٨)، ١٨/ ٣٠ (ك ٦٧).

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤١ (ك ٥٨).

نحوية تؤدي إلى مقصد معنوي؛ لأن المعنى ((يتبع (الموقع)، ويتغير بتغيره، فتعدّد التأويلات النحوية يؤدي إلى تعدّد المعاني الدلالية))[١].

فمن يُمعن النظر في هذا النص يجد فيه موضعاً جعله الشراح صعباً بمّا فرّعوا له من تأويلات، فصار كل تأويل يؤدي إلى معنى نحوي يختلف عن التأويل الآخر وهذه التأويلات ذكرها ابن أبي الحديد في قوله: ((قال قوم: الراكس هنا بمعنى المركوس، فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول، كقوله تعالى: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾[٢] أي مرضية، وعندي أنّ اللفظة على بابها، يعني أن من لجّ فقد ركس نفسه، فهو الراكس وهو المركوس، يقال: ركسه وأركسه بمعنىً، والكتاب العزيز جاء بالهمزة فقال: ﴿**وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا**﴾[٣]، أي ردّهم إلى كفرهم))[٤].

وأول تأويل (راكس) بمعنى (مركوس) فقد أوّل استعمال اللفظة على أساس المجاز، فهو مجاز عقلي علاقته المفعولية والدليل الاستعمال القرآني في راضية بمعنى مرضية، أما الفاعل فلا يكون غير لفظ الجلالة (الله) بقرينة (ران الله)، ولا يجوز أن يكون (نفسه) فاعلاً؛ لأن فاعل المبني للمجهول ينبغي أن يكون خارجياً لا داخلياً.

أما التأويل الآخر فهو يمثل رأي ابن أبي الحديد في أن استعمال (راكس) على الحقيقة وهو اسم فاعل بمعنى (طارد) نفسه ... أو (رادٌ) نفسه إلى الكفر،

(١) غريب نهج البلاغة: ٢٥١.
(٢) القارعة: ٧.
(٣) النساء: ٨٨.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤٣.

وهو (مركوس)، فكلاهما (راكس) و (مركوس) من (رَكَسَ)، ولا يمكن أن نرفض هذه الآراء لأنهّا مقبولة نحوياً وأسلوبياً، ولكن نريد أن نحاكم مدى الكفاءة الإعلامية لكل رأي من الآراء، إذ نرى أن الرأي الأول يمثل الكفاءة الإعلامية المرتفعة، لأن ((عادية الأسلوب تساعد المرء على المعالجة السهلة في حين يؤدي الخروج على المألوف إلى جعل المعالجة تصبح تحدياً مثيراً))[1] فالاستعمال المجازي يثير المتلقي على نحو أكثر من الاستعمال الحقيقي وعليه تكون إعلاميته أعلى كذلك اختلاف المؤلين مع أن الموضع واحد يجعلنا ندرك مدى حيوية النص وقبوله القراءات المتنوعة، لأن الدلالة في كل تأويل تختلف عن الدلالة في التأويل الآخر.



ولو عدّنا إلى النص العلوي في قوله: ((وران الله على قلبه)) فإن الفاعل لفظ الجلالة مذكور. أما قول ابن أبي الحديد: ((وران على قلبه، أي رانَ هو على قلبه، كما قلنا في الرّاكس؛ وقد يجوز أن يكون الفاعل - وهو الله - محذوفاً، لأنّ الفاعل لا يحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف، وليس بمحذوف، ويكون المصدر وهو الرّين، دل الفعل عليه كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ**﴾[2] أي بدا لهم البداء. وران بمعنى غلب وغطى))[3]. أي إنّه يفترض أن يكون الإمام (عليه السلام) قد قال: (ران على قلبه) فيضع تساؤلاً مفاده هل أن الفاعل هنا محذوف؟! ثم يبدأ بالإجابة بأن الفاعل لا يحذف أطلاقاً بل على ثلاثة احتمالات:

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ١٨٧، وينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٦٩.

(٢) يوسف: ٣٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٤٣.

١- مضمر ويقدر بلفظ الجلالة (الله).

٢- مضمر ويقدر بـــ (هو) يعود على (نفسه) كما في (راكس).

٣- كالمحذوف ويقدر بمصدر للفعل كما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ**﴾، أي ران الرينُ على قلوبهم... هذا ما يبدو لي، لكن إذا عدنا إلى النص نفسه كما ذكره الإمام (عليه السلام) (ران الله على قلبه) أعلى مستوى للإعلامية لأنه ما ((اسند إليه صراحة يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه))[١]. يليه في الإعلامية الاحتمال الأول فإعلاميته أعلى من الاحتمالين الآخرين.



ومن تعدد التأويلات النحوية قوله (عليه السلام) في كتاب له كتبه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: «**وَلا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلا لِسَانُكَ، وَلا حَاجِبٌ إِلا وَجْهُكَ**»[٢]. ينهى الإمام (عليه السلام) عامله عن توسط السفراء والحجاب بينه وبين الناس، بل ينبغي أن يكون لسانه سفيره ووجهه حاجبه.

ولو نظرنا إلى التأويلات التي يتضمنها قول الإمام (عليه السلام)، نجد اختلاف الشراح والنحويين في إعراب النص وتأويل هذا الإعراب، ويظهر لنا هذا في ما ذكره ابن أبي الحديد في قوله: ((وروي (ولا يكن إلا لسانك سفيراً لك إلى الناس) بجعل (لسانك) اسم كان مثل قوله: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾[٣] والرواية الأولى هي المشهورة، وهو أن يكون (سفيراً) اسم كان، و (لك) خبرها، ولا يصح ما قاله الرواندي: إنّ خبرها (إلى الناس)، لأنّ (إلى) ها هنا متعلقة

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي: ٨٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٠ (ك ٦٧).
(٣) النمل: ٥٦.

بنفس (سفير)، فلا يجوز أن تكون الخبر عن (سفير)، تقول: سفرتُ إلى بني فلان في الصّلح، وإذا تعلق حرف الجر بالكلمة صار كالشيء الواحد))[1].

وسوف نقف عند الرواية المعتمدة في النهج وهي (ولا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلاّ لسانك، ولا حاجبٌ إلا وجهك)) فرأي ابن أبي الحديد هو الأصح وحجته في ذلك أقوى لأن (إلى) متعلق بـ (سفير) على معنى (مسافر) أو (ذاهب). وأن (لك) خبر مقدم و (لسانك) منصوب على الاستثناء. أما الرواية الثانية فهي (ولا يكن إلا لسانك سفيراً لك إلى الناس).



هذه الرواية يبدو أنها ضعيفة لأن حكم اسم كان وخبرها حكم المبتدأ والخبر من حيث التقديم والتأخير، وإذا كان حكم المبتدأ المحصور بـ (إلاّ) وجوب التأخير فإن (اسم كان) هنا يجب تأخيره[2] فالأصح أن يقول ((ولا يكن سفيراً لك إلى الناس إلا لسانك)) كما في قوله تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾ ينصب (جواب).

وإذا صحت العبارة على رأي من يجيز تقدم الاسم المحصور فإن الإعراب كالآتي:

لا: ناهية.

يكن: فعل مضارع ناقص مجزوم علامة جزمه السكون.

إلاّ: أداة استثناء مفرغ.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣١.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل: ١/ ٢٢٦، الجملة الإسمية، علي أبو المكارم: ٥٦.

لسانك: اسم كان مرفوع.

سفيراً: خبرها منصوب.

لك: جار ومجرور وشبه الجملة نعت.

إلى الناس: جار ومجرور متعلقان بـــ (سفير).



أما ما ذكره ابن أبي الحديد عن رأي الراوندي إن كان كما هو فهو على حق في تخطئته لأن (إلى الناس) متعلق بسفير، وقد يكون كلام الراوندي (الجار والمجرور) وفسره الشارح بـ (إلى الناس)، هذا كل ما بدا لي من رأي الشارح.

أما أكثر هذه الروايات إعلاميّة فهي الأقوى في الإشارة إلى المعنى والتي سارت وفاقاً للقواعد النحوية التي أسهمت في إبراز المعنى المقصود من النص وايضاحه عند المتلقي. مما تقدم يتضح لنا أن معيار الإعلاميّة يظهر على نحو بارز في النصوص التي تقدم مجموعة من الاحتمالات والبدائل وفي الوقت نفسه ترجح كفة أحد الاحتمالات أو البدائل لأنه أقوى في إبراز المعنى وإظهاره ومن ثَمَّ أدت إلى بيان مقصد الإمام من النص.

**٣ـ الجدة في محتوى النص والربط بين الوقائع .**

من المعلوم أن مصطلح الإعلاميّة يستعمل ((للدلالة على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع. وفي العادة تطبيق هذه الفكرة على المحتوى والربط بين الوقائع في النص))[1]. وهذا المستوى يظهر في النموذجين الآتيين:

(١) علم لغة النص: د. عزة شبل: ٦٨.

النموذج الأول: قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: «**وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ؛ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ؛ وَلا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا**»[1].

تظهر ملامح الإعلاميّة في قوله: «**لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ**»، إذ تتمثل الإعلاميّة في الجدة التي يمثلها اختيار المحتوى أو الفكرة الأساس، وكيفية التعبير عن هذا المحتوى وتتجلى المفارقة التي يبينها استعمال الكلمات المتناقضة في النص (تذم × فمدحت) (تفضح × فافتضحت فيمثل التحول من ((النقيض إلى النقيض درجة عالية من درجات الإعلامية... وكلما ازداد التناقض ازدادت إعلامية النص))[2].

فالمخالفة بين (تذم) و (مدحت) تناقضية المعنى، كما قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه: ((الذمّ: نقيض المدح))[3] ودلّ التناقض على جهل معاوية بالأمور السياسية، فلم يفرق بين ما فيه ذم لعدوه مما فيه مدح له.

فكان توظيف التناقض دليلاً قدّمه الإمام (عليه السلام) للإخبار بخواء إدعاءات معاوية وضحالة فكره لأنها لا تستند إلى دلائل قوية ((ذلك بأنّ الذي يذم حقاً هو الظالم الغاصب أمثالك يا معاوية أما المظلوم فالله وليه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).
(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٧١.
(٣) لسان العرب، مادة (ذمم): ٦/ ٤٣.

ونصيره وعلى منطقك هذا ينبغي أن تمدح أباك وتذم الرسول الأعظم (ﷺ) -استغفر الله- لأنه عانى الكثير من أبيك أبي سفيان))[1].

والتناقض الآخر بين أن (تفضح وافتضحت) وقد أعانت الصيغة الصرفية للفعل (افتضحت) الدالة على المطاوعة[2] على إظهار هذا المعنى وعلى رأي أن صيغة المبني للمجهول ما هي إلا صيغة مطاوعة[3] غيّرت حال معاوية بكونه مفضوحاً لا فاضحاً فالتناقض إذن حاصل بين اسمي الفاعل والمفعول (فاضح ومفضوح)، وهذا كله يشير إلى أمرين ((أولاً: تعترف بأنني وقعت مظلوماً وأن الآخرين ظلموا حقيّ في هذا المجال، فهذا يمثل مدحاً لي وذماً للظالمين، وثانياً: أنك أثبت أن خلافتهم لم تكن بإجماع الصحابة.

في حين أنك تدافع عن مثل هذه الخلافة وقلت: إن الخليفة الأول أقرب إلى الله من الجميع وأعلى مكاناً، فكيف يمكن ذلك في حين أنه أرتكب ظلماً بحق أول مسلم وأقرب الناس للنبي الأكرم (ﷺ) وأعلمهم بدينه وأشدهم دفاعاً عن رسالته))[4]. وهكذا استطاع الإمام (عليه السلام) أن يخبر معاوية وكل من يشكك بأحقيته بالخلافة، فالإعلاميّة تحققت بعدم ذكر كل هذه التفاصيل في النص، ليستنتجها العقل، وبذلك أصبح النص ذا إعلاميّة عالية.

النموذج الثاني: ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ**

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٥/ ١٧٤- ١٧٥.
(٢) ينظر: المطاوعة حقيقتها وأوزانها (بحث منشور)، د. هاشم طه شلاش: ١٥٩.
(٣) ينظر: نفسه: ١٤٩.
(٤) نفحات الولاية: ٩/ ٣٧٤-٣٧٥.

**الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا**»[1]. حريٌّ بمصطلح الإعلاميّة أن يدل على ناحية الجدة التي توصف بها المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال في نص ما[2]، لأنّ الإعلاميّة ((تشتمل على عامل الجدة))[3].

وتظهر الجدة في النص المعروض الذي جاء كلامه فيه (عليه السلام) من موقع التأكيد على شجاعته فلم (يسمع بمثل هذا الكلام من أي شخص قبل ذلك، ومعلوم أن الإمام علي (عليه السلام) لا يتحدث بذلك من موقع المبالغة بل إن ما يقوله هو عين الواقع، وقد أثبت هذه الحقيقة في ميادين الجهاد والقتال ضد قوى الشرك والباطل ... إلى درجة أنّه لقّب بكونه ((كرّار غير فرّار))[4].

لقد استند الإمام (عليه السلام) في كلامه على حقائق تاريخية مع أنه لم يصرح بها إلا إنّ المتلقي يمكن أن يقرأ التاريخ الإسلامي ليعرف هذه الحقيقة، ففي معارك بدر والخندق والغزوات الأخرى كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الذي واجه الأعداء ولم يتردد أو يرتعب من كثرتهم وتظافرهم عليه، فالإعلاميّة تحققت بعدم ذكر كل هذه التفاصيل في النص، ليستنتجها العقل وبذلك أصبح ذا إعلامية مرتفعة لجدة مضمونه.

مما تقدم يتضح لنا أنّ الإعلاميّة هي مدى الجدة أو عدم التوقع في المواد المعروضة وأن ضوابطها لابد أن تكون عاملاً مهماً لدى تحديد استعمال خيارات خاصة في جميع أنواع السياقات ولدى منح الدافعية لهذا الاستعمال.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٩ (ك٤٥).
(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٤٩.
(٣) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ١٢.
(٤) نفحات الولاية: ١٠/ ١٦٤.

دون غيره من الاستعمالات المحتملة التي تعمل على خفض درجة الكفاءة الإعلاميّة، بينما يؤدي الاستعمال المطلوب إلى رفع درجة الكفاءة الإعلاميّة لدى المتلقي.

# المبحث الثاني

## المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية

من المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية للنص (السياق والتناص) وفيما يأتي عرض لدراسة تفصيلية لهذين المفهومين وبيان تأثيرهما على نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

**أولاً: السياق.**

لقد عنى علماء العربية القدماء بالسياق وأطلقوا عليه المقام أو مقتضى الحال في ضوء مقالتهم الشهيرة ((لكل مقام مقال))[1] التي عُدّت مثلًا سائراً، وهذا ما صاغه (مالينوفسكي) تحت عنوان (Context of Situation)[2]، يقول القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ) في منهاج البلغاء: ((وأحسن مواقع التخييل: أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارة في التهاني، والأمور المفجعة في المراثي. فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخييل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه...، ويحسن موقع التخييل من النفس، أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثّر النفس لمقتضى الكلام))[3].

(١) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦١.

(٢) ينظر: نفسه: ١٦١.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠.

أما اللغويون المحدثون فقد أولوا السياق وأثره في تحديد المعنى عناية كبيرة، ومن أهم المدارس التي أهتمت به المدرسة الإنكليزية بزعامة (فيرث)، التي قامت على أساس المعنى، إذ صرّح (فيرث): ((بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها)))[١].

وخلص (فيرث) إلى أنّ تحديد المعنى يتوقف على الشروط الآتية[٢]:

١- تحليل السياق اللغوي (Verbal Context) صوتياً وصرفياً ونحوياً و معجمياً.

٢- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.

٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية.

٤- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

فهذه الشروط تؤكد بقوة أن المعنى متصل بالسياق اتصالاً كبيراً، إذ يتعذر الفصل بينهما ولا يتصور أحدهما والآخر ليس متلبساً به[٣]. وفيما يأتي دراسة لخصائص السياق وضروبه في الرسائل والوصايا.

---

(١) علم الدلالة: ٦٨-٦٩.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ٧٠، الكلمة، دراسة لغويّة معجميّة: ١٥٨.

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١١٧.

**ـ السياق وخصائصه.**

يرى (براون ويول) أن السياق يعد من أهم مبادئ الانسجام؛ لأنه يتحتم على ((محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب))[١]. فالسياق لديهما يشمل كلًا من (المتكلم/ الكاتب) و (السامع/ القارئ) و (الزمان والمكان)[٢]. إذن هما يقصدان السياق المقامي المادي الذي ينشأ فيه الخطاب ويلعب أثراً مهماً في تحقيق الانسجام؛ لأنه ((يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين ذا تأويلين مختلفين))[٣].

ويشير (هايمز) إلى أثر السياق في الفهم بكونه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود[٤]. ويذكر أن للسياق خصائص واقترح تصنيفها في ضوء العناصر الآتية:

(( - المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

- المتلقي: وهو السامع أو القارئ الذي يتلقى القول.

- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

---

(١) تحليل الخطاب: ٣٥، وينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٢.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب: ٣٥، لسانيات النص: ٥٢.

(٣) أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٥٩.

(٤) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: ٦٥.

- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين من إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه....

- القناة: كيف تمّ التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة ....



- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة هي جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية ....

- المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة شرحاً مثيراً للعواطف....

- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي))[1].

فهذه الخصائص تسهل على الدارس عملية تحليل النصوص المختلفة، فكلما زادت معرفة المحلل أو الدارس بها زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله؛ لأن ((النص المنجز لا يتم تحليله لغوياً إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، إنه باختصار شديد كائن حيّ يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٣.

يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص بل ويوجدها))[1]، فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى النص فـ ((النص والسياق يكمل أحدهما الآخر))[2] وبانعدام السياق يفقد النص انسجامه، ومن ثم يفقد نصيته.

إن التأمل في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه يجعلنا نتلمس خصائص السياق فيها، والغاية من ذلك إظهار مدى التأثير المتبادل بين السياق وبين النص، بما يفسر لنا ذلك النص بشكل موضوعي. عموماً تشترك نصوص الرسائل والوصايا بأنّ المرسِل هو (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام))، إما المرسَل إليه (المتلقي)، فهو طرف مهم في تماسك النص ((فلا نتصور وجود نص ما مالم يكن هناك متلق له وإلا فقد النص مضمونه))[3]، فالمتلقي هو الذي يحكم على ترابط النص وتماسكه، وعليه تنوعت نصوص الرسائل والوصايا بتنوع المرسَل إليه، الذي برز على نمطين: الأول: مرسَل إليه خاص (محدد)، والآخر: مرسَل إليه عام (غير محدد)، وكما موضح فيما يأتي:



## أولاً: المرسَل إليه في نصوص الرسائل .

### (أ) المرسَل إليه (الخاص) في نصوص الرسائل :

(١) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٤٧.
(٢) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ٢١٨.
(٣) الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته: ٣١٢.

| المرسَل إليه | رقم الرسالة | المرسَل إليه | رقم الرسالة |
|---|---|---|---|
| - معاوية | ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٧٣، ٧٥ | - عمر بن ابي سلمة | ٤٢ |
| -عبد الله بن العباس | ١٨، ٢٢، ٦٦، ٧٢، ٧٦ | -مصقلة بن هبيرة | ٤٣ |
| - زياد بن أبيه | ٢٠، ٢١، ٤٤ | -عثمان بن حنيف | ٤٥ |
| -محمد ابن أبي بكر | ٢٧، ٣٤ | -الأشتر النخعي | ٥٣ |
| -قثم بن العباس | ٣٣، ٦٧ | - طلحة والزبير | ٥٤ |
| -أبو موسى الأشعري | ٦٣، ٧٨ | -الأسود بن قصبة | ٥٩ |
| -شريح بن الحارث | ٣ | -كميل بن زياد | ٦١ |
| -أشعث بن قيس | ٥ | -سلمان الفارسي | ٦٨ |
| -جرير بن عبد الله | ٨ | -الحارث الهمذاني | ٦٩ |
| -عقيل بن أبي طالب | ٣٦ | -سهل بن حنيف الأنصاري | ٧٠ |
| -عمرو بن العاص | ٣٩ | | |



**(ب) المرسَل إليه (العام) في نصوص الرسائل:**

وينقسم على ثلاثة أقسام هي: الأمصار، العمل، الأمراء، وكما موضح فيما يأتي:

| الأمصار | رقم الرسالة | العمال | رقم الرسالة | الأمراء | رقم الرسالة |
|---|---|---|---|---|---|
| -أهل الكوفة | ١، ٢، ٥٧ | -بعض عماله | ١٩، ٢٦، ٤٠، ٤١، ٤٦ | - أمراء الجيش | ٤، ١٣، ٥٠ |
| -مصر | ٣٨، ٦٢ | | | -أمراء البلاد | ٥٢ |
| -أهل البصرة | ٢٩ | -عماله على الخراج | ٥١ | -أمراء الأجناد | ٧٩ |
| -أهل الأمصار | ٥٨ | -العمال الذين بطأ الجيش عملهم | ٦٠ | | |
| -ربيعة واليمن | ٧٤ | | | | |

## ثانياً: المرسَل إليه في نصوص الوصايا .

**(أ) المرسَل إليه (الخاص) في نصوص الوصايا :**

| المرسَل إليه | رقم الوصية | المرسَل إليه | رقم الوصية |
|---|---|---|---|
| -عبد الله بن العباس | ٧٦، ٧٧ | -الإمامين الحسن والحسن (عليهما السلام) | ٤٧ |
| -معقل بن قيس | ١٢ | -شريح بن هاني | ٥٦ |
| -الإمام الحسن (عليه السلام) | ٣١ | | |

**(ب) المرسَل إليه (العام) في نصوص الوصايا.**



وينقسم على أربعة أقسام: الجيش والعسكر، الأبناء والأهل، الأصحاب، العمال. وكما موضح فيما يأتي:

| المرسَل إليه | رقم الوصية | المرسَل إليه | رقم الوصية |
|---|---|---|---|
| -الجيش والعسكر | ١١، ١٤ | -أصحابه | ١٦ |
| -ابناءه وأهله | ٢٣، ٢٤ | -عامله على الصدقات | ٢٥ |

إنّ للمتلقي (المرسَل إليه) اثراً أساسياً في الحكم على تماسك النص، إذ هو أحد أركان التحليل النصي، ((فهو القراءة الثانية للنص. ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعد حواراً قائماً بين قائل النص والنص والمتلقي))[1].

وقد تنبه علماء النص لدور المتلقي في الحكم على النص، ولم يعدوه مجرد مستهلك، بل عُدّ بمثابة المشارك في النص ((وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف، فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا

(١) علم اللغة النصي: ١/ ١١٠.

يقل عن دور المنتج))[1]. فالذي يحكم على قيمة النص، هو المتلقي الذي استوعب قراءة هذا النص. وهذا يعني أن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع لأن النص لم ينشأ إلا من أجله، وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة النص إلا من خلال تداخل القارئ معه ((بل إن المبدع يخلق عملاً ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي... محكم الربط والبناء، ومهيأ لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ))[2]، ولهذا لا بدّ من أن ندرك أثر المتلقي، إذ إن النص لا يتحقق وجوده إلا به ففي نصوص الرسائل والوصايا نجد أن المتلقي يدرك الأسلوب العلوي، والسياق الذي أنتج فيه قصد فك شفراته أو على الأقل الاقتراب من معناه، وبذلك يكشف الكيفية التي تماسك بها النص، إذ إن وجوده كان من أجله.



ولعل هذا ما يلفت نظرنا إلى افتراض أن ثمة شروطاً خاصة لمتلقي (النص)، فهو لا يقوم بقراءة نص ما إلا وقد امتلك معارف وثقافات وأدوات تؤهله للقيام بهذا الدور المهم، لاسيما أن كثيراً من النصوص بحاجة إلى إحالة فكر، وتشكيل رؤيا[3]، وإمعان نظر للوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية. ومن خصائص السياق أيضاً (الحضور) ويتم أدراجهم ضمن عنصر المتلقي.

أما الموضوع فقد تنوعت موضوعات الرسائل والوصايا تبعاً لطبيعة المتلقي وشخصيته والظروف السياسية والاجتماعية وهذا ما يستشعره قارئ

(١) نفسه: ١/ ١١٠-١١١.

(٢) علم اللغة النصي: ١/ ١١٠-١١١.

(٣) ينظر: تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام: ٧٨.

النهج عموماً والرسائل والوصايا على وجه الخصوص، ((فنهج البلاغة يعج بالسلوكيات البشرية المختلفة وابعادها، ويجعل المتطلع وكأنه يرى ويتلمس الشخصية بحواسه المختلفة وكله شفق في هذا اليم العظيم الذي يرى فيه وصف الاستقرار السلوكي والتخبط السلوكي))[1]. وقد توزعت موضوعات الرسائل والوصايا على النحو الآتي:



**١- الرسائل: تنوعت موضوعات الرسائل فدارت في فلك الموضوعات الآتية:**

| الموضوع | | رقم الرسالة | عدد المرات |
|---|---|---|---|
| الوعظ والإرشاد | الوعظ الديني والاجتماعي | ٣. ٥. ١٨. ٢٢. ٢٦. ٢٧. ٤٥. ٥١. ٥٢. ٥٣. ٥٧. ٥٨. ٥٩. ٦٦. ٦٧. ٦٨. ٦٩. ٧٢. ٧٨ | ١٩ |
| | الوعظ السياسي | ١. ٤. ٨. ١٩. ٣٤. ٣٥. ٣٦. ٤٦. ٥٠. ٥٤. ٦٠. ٦١. ٦٢. ٧٥ | ١٤ |
| النقد والتعريض | | ٧. ٩. ١٠. ١٧. ٢٨. ٣٠. ٣٢. ٣٧. ٣٩. ٤٩٨. ٤٩. ٥٥. ٦٤ | ١٥ |
| التوبيخ والتقريع | | ٦. ٢١. ٣٣. ٤٠. ٤١. ٤٣. ٦٣. ٧٠. ٧١. ٧٩ | ١٠ |
| المديح | | ٢. ١٣. ٣٨. ٤٢. ٧٤ | ٥ |
| التهديد والإنذار | | ٢٠. ٢٩. ٤٤ | ٣ |

**٢- الوصايا: إن الموضوع الأساس في وصايا الإمام علي (عليه السلام) هو الوعظ والإرشاد وهو على قسمين، وكما هو موضح في الجدول الآتي:**

| اقسام الوعظ والإرشاد | رقم الوصية | عدد المرات |
|---|---|---|
| الوعظ الديني والاجتماعي | ٢٣. ٢٤. ٢٥. ٣١. ٤٧. ٥٦. ٧٦. ٧٧ | ٨ |
| الوعظ السياسي (الحربي) | ١١. ١٢. ١٤. ١٦ | ٤ |

(١) علم النفس في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٩٥.

فنلحظ أن موضوع الوعظ والإرشاد كان له النصيب الأكبر في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه سواء أكان دينياً أم اجتماعياً أم سياسياً[1]*، ولا غرابة في ذلك لأن الإمام خليفة الله على الأرض ومن الطبيعي أن يركز على ما يصلح أمر الناس في دينهم ودنياهم. وجاءت الموضوعات الأخرى متناسبة مع الوقائع والأحداث التي مرت بها حياة الإمام علي (عليه السلام) وأعمال أعدائه وحساده ومواليه.



- أما المقام: وهو زمان الحدث التواصلي ومكانه، فهما قد يكونان غير محددين في رسائل الإمام ووصاياه وقد يكونان محددين، وكما موضح في الجدول الآتي:

| نوع النص | أرقام النصوص التي فيها الزمان والمكان غير محددين | أرقام النصوص التي فيها الزمان محدد فقط | أرقام النصوص التي فيها الزمان والمكان محددان | أرقام النصوص التي فيها المكان محدد فقط |
|---|---|---|---|---|
| الرسائل | ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٣٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٨. | ٢، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ٤٥، ٥٣، ٦٣، ٦٨، ٧٩ | ٦٢، ٣٤ | ١، ٥٨ |
| الوصايا | ١١، ١٦، ٢٥ | ١٢، ٣١، ٤٧، ٥٦، ٧٦، ٧٧ | ١٤، ٢٣، ٢٤ | |

- امّا القناة: فقد تمّ التواصل بين المشاركين في الخطاب عن طريق الكتابة وهي الأكثر أو عن طريق الكلام وهذا حاصل في بعض نصوص الوصايا وهي النصوص المرقمة (١٦، ٢٣).

(١)* هذه النتيجة تتوافق مع ما ذكرته الباحثة رملة خضير مظلوم البديري، ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٣٨.

- أمّا النظام: فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) لغة سهلة واضحة، حافلة بالمعاني والأساليب البلاغية المتنوعة.

- أمّا شكل الرسائل والوصايا: فقد جاءت النصوص المدروسة متراوحة الحجم بين القصر والطول وهي تتراوح بين نصوص جدلية ووعظية ووصفية.



- المفتاح: تختزن الرسائل والوصايا مسائل مهمة جداً في التقوى، بناء الذات إدارة البلاد، نصح الأعداء وفتح المجال لهم من أجل العودة إلى طريق الحق، ومسائل أخرى تثير في نفوس المتلقين المشاعر والأحاسيس بجميع هذه المضامين.

- الغرض: إن الغرض من نصوص الرسائل والوصايا النهوض بالواقع الاجتماعي والسياسي ليس في زمن الإمام فحسب وإنما على صعيد مختلف الأزمنة والأمكنة، ولعل هذا السر في حيوية هذه النصوص وديمومتها، ومن كل هذا تبرز أهمية السياق بعده أداة من الأدوات التي تسهم في انسجام النص وفي تماسكه أيضاً، وكل هذه الخصائص تعين المحلل على التأويل والفهم إلا أنها ليست ضرورية كلها في جميع الأحداث التواصلية، فكلما كان المحلل أكثر معرفة بالخصائص كلما كان بإمكانه تأويل النص وفهمه بقدر أكبر، فنسبة معرفة الخصائص تحدد نسبة التأويل والتنبؤ.

**ـ ضروب السياق في الرسائل والوصايا .**

يقول (دي سوسير): إن الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً[١].

وقد أثرت هذه المقولة باللغويين المحدثين فدفعتهم لدراسة السياق وعلاقته بالنص من جانب وعلاقته باللغة والمعنى في إطار ما يسمى بالنظرية السياقية للمعنى من جانب آخر[٢]، فدراسة السياق وعلاقته بالنص تعني دراسة كل ما له صلة بالنص مثلاً ما يحدث الآن، الآداءات الصوتية والمرئية المصاحبة، والخلفية الثقافية للمشتركين في الخطاب وهذا يدفعنا إلى أن ننظر إلى النص على نحو موسع فهناك عوامل سياقية تؤدي إلى ظهور النص وهناك عوامل مصاحبة وقت حدوثه، وأخرى تعقبه، ومن ثم فإن أضرب السياق هي: (السياق السابق، السياق المصاحب، السياق اللاحق)[٣].

**السياق السابق**:

ينقسم السياق السابق على قسمين[٤]:

١- سياق الموقف.

٢- السياق الثقافي.

---

(١) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير: ١٤٢.
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٢٣.
(٣) ينظر: نفسه: ٢٤.
(٤) ينظر: نظرية علم النص: ٢٤-٤٢.

وفيما يأتي دراسة لكل قسم منهما وعرض تطبيقاتهما في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

**١ـ سياق الموقف[١]*.**

يطلق هذا المصطلح على ((الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة))[٢]، ويعد عالم الاجتماع (مالينوفسكي) أول من استعمل مصطلح سياق الموقف للتعبير عن الموقف أو المحيط الذي ينتج فيه النص، إذ أكد أنه من الصعب أن نفهم رسالة ما، إن لم نكن على دراسة بالإداء الصوتي والمرئي المصاحب لها[٣]، ((ويظهر ذلك في العبارات المصطلحية في الظروف الاجتماعية المعينة مثل تبادل التحية والتعزية في حال الوفاة، والنداء بالألقاب فهذه العبارات لا يمكن فصلها عن ظروفها الاجتماعية التي أتت فيها))[٤]، إذ إنّ ((ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبات ظرفية، يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية))[٥]، وقد أشار علماء النص إلى محورين مهمين في حديثهم عن سياق الموقف، هما مجال الخطاب، وأدوار الخطاب[٦].



(١)* لقد أطلق علماء النص على سياق الموقف تسمية (المقامية أو الموقفية) التي هي أحد المعايير النصيّة السبعة.

(٢) علم الدلالة: ٧١.

(٣) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢، نظرية علم النص: ٢٤-٢٥.

(٤) في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، شرف الدين علي الراجحي: ١٣٦.

(٥) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦٢.

(٦) ينظر: نظرية علم النص: ٢٥.

**(أ) مجال الخطاب.**

يشير مجال الخطاب ((إلى تلك العناصر التي تكوّن أساس عملية الاتصال. وتتضح هيمنة مجال الخطاب فيما يجلبه من حقل دلالي خاص يحتوي على كلمات هي الأكثر شيوعاً معه))[١].

وقد استقرت رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه - على تعدد متلقيها - حول مجموعة معروفة من مجالات الخطاب مثّلت أغراضَ تلك النصوص الوعظ والإرشاد (الديني والاجتماعي والسياسي)، النقد والتعريض والتوبيخ والتقريع والمديح والتهديد والإنذار. هذه الأغراض (المجالات) تتناسب مع طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية في عصر خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ شهدت خلافته أحداثاً معقدة ومواقف متعددة، إذ إن لكل موقف أو حادثة كتاب أو وصية خاصة وقد مهدت كتب التاريخ والأدب لهذه النصوص معلومات كثيرة عن سياقها والمواقف التي كتبت فيها والحوادث المحيطة بها. وأهم المواقف في حياته هو تحمله مسؤولية الأمة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحمله المسؤولية أمام الله والناس بعد توليه الخلافة بصورة رسمية[٢]، فكلّ الرسائل والوصايا جاءت بعد توليه (عليه السلام) الخلافة بصورة رسمية إذ لم يكتب أي شيء قبل توليه الخلافة سنة (٣٥ هـ)[٣]*، ولما كان المجتمع مكوناً من طبقات مختلفة متفاوتة لذلك جاءت

(١) نفسه: ٢٥.

(٢) ينظر: خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص: ٧٨.

(٣)* باستثناء (ك ٦٨) وهو يدور حول موضوع الوعظ الديني إذ يتناول فيه الحديث عن الدنيا وذمها فقد جاء مكتوباً قبل أيام خلافته، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٤.

نصوصه متفاوتة فمرة مرسلة إلى أفراد معينين ومرة أفراد غير معينين، ومرة يتعامل مع فئات محددة، ومرة يتعامل مع فئات غير محددة وقد كان لذلك أثره في نصوص الرسائل والوصايا من حيث الطول والقصر والشدة واللين كذلك تنوعت أغراضها على حسب المرسَل إليه (المتلقين)، وقد سبقت الإشارة لتلك الأغراض.

**(ب) أدوار الخطاب:**



يدور موضوع أدوار الخطاب في طبيعة المشاركين في الخطاب وحالاتهم وعلاقتهم، وتباين الأبعاد النفسية للمتخاطبين من حيث السيطرة والمودة ودرجة القرابة والصداقة وهذا كله له أثر بارز على اللغة[١].

فمع أن صاحب النصوص هو الإمام علي (عليه السلام) فإن متلقيه متنوعون من الأبناء والأصحاب والعمال والأعداء والأمصار...إلخ، فلم يكتب نصاً من النصوص المدروسة دون أن يكون هناك متلقٍ له؛ لأن ((وجود المتلقي أو المرسَل إليه أمر لابد منه، فكل رسالة لابد وأن لها متلقياً، وبه يصبح النص مؤثراً وذا قيمة، ويحمل أبعاده الاجتماعية، وتتحقق وظيفته في التواصل))[٢] وأنعكس أثر المتلقي على لغة الإمام (عليه السلام) فاللغة التي يستعملها في كتاباته لأصحابه تختلف عن اللغة المستعملة مع أعدائه وكذلك الحال مع عمّاله فالعامل العاصي يكلمه الإمام (عليه السلام) بلغة تختلف عن لغة العامل المطيع وكذا الحال في حديثه عن فئات المجتمع المختلفة كل على حسب موقفه

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٢٨.
(٢) نفسه: ٢٩.

من خلافة امير المؤمنين (عليه السلام)، وسوف نقف على نماذج من الرسائل والوصايا لبيان أثر مجال الخطاب وأدواره في توجيه لغة النص، ويكفينا أن نقارن النصوص بعضها ببعض لتوضيح ذلك، من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة قال فيه: «**مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَ بَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ**»[1]. وما جاء في كتاب له (عليه السلام) إليهم بعد فتح البصرة: «**وَ جَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ**»[2].

وكذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة قال فيه: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي**»[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٦ (ك ١).

(٢) نفسه: ١٤/ ٢٦ (ك ٢).

(٣) نفسه: ١٧/ ١٤٠ (ك ٥٧).

نلحظ هنا أثر الموقف في اختلاف بناء هذه النصوص، فنرى فارقاً واضحاً بين هذه الأساليب الثلاثة في مخاطبة الفئة نفسها (أهل الكوفة)، وهذا ((يدل على أنّ تشكيل النص يتفاوت ويختلف باختلاف المواقف المحيطة وإن كان المتلقي واحداً))[1].

فإنّ النصين الأول والثالث يقعان ضمن مجال (النصح والإرشاد) (الوعظ السياسي) والظاهر أن النص الأول كان أول نص كتبه (عليه السلام) بعد استلامه ناصية الخلافة فقد عرض فيه كثيراً من القضايا التي قد يكون أهل هذا المصر غير مطلعين عليها منها قضية خلافة عثمان وطبيعة سياسته الإدارية وموقف طلحة والزبير وعائشة من عثمان، وقضية مقتله، وقضية البيعة، وبيان أحوال المدينة آنذاك وحثّ أهل الكوفة على الوقوف بجانب الخلافة الجديدة. أما النص الثالث فمن الواضح أنه قد أتى تالياً للنص الأول لأنه قد اقتصر فيه على الحديث عن استنفارهم للوقوف إلى جانبه (عليه السلام).

أما النص الثاني فقد كتبه الإمام (عليه السلام) بعد فتح البصرة ووقوف أهل الكوفة إلى جانب الإمام (عليه السلام) ومؤازرته فانعكس ذلك على لغة النص إذ دارت حول موضوع المديح لهم والثناء عليهم والدعاء لهم بقوله: ((وجزاكم الله ...أحسن ما يجري...)) وهذا يعني أن ((كل نص كيفما كان نوعه يتم انتاجه ضمن بنية اجتماعية محددة، وتكمن إنتاجيته في كون التفاعل يحصل معه في إطار البنية نفسها، وبانعدام هذا التفاعل، تنعدم إنتاجية النص))[2]



(١) خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص: ٨٦.
(٢) انفتاح النص الروائي: ١٣٤.

وإذا قارنا لغة هذا النص مع نص آخر وهو كتاب منه (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية): «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً!**»[1].

لقد انعكس التغيير في الأدوار والمجال انعكاساً واضحاً على لغة هذا النص إذ نجد النص يحفل بألفاظ التوبيخ والتقريع والذم لهؤلاء الفئة من أهل المدينة فما هذا التبدل الملحوظ إلا نتيجة سببها التغيّر في الموقف المحيط بالنص، ذلك أن ((التغيرات الاجتماعية تفرض تبدلاً في الرؤية والمواقف والمفاهيم وكذلك في الأشكال واللغة))[2].

فيزخر النص بما يعبر عن موقف الإمام (عليه السلام) منهم في قوله: ((فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، كفى لهم غياً، إيضاعهم إلى العمى والجهل، هم أهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها، هربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم وسحقاً)) وهذا يدل على أن ((نصية الخطاب لا تكتمل ولا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في إنجازه، الظروف المحيطة التي سيظهر فيها

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٥٢ (ك ٧٠).
(٢) في نظرية الأدب، شكري عزيز الماضي: ٨٧.

النص))[1]. فجاءت لغة كل نص متناسبة مع مجاله وموضوعه، فلو قارنا النصين لوجدنا بوناً شاسعاً وفارقاً واضحاً بين الأسلوبين بين الدعاء للفئة الأولى من أهل الكوفة ((وجزاكم الله ... أحسن ما يجزي ...)) وبين الدعاء على الفئة الأخرى من أهل المدينة ((فبعداً لهم وسحقاً)) فلغة كل نص متوافقة مع طبيعة كل فئة الموالية والمخالفة، الطائعة والعاصية وهذا كله تابع لهذا النوع من السياق (سياق الموقف).



**٢- السياق الثقافي** .

أولى (مالينوفسكي) اهتماماً واضحاً بالخلفية الثقافية للنص، لأن الكشف عن الجوانب الثقافية تمنح النص قيمة خاصة من جهة، كذلك تساعد على فهمه وتأويله من جهة أخرى[2]. فهو ((الذي يحدد الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماً عاماً))[3]، وهو يهتم بتحديد المحيط الاجتماعي أو الثقافي الذي يمكن أن تستعمل فيه الكلمة، ذلك أن كل لغة تتضمن عبارات وألفاظاً لا يمكن ترجمتها إلى غيرها من اللغات، لأنها تعبر عن مدى خصوصية ذلك المجتمع دون غيره فهي ترتبط به في كل نواحي الحياة المادية والمعنوية وهذا ينطبق أيضاً على الأمثال والجمل التي تجري مجراها فلا يمكن ترجمتها إلى لغة أخرى إلا إذا تبينا الحقائق الثقافية التي تكمن وراء هذه الجمل[4].

(١) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٩٨.
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٢٩-٣٠.
(٣) الألسنية محاضرات في علم الدلالة: ١٦٢.
(٤) ينظر: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث: ١٣٧.

وهنا يبرز بوضوح ضرورة الاهتمام بالسياق الثقافي للنص لأن له أثراً مهماً في تحديد المعنى العام للنص فهو يساعدنا على ((فهم كيفية تبادل الناس للمعاني وتفاعلهم مع بعضهم البعض))[1]. وأهم مظاهر السياق الثقافي في الرسائل والوصايا ما يأتي:

(أ) **طبيعة لغة الخطاب**:



يقصد بهذا المفهوم ((نوع هذه اللغة التي تعد أداة لسانية هامة للتعبير عن أفكار الكاتب ومعتقداته، ومن ثم يمكن تمييز الأنواع الأدائية للغة: رسمية / غير رسمية، منطوقة / مكتوبة))[2].

وقبل الحديث عن هذا المفهوم لابد من الإشارة إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) استطاع أن يخرج الكتابة من مرحلة البساطة ويدخلها إلى مرحلة الكتابة الفنية المتطورة. ويدفعنا الحديث عن طبيعة لغة النص أن نقسم الأنواع الأدائية للغة الرسائل والوصايا على قسمين هما:

رسائل ووصايا رسميّة: وتتمثل برسائله ووصاياه السياسية والعسكرية والعهود والأحلاف والمناظرة والمحاكمة.

رسائل ووصايا غير رسمية: وتتمثل في النصوص الموجهة إلى الأبناء أو الأصحاب لغرض النصح والإرشاد، ويمكن أن نوضحها بالجدول الآتي:

---

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٣.

(٢) لسانيات النص، ليندة قياس: ١٧٣.

| نوع النص | رسميّة | غير رسميّة |
|---|---|---|
| الرسائل | ك١. ك٢. ك٣. ك٤. ك٥. ك٦. ك٧. ك٨. ك٩. ك ١٠. ك ١٣. ك ١٧. ك ١٨. ك ١٩. ك ٢٠. ك ٢١. ك ٢٦. ك ٢٧. ك ٢٨. ك ٢٩. ك ٣٠. ك ٣٢. ك ٣٣. ك ٣٤. ك ٣٥. ك ٣٦. ك ٣٧. ك ٣٨. ك ٣٩. ك ٤٠. ك ٤١. ك ٤٢. ك ٤٣. ك ٤٤. ك ٤٥. ك ٤٦. ك ٤٨. ك ٤٩. ك ٥٠. ك ٥١. ك ٥٢. ك ٥٣. ك ٥٤. ك ٥٥. ك ٥٧. ك ٥٨. ك ٥٩. ك ٦٠. ك ٦١. ك ٦٢. ك ٦٣. ك ٦٤. ك ٦٥. ك ٦٧. ك ٧٠. ك ٧١. ك ٧٣. ك ٧٤. ك ٧٥. ك ٧٨. ك ٧٩. | ك ٢٢. ك ٦٦. ك٦٨. ك ٦٩. ك ٧٢. |
| الوصايا | و١١. و١٢. و١٤. و١٦. و٢٥. و٤٧. و٥٦. و٧٦. و٧٧. | و٢٣. و٢٤. و٣١ |



فنلحظ من ذلك أنّ النصوص الرسمية جاءت أكثر من النصوص غير الرسمية وهذا يشعرنا بحرص الإمام (عليه السلام) على إصلاح اوضاع البلاد فضلاً عن أنها تشعرنا بأعباء المسؤولية الواقعة على عاتقه والروح الدينية العميقة واهتمامه كان منصباً على الجزئيات والكليات على حد سواء[1]، فأنعكس تأثير ذلك على لغة النصوص إذ طغى عليها شدة اللهجة التي يخاطب بها بشيوع أساليب الأمر والنهي إذ جاءت في الأعم الأغلب مكتوبة؛ لكن الإمام (عليه السلام) استطاع أن يوظف الأساليب والوسائل اللغوية لإضفاء روح التواصل الشفاهي وهما ما سنعرضه لاحقاً في موضوع السياق المصاحب كذلك وشّح كتبه ووصاياه باستعمال الأساليب الصوتية من سجع وجناس وغيرها التي أسهمت في ربط أجزاء النصوص بعضها ببعض وقد درسناها في موضع سابق من البحث[2]*، كذلك ضمن هذه اللغة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والأمثال المستقاة من واقع البيئة العربية، وهذا ما

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٧.

(٢)* ينظر: الصفحة (٢٩- ٧٥) من البحث.

نحاول الكشف عنه لاحقاً في مبحث خاص بالتناص[1]*، وعليه فقد كانت اللغة المكتوبة هي الوسيلة لتواصل الإمام (عليه السلام) مع متلقيه وهذا فرض على عاتقه مهمة خلق سياق موازٍ للسياق المصاحب لعملية الكلام.

**(ب) نوع الخطاب:**

يشير مصطلح النوع إلى أجناس النصوص الأدبية مثل: الرواية، القصة، الرسالة، ...إلخ، وهذا المصطلح يتسم بالتعقيد وعدم الاستقرار لاختلاف مفهومه باختلاف معارف الأفراد وثقافاتهم، وإنه يقوم في مجتمعات متنوعة الثقافات وتحوي العديد من الخبرات. فالنوع ((قيد على علاقة النص بالموقف الاتصالي وعليه فإن الكاتب يتنبأ باستمرار في اتجاهين: يتنبأ بالنص من خلال معرفته بالسياق، ويتنبأ بالسياق من خلال معرفته بالنص))[2].

وعلى صعيد الحديث عن أنواع الرسائل، قدّم الكلاعي (ت: ٥٥٠هـ) تصوراً تفصيلياً لفن كتابة الرسائل طبقاً لاعتبارات البديع والشكل وعلى أساس تمثل موضوعي للمرسَل إليه وأثره في بناء الرسالة، فالرسائل مختلفة باختلاف الأزمان ومنوعة على أنواع[3]، مشيراً إلى أن هذه الأنواع يمكن أن تخضع لها الوصايا، منوهاً إلى أن للرسائل من حيث البناء تقاليد محددة، عليها وبها يلتزم الكتاب وغدت عندهم أموراً لا بدّ من اتباعها حتى تصبح الرسالة رسالة لها قيمتها[4].

(١) * ينظر: الصفحة (٤١٦ – ٤٥٣) من البحث.
(٢) نظرية علم النص: ٣٤.
(٣) ينظر: إحكام صنعة الكلام: ١٠٤– ١٥٨.
(٤) ينظر: نفسه: ٦٠ – ١٠٢.

ومن المعلوم أن ((لكل مقام مقال، ولكل طبقة تخيّرٌ وكلام))[1] فإننا نجد أن نصوص الرسائل والوصايا راعى فيها الإمام (عليه السلام) ذلك فهو يعرف أن الناس فرق وأجناس فهو يخاطب كل فريق بما يليق به من التركيب ويشاكله من الألفاظ والمعاني، فاللغة التي يخاطب بها أعداءه تفترق عن اللغة التي يخاطب بها أصحابه وكذلك اللغة التي يخاطب بها الموالين تفترق عن اللغة التي يخاطب بها المخالفين... وهكذا. وعلى هذا نصل إلى أن الإمام (عليه السلام) كان على وعي باعتبارات المرسَل إليه وأحواله.



مما تقدم يتضح لنا أن سياق الموقف مهم جداً في تفسير أمور كثيرة في النص بحيث تتضافر معها العلاقات القائمة بين المشاركين، ووسيلة التواصل، والمكان، والمحيط الثقافي بكل ما يفرضه من أعراف وتقاليد.

### ٣- السياق المصاحب.

إنّ السياق المصاحب يعبر ((عن البيئة اللفظية للنص أو الأداء الصوتي المصاحب له من نبر وتنغيم. كما يعبر عن الأداء السيميولوجي المصاحب من إيماءات وحركات للجسد وفي النص المكتوب يمكن تحديد عناصره من خلال أساليب لغوية أخرى مثل علامات الترقيم والجمل الإعتراضية ... وأساليب السجع والجناس الدّالة على وجود أداء صوتي خاص للنص))[2].

ويؤكد بعض الباحثين في علم النص أن تصور السياق المصاحب وسيلة يلجأ إليها القارئ لفهم النص، إذ يلجأ إلى تعويض نموذج العالم الفعلي بعالم

(١) نظرية علم النص: ٣٧.
(٢) نفسه: ٢٤.

ممكن (متخيل). والعلاقة بين هذين العالمين ليست علاقة انفصال تام بل هناك تفاعل دينامي بينهما بوساطته نفهم هذا بذاك مما يساعد على انسجام ومعقولية للعالم المتخيل[١].

ويشتمل هذا المفهوم على أشياء كثيرة لغوية وغير لغوية فمن الصعب أن نفهم أي نص ما لم نعلم ماذا يحدث الآن؟ وإن تكون على علم بالإداء الصوتي، وهذا يؤكد حقيقة مهمة أنّ الفهم الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية والمعروفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه[٢].

لذلك يحاول الإمام (عليه السلام) في رسائله ووصاياه أن يجد المعادل الموضوعي لعناصر السياق المصاحب اللغوية والسيميولوجية بحيث لا يفقد نصّه أي عنصر يجعله أقل أداءً من النص الشفاهي، ويجد القارئ ذلك في عناصر دالة، مثل السجع والجناس، والصيغ الدعائية (الإعتراضية)، وبعض الصيغ الحوارية، واستعمال ضمير المخاطب.

إن استعمال الكاتب هذه الأشكال الأسلوبية المعادلة لتلك المتصلة بالحديث الشفاهي ما هي إلا محاولة ((لرسم صورة اجتهادية وناجحة لحوار متخيل بينهما، بكل ما فيه من معانٍ ومواقف متبادلة))[٣]. وسنعرض لهذه الأشكال الأسلوبية المعادلة في رسائل الإمام ووصاياه في نهج البلاغة.

كقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه: «**فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ**

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٠١.
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٤٠.
(٣) نظرية علم النص: ٤٢.

**حَاجَتِكَ، أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالأَرْمَلَةَ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ»**[1].

فمن خلال قراءة هذا النص يمكن أن نلحظ ما به من سجع بين الألفاظ (مقتصداً، غداً) و (ضرورتك، حاجتك) و (المتواضعين، المتكبرين، المتصدقين)، ومعلوم أن السجع من الظواهر الصوتية المستعملة من أجل إظهار الدلالة وجلائها وقد درسنا ذلك فيما تقدم من الفصل الأول[2]*، كذلك يساعد هذا التمثل استعماله لضمائر المخاطب بشكل بارز في النص المستترة والبارزة في الألفاظ (فدع، اذكر، أمسك، ضرورتك، وقدّمْ، حاجتك، ترجو، يعطيك، انت، وتطمع، وأنت، تمنعه، لك) إذ تمثل صورة من صور الحوار مع المتلقي.

وقد يلجأ الإمام (عليه السلام) إلى استعمال بعض صور الحوار بصورة صريحة باستعماله كلمات تمثل إجابات عن سؤال سواء مع غيره من ذلك ما جاء في كتاب له إلى معاوية: «**وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ؛ وَ لا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَ هَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا. ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ؛ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٣٩ (ك٢١).

(٢)* ينظر: الصفحات (٣١ - ٤٠) من المبحث الأول من الفصل الأول.

**فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمّن مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ! كَلا وَ الله»**[1]. إذ تمثلت صورة الحوار بينه (عليه السلام) وبين معاوية بالألفاظ (وقلت)... وجوابه (عليه السلام) على مقولته ((ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت)) وقوله: ((ثم ذكرت...)) و (فلك أن تجاب)) والاستفهام بأي، والهمزة ثم اعقبها بالجواب (كلا والله) إذ مثلت جميعها حواراً دائراً بين طرفين.



وقد يكون حواره (عليه السلام) مع نفسه من ذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**أَ تَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، وَ يَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ**»[2]. فـ (اذاً) حرف جواب لما تقدم من كلام، لتصور هذا الحوار مع النفس لأنه صرح باسمه (عليه السلام) في النص ومن الصيغ الحوارية البارزة الظهور (النداء)، فهو ((يجذب السامع أو القارئ، ويثير إنتباهه، ويشركه في الموضوع، ويوقظ شعوره ويلفت ذهنه ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ، فيقبل ما يقال له ويتلقاه برضى بعد الاستجابة له))[3]، وقد استعمل الإمام (عليه السلام) النداء الصريح بأداتي النداء (يا للبعيد وأي للقريب) في الرسائل في (١٤) موضعاً[4]، أما في الوصايا فقد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).
(٢) نفسه: ١٦/ ٢٩٤ (ك ٤٥).
(٣) النداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس: ١٧٠.
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧(٣) (ك ٣)، ٣٥ (ك ٦)، ١٥/ ٧٩ (ك ١٠)، ١٦٤ (ك ٢٧)، ١٨١ (ك ٢٨)، ١٦/ ١٣٢ (ك ٣٢)، ١٦٧ (ك ٤١)، ٢٠٥، ٢٩٢، ٢٩٥ (ك ٤٥)، ١٧/ ٣٠ (ك٥٣)، ١٣١ (ك ٥٤).

تركز استعماله في وصية الإمام علي لابنه الحسن (عليهما السلام) إذ استعمله في (١٤) موضعاً[١].

وقد جاءت جلّ هذه المواضع لنداء العاقل باستثناء موضع واحد جاء فيه لنداء غير العاقل وذلك فيما جاء في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «**إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ ،قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ**»[٢].



والغاية من نداء غير العاقل هي طلب الامتثال حساً أو (معنى) فضلاً عن التنبيه[٣]. كذلك ورد النداء محذوف الأداة في (٥) مواضع[٤] حقيقية لقد جاء استعمال حروف النداء في النصوص المدروسة متناسباً مع سياقاتها والتنوع في المواقف ويكفي أن نقف عند ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) لتلمس أثر السياق في ذلك، إذ وظّف النداء في سياق الإغراء ((وهو سياق يتوجه إلى المتلقي؛ لحثه على لزوم شيء بعينه، لكن الغالب أن يستحضر هذا السياق المتكلم أيضاً))[٥]، وقد استعمل (أي) في (٣) مواضع وعدل عنها إلى حرف النداء (يا) في المواضع الأخرى لتناسب المعاني المقصودة في كل جزء

(١) ينظر: نفسه: ١٦/ ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٨٩(٢)، ٩٣، ١١٢ (و ٣١)، ١٧/ ٦ (و ٤٧).

(٢) نفسه: ١٦/ ٢٩٢ (ك ٤٥).

(٣) ينظر: البلاغة العربية (قراءة أخرى): ٢٩٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٢٥ (ك ١٨)، ١٥١ (ك ٢٥)، ١٦٣(٣) (ك ٢٧).

(٥) السياقات الانتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجاً)، (بحث منشور)، د. رحيم كريم علي الشريفي والدكتور حسين علي هادي: ١٥٩.

من أجزاء الوصية قال (عليه السلام): «**فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ**»[1]. وقال: «**أَيْ بُنَيَّ إِنِّيَ لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي**»[2]. وقال: «**أَيْ بُنَيَّ، إِنِّيَ وَ إِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ؛ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ**»[3]. لقد استعمل الإمام (عليه السلام) (أي) حرف النداء وهي لنداء القريب في سياق الإغراء ((تنبيهاً لابنه (عليه السلام)، وإغراءً له، لينبئ بقرب منزلة الابن من الأب، وسمّو مكانته))[4]، وكذلك يستشعر المتلقي هذا الأمر من توالي عبارة (أي بني) لتحكم سيطرتها على النسيج اللغوي للنص، مما يعكس مدى ترابط الأجزاء المشكلة لنص الوصية. ثم يعدل الإمام (عليه السلام) إلى استعمال حرف النداء (يا) وهي لنداء البعيد مع أن ابنه (عليه السلام) قريب منه وذلك للإشارة ((على عظم الأمر، وإغراء ابنه للإتيان بهذه الأمور والتمسك بها))[5] فجاءت عبارة (يا بني) متحكمة في كل الأمور التي نّبه ابنه على وجوب التفكر فيها والالتزام بتعاليمه وتوجيهاته الدينية وسوف ندرج أقواله (عليه السلام) في هذا المجال: «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي...، فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ ...، وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وآله)؛**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦٢ (و ٣١)
(٢) نفسه: ١٦/ ٦٦ (و ٣١)
(٣) نفسه: ١٦/ ٦٧ (و ٣١).
(٤) السياقات الانتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجاً): ١٥٩.
(٥) نفسه.

**فَارْضَ بِهِ رَائِداً وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً...، وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ...، يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ...، يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ...، اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا...، يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ...، وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً...، وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ...»**[1].



لقد استطاع الإمام (عليه السلام) باستعماله أسلوب النداء من إقامة حوار مع ابنه الحسن (عليه السلام) فضلاً عن معنى الإغراء الذي فرضه السياق مما يضفي على حرف النداء شفافية مستمدة من هذا المعنى فيتلون حرف النداء، ويظهر وجوه الإغراء واضحاً بارزاً[2]، فضلًا عمّا يشير إليه من امتداد هذا النداء إلى أبعد زمان ومكان وعدم اقتصاره على الموصى فقط.

ومن الصيغ الحوارية ((الجمل الاعتراضية)) إذ إنها من الجمل التي ((لها صلة وثيقة بخطط التخاطب وبسلميّة المقاصد والأغراض، كما أنها تمثل وجهاً من وجوه الحركية التي تقوم عليها عملية التخاطب))[3]، فهذه الجمل ((تعبر بشكل مكثف ومباشر عن موقف الكاتب تجاه المخاطب))[4]

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٧٠-١١٢ (و ٣١).
(٢) ينظر: النداء في اللغة والقرآن: ١٦٤.
(٣) أصول تحليل الخطاب: ١/ ٣٩٧.
(٤) نظرية علم النص: ٤٢.

وقد لجأ الإمام (عليه السلام) إلى استعمال هذه الوسيلة أيضاً بوصفها صورة من صور الحوار مع الآخرين في رسائله ووصاياه، فقد استعملها في رسائله في (٩) مواضع[١]، وفي الوصايا في موضع واحد[٢]، ومن أمثلتها ما جاء في كتاب له إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب، إذ قال فيه: «**فَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ أَلا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ**»[٣]، فالجملة الاعتراضية (غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ) قد صورت الحوار بين الإمام (عليه السلام) ومعاوية إذ وظّف فيها ضميري المخاطب في قوله: (لك) والمتكلم المستتر تقديره (أنا) في قوله (أحدث) وهي جاءت في سياق الإخبار العام عن تفضيل آل النبي على سواهم إذ وظّف الإمام (عليه السلام) الاستدراك بـــ (لكن) للرد على ما يتوهمه معاوية بأن ما يذكره الإمام (عليه السلام) ليس لمعاوية وإنما هو لعموم الناس مسايراً لما نص عليه القرآن الكريم: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[٤] ومن أمثلته أيضاً في كتاب له (عليه السلام) إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين: «**وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) وَأُلْفَتِهَا مِنِّي**»[٥].



(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٨ (ك ٣)، ١٥/ ١٨١ (ك ٢٨)، ١٦/ ١٤٨ (ك ٣٦)، ١٦٧ (ك ٤١)، ١٧٥ (ك ٤٣)، ٢٨٦ (ك ٤٥)، ١٧/ ١٣١ (ك ٥٤)، ١٤٩ (ك ٦١)، ١٨/ ٧٤ (ك ٧٨).

(٢) ينظر: نفسه: ١٦/ ٥٧ (و ٣١).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨١ (ك ٢٨).

(٤) الضحى: ١١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٧٤ (ك ٧٨).

فالجملة الاعتراضية جاءت عبارة عن صيغة فعل الأمر (اعلم)، إن هذه الصيغة تدل على أن المتكلم يطلب من المخاطب القيام بعمل معين وهو (طلب العلم) ولزيادة انتباه المتلقي إلى مضمون كلامه نجد أن الجملة الاعتراضية جاءت واقعة بين اسم ليس وخبرها مما يثير المخاطب (المتلقي) إلى هذه الجملة الفاصلة.



**٤- السياق اللاحق.**

تقوم دراسة السياق اللاحق على أساس ما أدى له النص من تغيرات اجتماعية وايديولوجية، وفي ضوء هذا التصور فإن النص يدخل بعد كتابته حيز السياق على اتساعه، فتتشكل بوجوده نصوصاً أخرى لاحقة له تمثل امتداداً لمقولاته[١].

ومن مظاهر السياق اللاحق ما نلحظه في الرسائل التي جاءت رداً من قبل الإمام (عليه السلام) على كتب سابقة فعملية التبادل هذه تشبه ((تبادل المتكلم والمستمع دوريهما في الحديث الشفاهي))[٢]، فهناك كتب عدة تمثل هذه الظاهرة، فـ (ك١٧) جاء جواباً عن كتاب معاوية للإمام (عليه السلام)[٣]، وقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمال وسائل حوارية كضمائر المتكلم والمخاطب واستعمال بعض التعبيرات من ذلك قوله: «**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ...**» و «**وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ...**»، و «**وَ**

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٤٢.

(٢) نفسه: ٤٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٧.

**اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ...**» و «**وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ...**»، ومثله كتاب (٢٨) الذي جاء رداً على كتاب معاوية[١]، وقد صرّح الإمام (عليه السلام) بمجيء كتاب معاوية إليه، بقوله: «**فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ...**»، وقد استعمل وسائل حوارية عدة منها ضمائر المتكلم والمخاطب، استعمال بعض الأفعال التي عملت بوصفها بديلاً موضوعياً للحديث الشفاهي وهي (تذكر، تخبر، زعمت، قلت، ذكرت،...).



ومن الكتب الأخرى التي جاءت جواباً عن كتاب سابق لها كتاب (٧) إلى معاوية[٢]، كتاب (٣٦) إلى عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل[٣]، وكتاب (٦٤) إلى معاوية جواباً[٤] وكتاب (٦٥) إلى معاوية أيضاً[٥]. ومما يدخل أيضاً ضمن حدود السياق اللاحق التوصيات والأوامر العسكرية والإدارية، إذ إنّ تحقيق المتلقي (القارئ) لهذه المطالب يعد من قبيل السياق اللاحق ويشمل هذا النصوص ((ك (٤)، و (١١)، و (١٢)، ك (١٣)، و (١٤)، و(١٦)، ك (١٨)، ك (١٩)، و (٢٣)، و (٢٤)، و (٢٥)، ك (٢٦)، ك (٢٧)، و (٣١)، ك (٣٤)، ك (٣٨)، ك (٤٢)، ك (٤٦)، و (٤٧)، ك (٥١)، ك (٥٢)، ك (٥٣)، و (٥٦)، ك (٦٠)، ك (٦٣)، ك (٦٦)، ك (٦٧)، ك (٦٨)، ك (٦٩)، و (٧٦)، و (٧٧).

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨١-١٨٤.
(٢) ينظر: نفسه: ١٤/ ٤١.
(٣) ينظر: نفسه: ١٦/ ١٤٨.
(٤) ينظر: نفسه: ١٧/ ٢٠٥-٢٥١.
(٥) ينظر: نفسه: ١٨/ ٢٢.

لقد كان للسياق اللاحق أثره في هذه النصوص، إذ إن وجوده في النص ((دليل على نجاحه، وقبول القارئ له، كما يعد امتداداً أيديولوجياً واستمراراً لوجود النوع))[1]؛ لأنه عكس قوة التفاعل الحاصل بين المرسِل (الكاتب) والمرسَل إليه (المخاطب) مما أضفى حيوية وديناميةً للنص العلوي، كما في قوله في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفة من صفين: «**فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ وَ أَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ**»[2].

بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) تولى الإمام الحسن (عليه السلام) أمر التصرف بأموال أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك فقد أوصاه وبعد استشهاده يتولى الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الأمر تطبيقاً لوصية أبيه فهذا من قبيل السياق اللاحق. ومثله قوله (عليه السلام) في وصية للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله): «**انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً، بِضَرْبَةٍ وَ لا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَ الْمُثْلَةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ**»[3].

فمن يراجع التاريخ يجد أن نص الوصية هذا قد طبق حقيقةً فبعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، قام الإمام الحسن (عليه السلام) بضرب عنق ابن ملجم (لعنه الله) تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي**

(١) نظرية علم النص: ٤٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٧ (و ٢٤).
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٦ (و ٤٧).

﴿الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فأرداه قتيلًا ولم يمثل به استناداً لكلام جده وأبيه (عليهما أفضل الصلاة والسلام) وهذا العمل يعد من قبيل السياق اللاحق من ذلك كله نجد أن السياق ضروري في فهم النص وتفسيره، كذلك نجد أن خصائص السياق ضرورية في رسائل الإمام ووصاياه متوافقة مع تلك التي تناولها الدارسون في علم النص من حيث أنواعها وأساليبها.



**ثانياً: التناص.**

لقد كان التناص أساساً مهماً من الأسس الرئيسة التي قام عليها علم لغة النص، وهو يبحث في طبقات النص، أي التراكمات الطبقية (نصوص دينية، نصوص أدبية، إشارات تاريخية، ...إلخ) التي يتركب منها النص، فلا شك أن ((النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة، وإنما في كيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل، ومراعاة مقصدية المخاطب، والظروف التي يروج فيها النص، وجنس النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجية التأويل من عصر إلى عصر ومن مجموعة إلى مجموعة ومن شخص إلى شخص، بل إن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية))[2].

فالقارئ تحدث له تراكمات في ضوئها ينمي عملية التأويل، فضلاً عن أنّ النص الإبداعي يحمل في طياته صيرورة لغوية منظمة قد يبوح عن المعنى دون جهد وكد للذهن، وقد تُقدّم بطريقة مبهمة وغامضة تحتاج إلى إعمال الفكر لتفهم وتؤول، وقد تصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية ولكنها لا

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) مجهول البيان، د. محمد مفتاح: ١٤٦-١٤٧.

تكـون كافيـة لإدراك المغـزى، وعليـه يقتـضي التنـاص بعـده واقعـاً للقـراءة أن يكـون القـارئ عـلى قـدرة عاليـة وذاكـرة قويـة مـن أجـل الكشـف عـن النصـوص المتناصـة مـع النـص الأصـلي.

فالتنـاص هـو ((العلاقـة بـين نصـين أو اكثـر، وهـي التـي تؤثـر في طريقـة قـراءة النـص المتنـاص (Intertext)، أي الـذي تقـع فيـه آثـار نصـوص أخـرى أو أصداؤهـا))[١]. وقـد أخـذ مصطلـح التنـاص بالظهـور بـين الباحثـين الغربيـين إلا إن الباحثـة البرتغاليـة (جولياكـر يتسـيفيا) هـي التـي بلـورت مفاهيمـه ((في عـدة أبحـاث كتبـت بـين ١٩٦٦-١٩٦٧ وصـدرت في مجلتـي تيـل -كيـل Tel-Que وكريتـك Critique وأعيـد نشرهـا في كتابهـا سـيميوتيك Semeiotike ونـص الروايـة Latextedduvomahdduvomah))[٢].

وتـرى أن التنـاص لا يـأتي مـن فـراغ فهـو ((ترحـال للنصـوص وتداخـل نـصي، ففـي فضـاء نـصي معـين تتقاطـع وتتنـافى ملفوظـات عديـدة مقتطعـة مـن نصـوص أخـرى))[٣].

ثـم حـاول الباحثـون الغربيـون تحديـد مفهـوم التنـاص إلا أن أيـاً منهـم لم يضـع تعريفـاً جامعـاً مانعـاً لـه، لـذا استخلص بعـض الدراسـين (الدكتـور محمـد مفتـاح) مقومـات التنـاص مـن مختلـف التعريفـات التـي ذكروهـا[٤]، وأشـهرها: ((فسيفسـاء مـن نصـوص أخـرى ادمجـت فيـه بتقنيـات مختلفـة

(١) المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني: ٤٦.
(٢) في أصول الخطاب النقدي الجديد، توردورف وآخرون: ١٠٢.
(٣) علم النص، جولياكر يستيفيا: ٢١.
(٤) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ١٢٠-١٢١.

ممتص لها يجعلها من عنده‌اته وبتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه، ومع مقاصده.

محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها))[1].

ويخلص من ذلك إلى ((أن التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة))[2].



أما الدارسون والباحثون العرب فلم يتفقوا -بعد- على تعريب مصطلح (Inter textulty)، فبعضهم ترجمه إلى النص الغائب، هجرة النصوص، التداخل النصي، التناص، التعالق النصي، التفاعل النصي، التناصية، النصوصية، المتناص... الخ. ومع ذلك فإن مصطلح التناص هو الذي شاع وانتشر[3].

وقد وضّح (الدكتور صلاح فضل) أن التناص لا يتحقق في النص بدرجة واحدة أو على مستوى واحد ((بل هناك درجات عديدة للتناص، مما يمكن أن يقودنا إليه التحليل النصي فهناك مثلاً خواص شكلية محددة. مثل الإيقاعات، والأوزان والأبنية المقطعية: ومثل أنماط الشخصيات والمواقف التي يمكن استخدامها كحد أدنى للتناص على اعتبار ما تفرضه في استخدامها مجموعة الأعراف التقليدية المتصلة بكل جنس من الأجناس الأدبية، وتتمثل الدرجة الوسطى من التناص في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة

(١) نفسه: ١٢١.

(٢) نفسه: ١٢١.

(٣) ينظر: التفاعل النصي التناصية، النظرية والمنهج، د. نهلة الأحمد: ١٧١-١٧٤، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب: ١٣٧، النص الغائب، د. محمد عزام: ٤١.

سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها. مما يعتد به كمجال فعلي للتناص الحقيقي. أما الدرجة القصوى من التناص فتقوم فيها تلك الممارسات الإقتباسية التي نراها مثلاً في ((الباروديا Parodie)) والمعارضات، مما يحيل على مجموعة الشفرات الإسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لا يمكن أن يخفى على القارئ المتوسط، وهو المجال الذي تمثله أبواب السرقات في النقد القديم مغفلة أهمية التوليد والتواصل ومدرجة للتحليل الأدبي في نطاق النقد المعياري والأخلاقي بالرغم من استخدامها لمصطلح الحسن في بعض الأحيان))[١].

فدراسة التناص وفق المنظور اللساني الحديث (علم لغة النص) ليس مجرد نقل شيء من نصوص سابقة إلى النص الحاضر، إنما لابد أن يقتضي هذا النقل تفاعلاً وتعالقاً بين النصوص الغائبة والحاضرة، وعليه فإن كل تعريفات التناص ((تظهر هذا التفاعل والتعالق والالتقاء والتداخل (اللفظي أو المعنوي) بين نص ما ونصوص أخرى سبقته))[٢]. وهذا يعني ((أن النصوص السابقة تشكل خبرة لتكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها، وتؤسس النصوص اللاحقة هي بدورها لنصوص أخرى تأتي بعدها))[٣] للتعبير بها عن موقف يستدعيها وللدكتور محمد عبد المطلب رأي لطيف حينما قال: ((إن أكثر المبدعين أصالة من كان تركيبه الفني ذا طبيعة تراكمية، على معنى أن الروافد السابقة قد وجدت فيه مصّباً صالحاً لاستقبالها))[٤].

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨١.

(٣) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.

(٤) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب: ١٦٢.

فالتناص يحسن حين يتم ((بطريقة إبداعية، تعطي للنص قيمة فنية لا يمكن الوصول إليها بدونها، كما أنه يربط النص بالموروث الأدبي والثقافي، ويفتح حواراً بين النصوص الأدبية، كما يكسّر تلك الثنائية التي تعتمد على الفروق بين الشعر والنثر، وبذلك تسمح بتداخل الأجناس))[1]، وهذا الأمر لا يحصل إلا إذا أصبح النص منفتحاً على ما يسبقه، أو يزامنه، أو يلحقه من نصوص[2]. ويقسّم علماء اللغة النصيون التناص على قسمين.



- التناص المباشر ويعني اجتزاء قطعة من نص سابق، أو نصوص سابقة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص، وهذا هو الشكل البسيط من أشكال التناص الذي يتحقق بنقل التعبير من غير تغيير[3].

- التناص غير المباشر وهو الذي ((يستنبط من النص استنباطاً، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافي، أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته))[4]. وعند إجراء هذا المعيار في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة، ونظراً لسعة إطلاع الإمام (عليه السلام) وجدنا مواضع كثيرة تناصّ فيها الإمام مع نصوص أخرى مما زاد في جمالية نصوصه وتأثير جماله من ناحية

(١) أدوات النص، محمد تحريشي: ٦٢.
(٢) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢١٠.
(٣) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٧٩.
(٤) نفسه: ٧٩.

التصوير، وتأثيره من حيث القداسة وصدق التعبير، الشيء الذي ساعد الإمام (عليه السلام) على خلق نص جديد تماسكت أجزاؤه وتعالقت ألفاظه ومعانيه؛ فخرجت الصورة التي عبّر فيها عن الفكرة واضحة الأبعاد والدلالات. ولكي تسهل دراسة هذا الموضوع تمت تجزئته وفقاً للنصوص المتناصة على النحو الآتي:



١- تناص ديني: (قرآني وحديث نبوي).

٢- تناص أدبي: (أمثال وأشعار).

٣- تناص تأريخي.

وكما موضح في الجدول الآتي:

| نـــوع التناص | | | الرسائل (عدد المرات) | الوصايا (عدد المرات) | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| ديني | قرآني | مباشر | ٥ | ٢ | ٥٠ |
| | | غير مباشر | ٣١ | ١٢ | |
| | حديث نبوي | غير مباشر | ٦ | ٨ | ١٤ |
| أدبي | مثلي | مباشر | ٣ | | ٣٢ |
| | | غير مباشر | ٥ | ٢٤ | |
| | شعري | مباشر | ٣ | - | ٩ |
| | | غير مباشر | ٤ | ٢ | |
| تاريخي | | | ١ | - | ١ |

نلحظ من هذا الجدول ما يأتي:

١- أن التناص الديني - ولاسيما التناص القرآني - قد جاء أكثر من أنواع التناص الأخرى وهذا يظهر تأثر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم مستغلاً بلاغته الأسلوبية وقوته ودقته في تأدية التعبير عن المعنى المقصود.

٢- طغيان التناص غير المباشر على المباشر لكل أنواع التناص المختلفة إذ يعكس قدرة الإمام (عليه السلام) الإبداعية على إنتاج نص جديد، بما يضفي عليه من أسلوبه وشخصيته ليجعله متناسباً مع نص الرسالة أو الوصية وفاقاً لعلاقة النص الجديد بهما.



وقبل الخوض في أنواع التناص في الرسائل والوصايا نذكر ما نقله أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((لولا أن الكلام يعاد لنفد))[١]، فهذا القول إشارة صريحة عن التناص، فالناس يستعملون ألفاظاً واحدة لكن طريقتهم تختلف في التعبير عنها وعليه فإن ((التناص شيء لا مناص منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي))[٢].

أنواع التناص في الرسائل والوصايا.

تشتمل نصوص الرسائل والوصايا على أنواع مختلفة، هي:

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٦.

(٢) تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص): ١٢٣.

**أولاً: التناص الديني** .

حظى التناص الديني بالنصيب الأكبر والحظ الأوفر من بين أنواع التناص، وينقسم على قسمين:

١- التناص القرآني.

٢- تناص الأحاديث النبوية.

إذ إن قطع هذه النصوص الدينية من سياقها وإدخالها في سياق آخر يعكس أن للمبدع دوره في عملية التناص حين يقتطع النص القرآني أو الحديث النبوي ويدخله في سياق متحرك جديد فيصبح خلاصة لما لا يحصى من النصوص قبله[١].

**القسم الأول التناص القرآني**: وهو أن ترد في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة نص آية قرآنية أو معناها لغرض اقتضاه السياق، والغاية المرجوة من ذلك هي ((أن الإمام قد قرّب عن طريق رسائله لغة القرآن إلى الجمهور الذين كاتبهم في كتبه وخاطبهم في عهوده ووصاياه، علماً بأن الناس كانوا يتهيبون من القرآن))[٢]، فضلًا عن ذلك فأنه أسهم في انفتاح هذه النصوص فهي صالحة لكل زمان ومكان لأن القرآن الكريم ((نص فاعل ومؤثر ومرجعية لنصوص ونظريات ومقولات وما زال بعضها متداولاً ونعيش بحضوره))[٣].

(١) ينظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي: ١٥.

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: ٢٩٨.

(٣) القرآنية في نهج البلاغة (بحث منشور)، علي ذياب محي العبادي: ٦٩.

فالمعروف في مفهوم النص أنه ((مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة))[1]، فالإمام كان مدركاً لأثر التوظيف القرآني في خدمة نصوص الرسائل والوصايا، فهو يجعل التواصل بين الكاتب والقارئ تواصلاً خلاقاً لما يجمع بينهما من رصيد زاخر بتقديس القرآن والتأثير بمعانيه العظيمة فمثال التناص القرآني المباشر قوله (عليه السلام) في وصية له قبيل وفاته لمّا ضربه ابن ملجم (لعنه الله): «**أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَمَا كُنْتُ إِلاّ كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ ﴿وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرارِ﴾**»[2].

على الرغم من قصر النص فإنه أحتوى تناصين قرآنيين، الأول: قول الإمام (عليه السلام): «**أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**»، تناص من قوله: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]. والآخر: قول الإمام: «**وَ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرارِ**» تناص من قوله: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**﴾[4].

(١) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٢٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٣ ( و ٢٣).
(٣) النور: ٢٢.
(٤) آل عمران: ١٩٨.

فجاء الإمام (عليه السلام) بالآيات ولم يأت بمعناها ليشعر المتلقي أن هذا الكلام ليس من عنده وإنما من كتاب الله الذي لا يختلف فيه أثنان من المسلمين، فيكون أشدّ وقعاً وتأثيراً على نفوس المتلقين.

معززاً بذلك التأثير الذي كونه النسق الصوتي المنسجم المتمثل بـ (السجع) في المتلقين من أجل الإغراء الإلهي الذي يحث على العفو ويرغب فيه، فمعنى كلامه في التناص الأول ((كما تتوقّعون من الله العفو والصفح فإنّ الآخرين أيضاً يتوقّعون منكم العفو الصفح في مقابل العمل السيء الذي أرتكبوه))[1]، أما في التناص الثاني فنجد أن الإمام ينتقل نقلة سريعة ليتحدث عن نفسه، موظفاً أساليب التوكيد (القسم والقصر) لإبراز المعنى، فلو قارنا بين الاستعمال القرآني والنهجي نجد أن القرآن يتحدث في مطلع الآية عن ثواب المتقين ويختمها بالجملة المذكورة (وما عند الله خير للأبرار)، أما في النهج فقد جاءت في سياق بيان السبب الموجب لحبه الموت، فهو عرض وترغيب وكلام محمول على الندب[2].فأضاف التناص بالقرآن للصياغة النصية رقياً دلالياً مما أكسبها رونقاً وجمالاً.

ومن التناص القرآني المباشر أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: **«ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى، لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ أَمَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ! كَلا وَاللَّهِ**

(١) نفحات الولاية: ٩/ ٢٤٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٥.

﴿لَقَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً﴾»[1]، يتضمن هذا المقطع من نص الرسالة تناصاً قرآنياً مباشراً من سورة الأحزاب، وقد نزلت في شأن طائفتين من المنافقين أحداهما امتنعت عن الجهاد والقتال في معركة الأحزاب، والأخرى هم الذي قالوا لأخوانهم هلمّ إلينا ولا تقحموا أنفسكم في هذا الخطر[2]. إذ وقعت في معرض جواب لإسلوب الاستفهام، فعمل التناص على تتمة المعنى عند المتلقي (معاوية) وفيه إشارة إلى أنك يا معاوية ((إذ تستخدم أساليب الدجل والتمويه أمام الناس فيما يتصل بحادثة قتل عثمان، فإن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وأنه يعلم أن عثمان طلب منك النصرة ولكنك لم تتقدم خطوة في هذا السبيل (بل كنت مسروراً لمقتله) لعل الخلافة تصل إليك))[3]. فظاهر الأمر هو تشبيه حال معاوية بحال المنافقين الذين ذكروا في القرآن الكريم.



أما النوع الأخر من التناص القرآني فهو غير المباشر (المعنوي) ويتمثل في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ**»[4]. عند

(١) نفسه: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).

(٢) قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ الأحزاب: ١٣-١٤.

(٣) نفحات الولاية: ٩/ ٣٨٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٦-٨٧ (و ٣١).

التمعن في هذه السطور نجد أن الإمام (عليه السلام) قد جمع معاني آيات متنوعة في نسيج نصي واحد دالٍ. إذ إنّ كلام الإمام (عليه السلام) يحمل في فضائه معاني قرآنية (تناص) ففي قوله: ((قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة)) تناص من قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وقوله (عليه السلام): ((وأمرك أن تسأله ليعطيك)) تناص من قوله: ﴿اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2]، وقوله (عليه السلام) ((ولم يمنعك إن أسأت من التوبة))، تناص من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]. على الرغم من أن هذه الآيات وردت في مواضع متنوعة وتناولت موضوعات مختلفة فإنها دارت في مركز واحد وهو لفظ الجلالة (الله) فهو الذي يُدعى ويستجيب الدعاء، ويُسأل من فضله، ويتوب عن عباده.

وهكذا كان لفظ الجلالة هو الرابط اللفظي الذي ربط بين نصوص الآيات المتناصة التي ظهر صداها في هذا المقطع من نص الوصية، ويعكس هذا مدى تشرب روح أمير المؤمنين (عليه السلام) للآيات القرآنية ومعانيها، فقد أحسن استثمارها مع ما يتلاءم والسياق النصي؛ إذ نجده يطوع ما يقتبسه من آيات وفاقاً للسياق العام للنص بعده ((المرجع الذي يُحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظياً أو قابلاً للشرح اللفظي))[4] إذ عدل عن ضمائر الجمع الواردة في الآيات القرآنية التي تحيل إلى العباد



(١) غافر: ٦٠.
(٢) النساء: ٣٢.
(٣) الفرقان: ٧٠.
(٤) الخطيئة والتكفير: ٩.

عموماً إلى ضمير المفرد (كاف الخطاب) التي تحيل إلى الإمام الحسن (عليه السلام) لأن الوصية موجهة له.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للقرآن الكريم أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى الحارث الهمذاني: «**وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانتُصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلالَهُ. وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ**»[1]. يأمر الإمام (عليه السلام) الحارث الهمذاني في هذا المقطع من الرسالة بوجوب الاعتصام بالقرآن الكريم والأخذ بأحكامه جميعها، مستعملاً له لفظ (حبل) وهو استعارة، إذ شبه الأخذ بأحكام القرآن بحبل النجاة الذي ينقذ من الوقوع في المعاصي والمويقات. فهي صورة واضحة وبسيطة إلا إنها عبرت عن الفكرة خير تعبير من خلال إظهارها المعنى بأثر مادي، وقد أخذ هذا المعنى من قوله: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2]. لقد استحضر الإمام (عليه السلام) الصورة القرآنية إذ أصبح القرآن جسماً مادياً، وقد أمر الإمام (عليه السلام) بوجوب التمسك بحبله عن السقوط في المعاصي، فطريق ((التصوير هو القاعدة الأولى في التعبير))[3].

وقد عمد الإمام (عليه السلام) لإظهار النص متلائماً مع سياق المقام إلى العدول من ضمائر الجمع في النص القرآني إلى الضمير المفرد في النص العلوي، ولإظهار

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤١ (ك ٦٩).
(٢) آل عمران: ١٠٣.
(٣) التصوير الفني في القرآن: ٨٦.

دلالة التناص واضحة وجلية في النص جاء بالتكرار والتضاد والسجع لشد انتباه المتلقي بالنص، وتفاعله معه.

وقد يأخذ المعنى من مجموعة من الآيات القرآنية التي تأتي في مواضع مختلفة من القرآن إلا أن معناها واحد فيستحضرها جميعاً في نص واحد كما في قوله في عهد له(عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ**»[١]. فقد صاغ الإمام (عليه السلام) معانيه في هذا النص من معاني قرآنية فعند إمعان النظر فيه نجده يحيلنا إلى المنابع القرآنية التي استقى منها تلك المعاني، وهي:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٢].

قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾[٤]، قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**﴾[٥].

لقد جمع الإمام (عليه السلام) هذه النصوص القرآنية في مقطع تأخذ جُملُه بعضها برقاب بعض لتوصل المتلقي (القارئ) إلى ساحة الفهم والإدراك

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٦٣ (ك ٢٧).
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) غافر: ١٩.
(٤) القمر: ٥٣.
(٥) الزلزلة: ٦.

بأسلوب وعظي معتمد على التكثيف والاختزال للنصوص القرآنية بصورة مؤثرة بتوظيفه للتضاد والتوازي التركيبي والسجع على نحو متناسق بعيد عن التكلّف أو الملل. ومثله أيضاً قوله في كتاب له إلى الحارث الهمذاني: «**وَأَطِعِ اللهَّ فِي جَمِيلِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهَّ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا**»(١).

ازدحم هذا النص بأصداء وظلال لنصوص قرآنية عديدة ارتبطت بوشاح معنوي وعظي يوحدها، وتلك المرجعيات القرآنية هي، قوله تعالى: ﴿**لْكَ حُدُودُ اللهَّ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَّ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾(٥).

فقد استحضر الإمام (عليه السلام) المعنى من كتاب الله عز وجلّ. إذ مثل النص حشداً دلالياً لكل هذه النصوص القرآنية التي اختزلها في تعبير (أطع الله في جمل امورك) لادراكه حاجة المقام لهذا التعبير في إيصال المعنى للمتلقي.



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤٢ (ك ٦٩).
(٢) النساء: ١٣.
(٣) النساء: ٦٩.
(٤) النور: ٥٢.
(٥) الأحزاب: ٧١.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الحشد للآيات يكثر في مواضع النصح والوعظ والتذكير والزجر والتهديد[1]، ومعلوم أن الغرض المرجو من النص هو الوعظ الديني، وقد مكنّه التناص المعنوي من التوصل ((إلى وحدة معنوية، ضمن بناء موحد فتجعل النص متماسكاً في مستوى ادبي جميل وفاعل))[2].

إذ عمد الإمام أيضاً إلى العدول عن ضمائر الجمع إلى ضمير المفرد ليتلاءم مع سياق النص وحتى تظهر دلالة التناص واضحة وجلية في النص جاء بالتكرار في التعليل موضحاً سبب الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى وكذلك أضاف التناص القرآني بعداً دلالياً إلى نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة فالاستحضار القرآني من جهة اللفظ أو المعنى وتوظيفه في سياقات هذه النصوص زاد من قيمتها الإبداعية إلى جانب ما حققه من تماسكها وترابطها لربطها بين أجزاء النص المكونة له.



**القسم الثاني تناص الأحاديث النبوية:** ونعني بتناص الأحاديث النبوية استحضارها في نصوص الرسائل والوصايا من جهة اللفظ والمعنى أي بصورة كاملة، أو من جهة المعنى فقط، والظاهر من البحث أن كلّ تناص للأحاديث النبوية قد جاء استحضارها من جهة المعنى فقط؛ لأن علماء البلاغة يرون أن التناص هو أن بضمن الكلام نظماً أو نثراً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف تزييناً لنظامه، وتفخيماً لشأنه، لاعلى أنه منه، بأن لا يقال فيه (قال تعالى، أو قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحوه، فإن ذلك لا

(١) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، أطروحة دكتوراه، كاظم عبد فريح المولى: ١٥٠.
(٢) نفسه: ١٥٠.

يكون تناصاً[1]، وعليه فما ورد متصدراً بـ (قال النبي أو قال رسول الله) لا يدخل في باب التناص، وإنما يعد من باب الاستشهاد. وقد اعتمد الإمام على الأحاديث النبوية بعدّها المصدر الثاني من مصادر التشريع ومصداقاً للسنة النبوية وأهميتها عند المسلمين، فيحدث بذلك تأثير قوي وفعّال عند المتلقي.

ومن أمثلة التناص مع الحديث النبوي قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): «**يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا**»[2]. قدّم الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع درساً أخلاقياً للحياة المتوازنة عكسه قوله: «**فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا**» وهذا القول جاء متناصاً مع حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة المعنى وأصل الحديث: «**من الإيمان أن يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**»[3]، فهو معنى عام يشمل الناس جميعاً؛ ((لأن الحبّ معناه الأخوة، والإنسانية، والتكافل والتضامن، والقوة، والنجاح، وبالحبّ تستقيم الحياة، ولا معنى لحياة بلا حبّ، وأيضاً لا معنى للكراهية إلا الحرب، والشقاق، والفشل، والتخلف))[4]، وهكذا كان مركز هذا المقطع لفظ (الميزان) لأنه يكون عادة ذا كفّتين، وليتحقق الوزن الصحيح فيه يجب أن تكون الأوزان في كفتيه متساوية في الخط الأفقي، فهو إذن المعادل الموضوعي بين سلوكي المتلقي، إذ ينبغي عليه أن يحب للأخرين ما يحبه



(١) ينظر: نهاية الإيجاز: ٢٨٨، حسن التوسل في صناعة الترسل: ٣٢٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٨٤ (و ٣١).
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ونستك: ١/ ٣٥، ١١١، ٤٠٦.
(٤) في ظلال نهج البلاغة: ٥/ ٢١٤.

لنفسه، وما يكره لنفسه ينبغي أن يكرهه للآخرين لتتساوى كفتا الميزان في عرض واحد[1]. وعمّق الإمام (عليه السلام) فكرة المساواة بين كفتي الميزان المعروضة في النص من خلال التوازي التركيبي في قوله: «**فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا**».

**فعل أمر + جارومجرور + (ما) الموصولة + فعل مضارع + جارومجرور**



فضلاً عمّا أضافه التضاد من إضاءات جديدة للنص الذي استوحاه الإمام من النفي الصريح في الحديث النبوي الشريف (لا يؤمن)، مجسداً للرفض الضمني من خلال طرح النقيض له إذ تساوت هذه المتضادات[2]* (أحبب وأكره)، (تحبّ، تكره) في عدد حروفها مما عكس صورة التساوي الحاصلة بين كفتي الميزان النفسي في ((أجعل نفسك ميزاناً))، وهكذا كان للتناص أثره في النص مما عمّق الفكرة فيه، وقد قدمها الإمام (عليه السلام) بصورة تجعلها أكثر فعالية وإثارة للمتلقي.

ومن التناص غير المباشر للحديث النبوي قوله (عليه السلام) في كتاب له لمّا استخلف إلى أمراء الأجناد: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ**»[3]. لقد كان هذا النص

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٩/ ٤٩٣.

(٢)* جاء في لسان العرب ((كرّه إليه الأمر تكريهاً: صيّره كريهاً إليه نقيض حببته إليه))، لسان العرب، مادة (كره): ١٣/ ٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٧٧ (ك ٧٩).

صدى معنوياً للحديث النبوي الشريف: «**إنّما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»[١].

وقد أراد الإمام (عليه السلام) من استعمال معنى الحديث النبوي إحداث التأثير الفاعل في نفوس أمراء الأجناد لذا نقله (عليه السلام) من دلالته العامة إلى دلالة قصديّة محددة نحو المتلقي على نحو غير مباشر لبيان النتائج المترتبة لهذا الفعل السيء لأنهم ((حجبوا عن الناس حقهم فاضطر الناس لشراء الحق بالرشوة، فانقلبت الدولة عن أولئك المانعين فهلكوا، وأنهم... كلفوهم بإتيان الباطل فأتوه وصار قدوة لهم يتبعها الأبناء بعد الآباء))[٢]. فمثل هذا الفساد الإداري لسياسة الدولة حالة كمال الفساد الإداري الذي أشار إليه الحديث النبوي بإقامة الحد على الفقير إذا سرق وترك الغني بدون محاسبة إذا فعل المنكر نفسه فوجه الشبه بين الحالين هو الذي دفع الإمام (عليه السلام) إلى الإتيان بالحديث النبوي الشريف لإبراز الفكرة وايضاحها لإبقائها راسخة في ذهن المتلقي.

**ثانياً: التناص الأدبي.**

ويقسم هذا التناص على قسمين:

١- تناص الأمثال.　　٢- تناص الأشعار.

إذ وظّف الإمام (عليه السلام) المثل والشعر القديم بأساليب بنائية لا تختلف كثيراً عن أساليب استعمال التناص الديني من حيث التصريح بنسبة النص

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: ١/ ٢٧٠، ٤٣١، ٣/ ١٠٤، ٥١٢، ٥/ ٤٩٢، ٧/ ٩٩.
(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٥٠٠.

المتناص إلى صاحبه، أو عدم التصريح به، او الحفاظ على صياغته الوحيدة، وربما حدث تغيير فيها لكي تترابط مع أجزاء النص.

فأما تناص الأمثال فهو: أن يضمّن الإمام (عليه السلام) في رسائله ووصاياه قسماً من الأمثال المشهورة لغرض يقتضيه السياق، وهي تعد ((ثروة أدبية كبيرة تعكس واقع كل من يستعملها ولذلك ترى أن المثل حينما يستحسنه المتلقي تراه يُردّد بين الحين والآخر، ويبقى خالداً على مرّ الأجيال وهذا يعود للصياغة الأدبية العالية عند قائلها الأول))[١]. وقد أهتم العرب بها إذ ((ليس في كلامهم أوجز منها، ولا أشدّ اختصاراً))[٢]. وللمثل القدرة على دعم الطاقة الدلالية للنص؛ لأنه يمثل ((صورة حيّة ماثلة لمشهدٍ واقعيّ، أو متخيّل، مرسومة بكلمات معبرة موجوزة، يؤتى بها غالباً لتقريب ما يضرب له من طريق الاستعارة، او الكناية أو التشبيه))[٣].

ومن بين نصوصه (عليه السلام) التي وردت فيها الأمثال مباشرة دون تغيير قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب: «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهَّ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاءِ اللهَّ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَر**»[٤].

(١) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢١٨.
(٢) المثل السائر: ١/ ٥٤.
(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير: ٦٠.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨١ (ك ٢٨).

فالمثل المتناص هنا ((كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ))[١] ويقال لكل من يحمل شيئاً أو يتحدث بأمر من الأمور عند من هو أعلم منه وأخبر به[٢]. وإن حديث معاوية في بيان عظمة الإسلام والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كحال من ينقل التمر إلى (هَجَر)، وهي مدينة اشتهرت بكثرة تمورها، فجاء بالمثل كناية عن العمل الذي لا فائدة من ورائه، فكان عاملاً ((من عوامل الإقناع النفسي للسامع، وجاء به (عليه السلام) ليحقق هذه الغاية، ووقع الأمر في اختياره وتوجيهه وفق منظومة نفسية تستند إلى شيوع المعنى ومعرفة المغزى للاستدلال على ما أريد بيانه))[٣]، لذا قصد الإمام الإتيان بهذا المثل في نهاية عرضه لعمل معاوية هذا من باب بيان النتيجة المترتبة على القيام به.

ومن التناص المباشر للمثل أيضاً ما جاء في الرسالة نفسها: «**وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا**»[٤].

فالمثل المتناص هنا (حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا)[٥] وهو مثل عربي معروف، يضرب لكل شخص أدخل نفسه في جماعة لم يكن جديراً بهم، وجعل نفسه

(١) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري: ٢/ ٢٣٣، مجمع الأمثال، الميداني: ٢/ ١٥٢، وقد ورد فيها بصيغة أخرى (كمستبضع التمر إلى هجر).
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٢٠.
(٣) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ١٩٤.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨١ (ك ٢٨).
(٥) المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٦٨.

في فئة ليس من مستواهم وقدرهم[1]. وقد استعمله الإمام (عليه السلام) في مورد معاوية، لأنه أراد ان يقول له: انك ((تخلط نفسك مع جماعة لست منهم، فأنت من الكفّار الطلقاء الذين أطلق سراحهم النبي يوم فتح مكة، فما أنت والمجاهدين والمهاجرين الأولين... أنت بهذه السوابق السيئة تعتبر من زمرة المحكومين ومن الرعية، فكيف تجلس على كرسيّ الحكّام وتدّعي التحكيم فيما بينهم؟))[2].



فجاء الإمام (عليه السلام) بهذا المثل كناية عن حال معاوية بالنسبة للمهاجرين الأولين، وقد وظّف أسلوب التوكيد باسم الفعل (هيهات) بمعنى (بَعُدَ) و (لقد) الذي خدم دلالة المثل أولاً وتدفع الشك عن كلام الإمام ثانياً، فضلاً عن ذلك السجع في (منها، لها) الذي تزينت به عبارتا الإمام (عليه السلام) فجاء مختوماً بصوت (الهاء) لتعبر عن الحالة الانفعالية والشعورية الخاصة بالإمام تجاه معاوية.

ومن التناص غير المباشر للمثل العربي قوله (عليه السلام) في وصيته لأبنه الحسن (عليه السلام): «**وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وَ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ**»[3]. نبّه الإمام (عليه السلام) ((على أن في البعداء من هو أقرب وأنفع من النسيب، وفي الأقرباء من هو أبعد من البعيد وهو مشهور))[4]، وهذا المعنى يرجعنا إلى

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٢١.
(٢) نفحات الولاية: ٩/ ٣٤٩.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١١٣ (و ٣١).
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٧٩.

المثل العربي المعروف ((ربّ أخٍ لك لم تلده أمك))[1]، فمن معرفة متلقي هذا النص نفهم الغاية المرجوة منه وهي النصح والإرشاد وهذه تعيننا في فهم وأدراك مقدار الوعظ وعظمته، والسياق هو الآخر يساعد في إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية.

لذا نجد الإمام (عليه السلام) يوظف عدداً من الوسائل اللغوية للتعبير عن المعنى المقصود وهي التضاد (قريب وبعيد) و (أبعد وأقرب) والتكرار (قريب وأقرب) و (بعيد وأبعد)، والتوازي التركيبي بين:



**رب قريب أبعد من بعيد**
**وربّ بعيد أقرب من قريب**

| حرف الجر | + اسم مجرور | + اسم مرفوع | + حرف الجر | + اسم مجرور |
|---|---|---|---|---|
| (ربّ) | على وزن (فعيل) | (مبتدأ) على وزن (أفعل) صيغة التفضيل | (من) | على وزن (فعيل) |

فهذه الوسائل اللغوية أسهمت في إثارة انتباه المتلقي وشده إلى معنى النص إذ استفاد من معنى المثل لكن صياغته (عليه السلام) جاءت على نحو أرقى وأرفع من الصياغة اللغوية للمثل العربي المتناص، ولا غرابة في ذلك ((فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق))[2].

(١) جمهرة الأمثال، العسكري: ١/ ٤٢٥، ٤٨١.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٤.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للمثل أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له لأبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه، لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل: «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ، وَايْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ وَلا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلُ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ، كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ**»[1].

تحدث الإمام (عليه السلام) في هذا النص الحافل بالدلالة والصوت إلى أبي موسى الأشعري حيث بلغه أنه يثبط الناس عنه فهو يأمره بأن يرفع ذيله ويشدّ مئزره، وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجبه والمسارعة إلى ذلك، وأمره أن يخرج من جحره، وأراد بذلك أن يخرج من الكوفة، وقد استعار له لفظ الجحر ليشبه بالثعلب ونحوه، ثم توعّده على قعوده وأقسم ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهو موضع التناص من المثل العربي ((ما يدري أيخثر أم يذيب))[2].

قال ابن ميثم البحراني فيه: ((وهما مثلان كنّى بهما عن خلط أحواله الصافية بالتكدير كعزّته بذلّته وسروره بغمّه وسهولة أمره بصعوبته))[3]، لقد أنصهر هذا المثل وذاب واختلط في هذا النص بحيث أصبح جزءاً منه يصعب فصله عنه وعزله، ثم يعجّله عن قعدته وهي هيأة قعوده إذ أراد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٤٦ (ك ٦٣).
(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٨١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٢٥٣.

الإمام (عليه السلام) غاية الإعجال، ثم أتى بكناية وهي في قوله: ((وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك))، كناية عن غاية الخوف[١]، لقد تماسكت هذه الفنون البيانية (الكنايات والاستعارة) في نص واحد وتلاحمت لتقدم صورة واحدة عن طبيعة المرسل إليه وموقف الإمام (عليه السلام) منه، وزاد هذا الترابط والتلاحم الدلالي المستوحى من التضاد الحاصل بين (زبدك وخاثرك)[٢] و (ذائبك وجامدك)[٣]، فضلًا عن التلاؤم الصوتي القائم على اختيار ألفاظ سارت على وفق نسق صوتي واحد متمثلاً بالسجع المُطرّف في (عليك ، ذيلك ، مئزرك ، جحرك ، معك ، خاثرك ، جامدك ، قعدتك ، أمامك ، خلفك). فأعاد الإمام (عليه السلام) صياغة المثل على نحو زاد من قيمته الأدبية والبلاغية فقد جمع النص بين الدلالة والصوت كما موضح في بالمخطط الآتي:

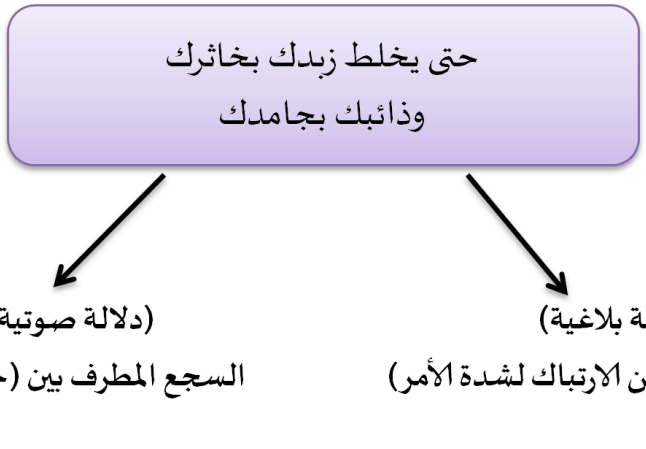


(١) ينظر: نفسه: ٥/ ٢٥٣.

(٢) جاء في اللسان ((قالوا في موضع الشّدّة: أختلط الخاثر بالزّبّاد، أي أختلط الخير بالشر والجيد بالردئ والصالح بالطالح))، لسان العرب، مادة (زبد): ٧/ ٨.

(٣) ((الجَمْد، بالتسكين: ما جمد من الماء، وهو نقيض الذوب))، نفسه، مادة (جمد): ٣/ ١٩.

ليترابط مع الجمل والعبارات السابقة واللاحقة له ويقدم نصاً واحداً متلاحماً صهر فيه الإمام (عليه السلام) صور متعددة لترسم لنا صورة جديدة أكثر تأثيراً وإثارة للمتلقي.

**ثالثاً: التناص الشعري.**

مثلما كان للأمثال العربية نصيب في عملية التناص كان للشعر أيضاً نصيب وإن كان على نحو أقل مما كان للمثل، وقد أثر التناص الشعري في النص من خلال تمهيده لرفد الدلالة وتعزيزها لما له من أثر في نفس المتلقي. ويقسم التناص الشعري في الرسائل والوصايا على قسمين:



(أ) التناص الشعري المباشر. (ب) التناص الشعري غير المباشر.

فأمّا القسم الأول فيتجلى باستحضار أنصاف الأبيات والأشطر فقط وهذا يعرف بـــ (الإبداع) وهو أن يأتي الناثر بنصف بيت لغيره ويجعله في كلامه[1] دونما تغيير في بنيته أو تركيبه. وهذا النوع قليل جداً مقارنة بالتناص غير المباشر للأشعار العربية، إذ لم يستعمله الإمام (عليه السلام) إلا في كتاب واحد بعثه إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب إذ حصل التناص الشعري المباشر لأنصاف الأبيات في ثلاثة مواضع عبرت عن معانٍ مختلفة، فالموضع الأول يتمثل في قوله (عليه السلام): «**وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ**

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري: ٣/ ٣٨٠.

**الْعُـذْرُ إِلَيْـكَ. وَتِلْـكَ شَـكَاةٌ ظَاهِـرٌ عَنْـكَ عَارُهَـا»**[1].

فقـد استشـهد الإمـام (عليه السلام) بشـطر (عجـز) ببيـت مـن قصيـدة لأبي ذؤيـب الهـذلي، والبيـت الـذي ورد فيـه هـو:

وعيّرهـا الواشـون إنّي أحبهـا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[2]

يريـد الشـاعر القـول إنّ سـعاية الواشـين بحبـه لصاحبتـه لا يعـدّ عيبـاً، ولـو كان هنـاك عيـب وعـار فهـو بعيـد عنـك، فهـو لا يحبهـا أصـلاً. وقـد أضحـى هـذا الشـعر مثـلاً يـضرب لمـن يحسـب أمـراً سـيئاً في حـين أنـه لا يرتبـط بـه، فـأراد الإمام (عليه السلام) باسـتحضار هـذا الشـعر أن يوضـح أن مـا ذكـره معاويـة ليـس ممـا وقـع عـلى معاويـة، أو يخصـه فيكـون العـذر لـه، فهـذا ليـس بعـار يلحـق الإمـام (عليه السلام) فجـاء استشـهاده بهـذا الشـطر متوافقـاً مـع سـياق النـص ونقـض هـذا الادعـاء يتضـح مـن اسـتعمال الإمـام (عليه السلام) لجملـة (زَعَمْـتَ)[3] التـي تشـير إلى أمريـن أرادهمـا الإمـام (عليه السلام) الأول: أن هـذه النسـبة التـي تدعـي أننـي حسـدت الخلفـاء نسـبة كاذبـة، ولاسـيما أنـك زعمـت في كلامـك أننـي شريـك في قتـل عثـمان وحقيقـة الأمـر أننـي كنـت أذبّ عنـه وأنهـي النـاس عـن قتلـه. والآخـر: عـلى فـرض أن هـذه النسـبة صحيحـة فهـي لا تتعلـق بـك يـا معاويـة[4].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٢-١٨٣ (ك ٢٨).

(٢) ديوان الهذليين: ١/ ٢١.

(٣) أكثـر مـا يسـتعمل الزعـم فيـما كان باطـلًا أو فيـه ارتيـاب، ينظـر: لسـان العـرب، مـادة (زَعَـمَ): ٧/ ٣٣ - ٣٥.

(٤) ينظر: نفحات الولاية: ٩/ ٣٧٤.

وهكذا يظهر التناص الشعري مترابطاً مع غرض النص وهو (التوبيخ) وليعكس قوة هذا الترابط نلحظ أن بداية الشاهد الشعري حرف عطف وهو (الواو) التي وصلت هذا الشاهد بالجمل السابقة لها فكانت كُلاً واحداً متلاحماً إذ لم يكن هذا الشاهد مع أنه أنتج في سياق مختلف عن سياق هذا النص العلوي ألا أنّ الإمام (عليه السلام) كان موفقاً في توظيفه في رسالته إذ لم يشعرنا بغرابته عنه.



أما الموضع الثاني من الرسالة نفسها فيتجلى في قوله: «**وَمَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ، وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ**»[1].

تمثل التناص بشطر آخر هو (وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ) والشعر لأكثم بن صيفي وصدر البيت:

وكم سقت في آثاركم من نصيحةٍ ... وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ[2]

ومعنى البيت أنك إذا بالغت في النصح لصاحبك ظن أنك تريد حظاً لنفسك، وأنك إذا بالغت في النصيحة فتأهب للتهمة[3]. يقول الشيخ محمد عبده في شرحه: ((الظنة بالكسرة، التهمة والمتنصح: المبالغ في النصح لمن لا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).

(٢) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ٢/ ١٦١، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣١.

(٣) ينظر: جمهرة الأمثال: ٢/ ١٦١.

ينتصح أي ربما تنشأ التهمة من إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها))[1]، فالإمام (عليه السلام) أكثر من نصحه لعثمان بن عفان وهذا ما ذكره في كلام سابق من الرسالة نفسها، فقال: «**فَأَيَّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَ اسْتَكَفَّهُ، أَمِنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ**»[2].

ويقصد الإمام (عليه السلام) معاوية الذي تقاعس عن نصرة عثمان بن عفان في أحداث الفتنة، في حين كان الإمام علي (عليه السلام) قد وقف إلى جانبه، ولم يبخل بالنصيحة حتى لو أسيء الظن به ونتيجة لإسرافه في النصح والوعظ أتُهم فتمثل بهذا الشطر من البيت ولو تأملنا هذا التناص لرأينا أن هذا الشطر بدأ بحرف العطف الذي وصله بالكلام السابق له كما في التناص السابق وقد سبقته جملة (رُبّ ملوم لا ذنب له) وهو مثل لأكثم بن صيفي، ((ويضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه))[3] مما يصوّر ترابطهما المعنوي واشتراكهما في الحكم. فهذان التناصان وإن صدرا عن شخص واحد في سياقين مختلفين إلا إن استحضارهما جاء ليؤكد براءة الإمام (عليه السلام) من التهم التي وجهها معاوية إليه والرد عليه ويفهم ذلك من المعنى الذي يدركه المتلقي منهما بمجرد سماعه لهذه النصوص الأدبية. ففي الموضعين السابقين اقتصر



(١) نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٣/ ٤١٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣ (ك ٢٨).
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣٠.

التناص على الشطر الثاني للبيتين، أما في الموضع الثالث فقد استحضر الإمام (عليه السلام) الشطر الأول من البيت الذي ورد فيه، وذلك في قوله: «**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلاّ السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَ بِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ، لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ، فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ،وَ قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ**»[1].

حيث وقع التناص في القول: (لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ) وهو الشطر الأول (صدر) من البيت:

لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَل ما أحسن الموت إذا الموت نزل

وقيل أصله أنّ مالك بن زهير توعّد (حمل بن بدر)، فقال حمل: لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل (البيت)، فأرسل مثلاً يضرب للوعيد، ثم أتى وقتل مالكاً، فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلهما[2].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٨٣-١٨٤ (ك ٢٨).

(٢) ينظر: جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٠٦، المستقصى: ٢/ ٢٧٨، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣١.

وقد استحضر الإمام علي (عليه السلام) بعد سؤال خرج لمعنى الاستغراب أراد به أن ينفي الخوف عن بني عبد المطلب من الأعداء والسيف فجاء التناص موظفاً توظيفاً دلالياً لإفادة التهديد (تهديد معاوية) والذي يؤكد ذلك قوله: «**فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ**»، ففيه ((شروع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد إليه في الجيش العظيم، ووصفه بأوصاف تزلزل أركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام))[1].

فسرّ استحضار الإمام (عليه السلام) أشطر الأبيات الثلاثة بجوابه في رسالة إلى معاوية يعود إلى أن رسالة معاوية جاءت متضمنة موضوعات مختلفة يتهم فيها الإمام علي (عليه السلام) بـ (حسد الخلفاء، قتل عثمان)، وتخويفه بالسيف فجاءت هذه المقتطعات الشعرية لتقيم علاقات سياقية وبنائية جديدة تشير إلى معانٍ جديدة يتطلبها النص المتضمن لها فتنصهر في بناء مترابط ذي نسيج متساوق.

ومن التناص الشعري غير المباشر (المعنوي) ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عُمّاله: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رجل أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَتَكَتْ وَشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣٢.

**ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ وَلا الأَمَانَةَ أَدَّيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمُصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ - لا أَبَا لِغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ»**[1].

مع أنّ الكتاب وضع في الأصل تحت عنوان (إلى بعض عُمّاله)، غير أنّ ما يذكره الشراح من أنه كتبه إلى ابن عمّه (عبد الله بن العباس) لوجود قرائن استدلوا بها لإثبات ذلك كقوله: «فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ» و «قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ» و «ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ» وذهب بعضهم أنه موجه لعبيد الله بن عباس[2]. وقد وقع التناص في قوله: «قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ» وهو من قول الشاعر (معن بن أوس).

قَلَبْتَ له ظَهْرَ الْمِجَنِّ فلم أدم ... على ذاك إلاّ ريثما أتحول[3]

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٧ (ك ٤١).

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٧٠، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ١١٢-١١٣.

(٣) ينظر: المستقصى من أمثال العرب: ٢/ ١٩٨.

لقد جاء التناص معبراً عن الصورة الكنائية وهي التغّير والتقلب والتنكر في الأحوال والأمور لهذا القول: ((يضرب مثلاً لمن يكون مع أخيه فيتغيرّ عليه ويصير خصماً له، وأصله أن الرجل إذا كان سلماً لأخيه يكون بطن ترسه إليه فإذا فارقه وصار حرباً له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شرّه، فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة))[1]، فعبرّ بقوله هذا عن تغيرّ حال ابن عمه وهو تغيرّ انقلب من النقّيض إلى النقيض من الصداقة إلى العداوة فترجم التناص عن دلالة التوبيخ لابن عمه لتصرفاته وأحواله.



فبعد تقديمه (عليه السلام) صورة لطبيعة الواقع الذي تعيشه الأمة نجده ينتقل لتقديم صورة لخيانة القريب في خضم أحداث تكالبت وترافقت، قد اشترك فيها الزمن والعدو والأمة فقد أوجع قلب الإمام (عليه السلام) خيانة أقرب الناس إليه (ابن عمه) وتمثلت هذه الخيانة بالمفارقة والخذلان وسرقة أموال الناس، فقد عبرت الصورة الكنائية الثانية عن غضب الإمام (عليه السلام) من هذه الخيانة الظالمة؛ لذلك قال: ((واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة))، فالذئب الأزل: الخفيف الوركين كناية عن شدة عدوه وسرعة وثبه على معزى دامية، وهي كناية عن ضعفها فكانت نهاية النص المحلل تكشف عن توبيخ الإمام (عليه السلام) لهذا العامل على نحو أشد وأقوى. فضلاً عن ذلك جاء التناص متوسطاً بين جمل مسجوعة (كلب ، حرب) ، (خزيت ، شغرت) وأخرى بعده (مفارقين ، خاذلين ، الخائنين) ، (آسيت ، أديت)، وكأنه يمثل نقلة موسيقية تتيح فرصة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ١١٤-١١٥.

تنويعها على نحو منسجم ومتوازن، مما يشدّ انتباه المتلقي إلى طبيعة لغة النص وكيفية انتظامها لتعبر عن مقصدية المتكلم بصورة أكثر فاعلية.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للشعر العربي أيضاً قوله (عليه السلام) في وصية له وصّى بها شريح بن هاني، لمّا جعله على مقدمته إلى الشام: «**وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ**»[1].



وقع التناص هنا مع قول الشاعر:

والنفس راغبةٌ إذا رغبتها ... وإذا انزدّ إلى قليلٍ تقنعُ[2]

إذ استطاع الإمام (عليه السلام) من حل البيت الشعري ونثره في كلامه من خلال إعادة صياغته بما يتلاءم والسياق النصيّ للوصية بحيث تنسجم ألفاظه مع ما جاورتها من جمل ومفردات وتراكيب، فتعمل على إيصال المعنى إلى المتلقي، موظفاً دلالة الفعل (تردع)[3] الذي ((جسّم النفس الإنسانية وأخرجها من عالم المعنويات إلى عالم الوجود المادي... وكأنّ النفس فرس جامح يحتاج إلى ردع حتى يورد صاحبه موارد الهلكة))[4].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٣٨ (و ٥٦).
(٢) ديوان الهذليين: ١/ ٣.
(٣) (الرَدْع العنق: وسمي العنق ردعاً لأنه به يَرْدعُ كُل ذي عُنقُ من الخيل وغيرها)، لسان العرب، مادة (ردع): ٦/ ١٣٥.
(٤) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٢٢٦.

إذ إن المتلقي يكاد يرى صورة النفس ماثلة أمامه ممّا عمّق دلالة النص، فحين ((تصور المعاني بهيئة الأشخاص تكون أثبت في الأذهان لمقدرة المتلقي الاستعانة بحواسه في تصورها))[1]، فالنفس هي الذات الفاعلة في كلا النصيين إلا أنّ تجسيدها في كلام الإمام (عليه السلام) جعلها أكثر تأثيراً وجذباً للمتلقي مما في البيت الشعري.



**رابعاً: التناص التاريخي.**

هو تداخل نصوص تاريخية أو شخصيات أو حوادث مع النص المعني بالدراسة والتحليل والغاية من ذلك تأكيد فكرة أو مسألة معينة[2]. وللتناص التاريخي أثر كبير عند وروده في النص، وهذا ما أكده بعض الباحثين بقوله: (( فللتناص التاريخي هدفه عند الكاتب: ايجاد تقارب فكري، ونفسي بين الماضي والحاضر لغرض كشف الحاضر والإشارة الصريحة إلى مساوئه))[3].

ويتمثل هذا النوع من أنواع التناص في نص واحد فقط، لكن وجوده يؤدي أثراً كبيراً من خلال التحامه مع المعنى الأصلي من أجل خدمة الفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي، وذلك في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى شريح بن الحارث قاضي الإمام (عليه السلام) لّما بلغه أنه اشترى داراً بثمانين ديناراً: «**اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ**

(١) نفسه: ٢٢٦.

(٢) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢٢٥.

(٣) رؤيا الملك، أوماندانا وستافروب، دراسة أسلوبية، (بحث منشور)، د. فاضل عبود التميمي: ١٧٢.

**الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ؛ فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ. فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْقَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ الدُّنْيَا»**[1].



لقد تمثل: التناص التاريخي في هذا النص في ما ذكره من حال ملوك الأمم السابقة مع ما لهم من عزّ وقوة فهو إلى زوال بفعل الموت، إنها انتقالة من الماضي إلى الحاضر (زمن القاضي شريح بن الحارث) فهذا هو تأثير التناص ((فالأرتداد إلى الماضي، أو استحضاره من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع، فقد يحدث تماس ... يؤدي إلى تشكيلات تداخلية))[2]، تسهم في رُقي النص وتزيد من قيمته الجمالية التي بدروها تعمل على إقناع المتلقي بالفكرة المعروضة عليه ، فلا يشك بشيء، إذ توجه الإمام (عليه السلام) إلى التاريخ ليستخرج منه الدليل والبرهان على صدق ما يقول، والجامع بين الحالين هو أن ((الملك المضمون هو ما ستلقاه أمامنا، وما نملكه في الدنيا إلى زوال، وإن لم يكن كذلك فنحن الزائلون، فلا ينفع ما بنيناه، وما شيدناه، وزخرفناه))[3].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٧-٢٨ (ك ٣).

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب: ١٤٢.

(٣) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٤٠.

ومما يلفت الانتباه هنا تأكيد الدلالة من خلال: التناص القرآني: ((خسر هنالك المبطلون)) وهو تناص من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[1].

لقد جاءت الآية الكريمة في النص في موقعها المناسب، فلولا ((ذكرها لبقي الكلام ناقصاً ومثلوماً وأوصلنا السامع إلى ساحة الاعتبار، والتفكر، وجعلته على مشارف نجدين، كلاهما يدعوه ألاّ يكون من الخاسرين، وفي اسم الإشارة (هنالك) إحالة إلى المكان البعيد للدلالة على البعد الزماني الناتج من الإشارة إلى البعد المكاني، لأن الكلام عن يوم القيامة ولّما كان الإمام(عليه السلام) في مقام الدعوة إلى التذكير والتقريع، والترهيب لزم استحضار آية تزيد من هذا كله، فكانت شديدة الوقع على النفس، لإيرادها بصورة مفاجئة، فأدت غرضها))[2].

إذن فالإمام في ضوء نصحه وإرشاده لقاضيه شريح بن الحارث عندما بلغه شراؤه داراً من غير ماله وحلاله ينطلق من تناصين أحدهما مكمل للآخر لخدمة الغرض الوعظي الديني بأنّ من يهتم بالأمور الدنيوية الزائلة كمال هؤلاء الملوك الزائلين.

يتضح لنا في دراسة كلّ أنواع التناص أنها عملت على ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وعلى تداخل وتعالق نص حاضر ونص غائب لخلق نص



(١) غافر: ٧٨.

(٢) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٤٠.

جديد يحمل دلالات جديدة؛ للتعبير عن ظروف أو مواقف تستدعيها ملغية كلّ الفوارق بين الأجناس الأدبية، فهو عملية دينامية مستمرة تحصل بين النصوص لتخدم كلاً من الكاتب والمتلقي في عملية التواصل والتفاهم الناجح بينهما، إذ تلغى فيه كل الحدود بين الماضي والحاضر. فقد استطاع الإمام علي (عليه السلام) الإفادة من هذه المصادر في إثراء لغته وإبراز ثقافته الإسلامية، وأن يوظفها توظيفاً فنياً محكماً تكاد تختفي معالمه وصوره إذ كانت جزءاً لا يتجزأ من كلامه، الذي لم يأت خالصاً لذاته، وإنما جاء مبنياً على طريقة المزج بينها، مما جعلها تسري في نصوص الرسائل والوصايا سرياناً انسيابياً، وقد أدى ذلك إلى أن تكون تلك المصادر لبنات تزيد من قوّة تماسك البناء الفني لنصوصه، كذلك عملت على نقل تلك النصوص من حيز البساطة إلى حيز الوعي الفني في صرح لغويّ بناء بعيداً عن التقرير إلى الإيحاء.

# المصادر والمراجع


**القرآن الكريم**

١. أبنيـة الصّـرف فـي كتـاب سـيبويه، د. خديجـة الحديثـي، ط١، منشـورات مكتبـة النهضـة، بغـداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢. الاتجاهـات الحديثـة فـي علـم الأسـاليب وتحليـل الخطـاب، د. علـي عـزت، ط١، دار نوبـار للطباعـة، شـركة ابـو الهـول للنشـر، القاهـرة، مصـر، ١٩٩٦م.

٣. اجتهـادات لغويـة، د. تمـام حسـان، ط١، عالـم الكتـب، القاهـرة، ٢٠٠٧م.

٤. الإحالـة فـي القـرآن الكريـم، د. عبـاس علـي الأوسـي، ط١، دار ضفـاف للطباعـة والنشـر والتوزيـع، دمشـق، سـوريا، ٢٠١٢م.

٥. الإحالـة فـي نحـو النـص، د. أحمـد عفيفـي، د.ط.، كليـة دار العلـوم، جامعـة القاهـرة، د.ت.

٦. إحـكام صنعـة الـكلام فـي فنـون النثـر ومذاهبـه فـي المشـرق والأندلـس، الكلاعـي (ت ٥٥٠هـ)، تـح: محمـد رضـوان الدايـة، ط٢، بيـروت، ١٩٨٥م.

٧. أدب الرسـائل فـي الأندلـس فـي القـرن الخامـس الهجـري، فايـز عبـد

النبي فلاح القيسي، ط١، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٨. أدوات النص، محمد تحريشي، د.ط.، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

٩. أساليب بلاغية (الفصاحة -البلاغة- المعاني)، د. أحمد مطلوب، ط١، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م-١٩٨٠م.

١٠. أساليب المعاني في القرآن الكريم، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

١٢. أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: ه. ريتر، (د. ط.)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

١٣. الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، د. عز الدين اسماعيل، د. ط.، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٤. أسس لسانيات النص، مارغوت هاينمان وفولفنغ هاينمان،

تـر: أ. د. موفـق محمـد جـواد المصلـح، ط١، دار المأمـون، بغـداد، ٢٠٠٦م.

١٥. الأسـس النفسـية لأسـاليب البلاغـة العربيـة، د. مجيـد عبـد الحميـد ناجـي، ط١، المؤسسـة الجامعـة للدراسـات والنشـر والتوزيـع، ١٩٨٤م.

١٦. الأسـلوب (دراسـة بلاغيـة تحليليـة لأصـول الأسـاليب الأدبيـة)، أحمـد الشـايب، ط٧، مطبعـة السـعادة، مكتبـة النهضـة المصريـة، القاهـرة، مصـر، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٧. أسلوب طـه حسين فـي ضـوء الـدرس اللغـوي الحديـث، البـدراوي زهـران، د.ط.، دار المعـارف، مصـر، د.ت.

١٨. أسلوب علـي بـن أبـي طالـب (عليه السلام) فـي خطبـه الحربيـة، د. علـي أحمـد عمـران، د. ط.، المكتبـة المتخصصـة بأميـر المؤمنين (عليه السلام)، مشـهد المقدسـة، إيران، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٩. الإسـلوبية مدخـل نظـري ودراسـة تطبيقيـة، د. فتـح الله أحمـد سـليمان، د.ط.، الـدار الفنيـة للنشـر والتوزيـع، ١٩٩٠م.

٢٠. أصـوات اللغـة، د. عبـد الرحمـن أيـوب، ط٢، مطبعـة الكيلانـي، ١٩٦٨م.

٢١. الأصـوات اللغويـة، د. إبراهيـم أنيـس، ط٣، مطبعـة محمـد عبـد الكريـم حسـان، الناشـر، مكتبـة الأنجلـو المصريـة، ٢٠٠٧م.

٢٢. الأصوات اللغوية، د. زين الخويسكي، ط١، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٣. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٢٥. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، د.ط.، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٦. الألسنية (محاضرات في علم الدلالة)، د. نسيم عون، ط١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٢٧. انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، د. سعيد يقطين، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٢٨. أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م – ١٩٦٩م.

٢٩. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠. بدائع الفوائد أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: علي بن محمد العمران، (د. ط.)، دار الحاكم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت.

٣١. البديع، عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تح: اغناطبوس كراتشقوفسكي، ط٣، دار المسيرة، الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٢. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٣٣. البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان، د. ط.، مركز دلتا للطباعة، الناشر منشأة معارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

٣٤. البديع والتوازي، د. عبد الواحد حسن الشيخ، ط١، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ١٤١٩ه/ ١٩٩٩م.

٣٥. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، د. ط.، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

٣٦. البلاغة العربية أسسها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦م.

٣٧. البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ

أميـن، ط١، دار العلـم للملايـين، ١٩٨٧م.

٣٨. البلاغـة العربيـة (قـراءة أخـرى)، د. محمـد عبـد المطلـب، ط١، دار نويـار للطباعـة، الشـركة المصريـة العالميـة للنشـر، لونجمـان، القاهـرة، مصـر، ١٩٩٧م.

٣٩. بلاغـة الكتّـاب فـي العصـر العباسـي (دراسـة تحليليـة نقديـة لتطـوّر الأسـاليب)، د. محمـد نبيـه حجـاب، ط٢، مكتبـة الطالـب الجامعـي، مكـة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٠. بلاغـة الكلمـة فـي التعبيـر القرآنـي، د. فاضـل صالـح السـامرائي، ط١، دار عمـار للنشـر والتوزيـع، عمـان- الأردن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤١. بلاغـة النهـج فـي نهـج البلاغـة، د. عبـاس علـي الفحـام، ط١، دار الرضـوان للنشـر والتوزيـع، عمـان، الأردن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٤٢. البلاغـة والأسـلوبية، د. محمـد عبد المطلب، ط١، الشـركة المصرية العالميـة للنشـر، لونجمـان، طبـع فـي دار نوبـار للطباعـة، القاهـرة، ١٩٩٤م.

٤٣. بنـاء الأسـلوب فـي شـعر الحداثـة (التكويـن البديعـي)، د. محمـد عبـد المطلـب، ط٢، دار المعـارف، القاهـرة، مصر، ١٩٩٥م.

٤٤. بنيـة اللغـة الشـعرية، جـان كوهـن، تـر: محمـد الولـي ومحمـد العمـري، ط١، دار توبقـال، المغـرب، ١٩٨٦م.

٤٥. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، ط١، مطبعة سبهر، دار أمير كبير للنشر، طهران، إيران، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٦. بهجة الخاطر ونزهة النّاظر في الفروق اللغوية والاصطلاحية، الشيخ يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني، تح: أمير رضا عسكري زادة، د. ط.، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ت.

٤٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مطبعة المدني، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٨. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تر: د. عبد الحكيم النجار، ط ٥، دار المعارف، د. ت.

٤٩. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م.

٥٠. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بن هبة الله الشافعي بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، د. ط.، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥١. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ه)،

٥٢. تح: د. حنفي محمد شرف، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة أحياء التراث الإسلامي، (د. ط.)، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٥٣. تحليل الخطاب، بروان ويول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، د.ط.، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، ١٩٩٧م.

٥٤. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٢م.

٥٥. التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٦. التداولية عند العلماء العرب ((دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي)، د. مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٥٧. الترابط النصّي بين الشعر والنثر، د. زاهر بن مرهون الداودي،

ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.

٥٨. تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، ط٣، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٣٧٥هـ ١٤١٧هـ.

٥٩. التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، د. ط.، دار الشروق. (د. ت.).

٦٠. التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، ط٣، دار الشروق، حلب، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م.

٦١. التفاعل النصي (التناصية، النظرية والمنهج)، نهلة فيصل الأحمد، ط١، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٦٢. التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فايز القرعان، ط١، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان، ١٩٩٤م.

٦٣. التكرار، د. حسين نصّار، ط١، الشركة الدولية للطباعة، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٤. التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٦٥. التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، د. محمد مفتاح، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

٦٦. التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، د. سمير إبراهيم وحيد العزّاوي، د. ط.، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٧. توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٨. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، د. ط.، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

٦٩. الجملة الإسمية، د. علي أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٧٠. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م.

٧١. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ)، تح: فخر الدين قيادة، محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧٢. حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ط٤، المؤسسة الدولية للطباعة

والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

٧٣. حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تح: أكرم عثمان يوسف (د. ط.)، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٧٤. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمي، مطبعة دار الكتب المصرية، د. ط.، ١٣٧٦هـ/ ١٩٧٥م.

٧٥. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، د.ط.، منشورات الجامعة التونسية، طبع بالمطبعة للجمهورية التونسية، ١٩٨١م.

٧٦. خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. محمد محمد أبو موسى، ط٤، أميرة للطباعة، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٧٧. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، د. عبد الله الغذامي، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

٧٨. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د. تمّام حسّان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٧٩. الدراسات اللّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، د.ط.، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

٨٠. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، (د.ط.)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨١. الدرس النحويّ النصيّ في كتب إعجاز القرآن الكريم، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم، د.ط.، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٨٢. الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ت.

٨٣. دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٨٤. الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي (ت ٧٤٩هـ)، ط١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٨٥. دينامية النصّ (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م.

٨٦. ديوان الهذليين، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٨٧. رسائل الإمام علي (عليه السلام) (دراسة ادبية نقدية)، د. كامل حسن عزيز البصير، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٨٨. رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة لغوية)، رملة خضير مظلوم البديري، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، العراق، ٢٠١٢م.

٨٩. سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، د.ط.، أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م.

٩٠. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩١. شرح الرّضيّ على الكافية، محمد بن الحسن الرّضيّ الأستراباذي (ت ٦٨٦ه)، تح: يوسف حسن عمر، ط٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، (د. ت.).

٩٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط.)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).

٩٣. شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ه)، د.ط.، المنيرية، القاهرة، مصر، د.ت.

٩٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٩٥. شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، ط١، مطبعة وفا، قم، إيران، ١٤٢٧هـ.

٩٦. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي (ت ٣٩٥ه)، تح: د. عمر فاروق الطبّاع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد القلقشندي، (ت ٨٢١ه)، (د. ط.)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠ه/ ١٩٢٢م.

٩٨. الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، د.ط.، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨١م.

٩٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، (د. ط.)، مطبعة المقتطف، ١٣٣٢ه/

١٩١٤م.

١٠٠. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، د.ط.، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

١٠١. العربية الفصحى، هنري فليش، تر: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق ش. م. م.، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٠٢. العلاماتيّة وعلم النص (نصوص مترجمة)، اعداد وترجمة: د. منذر عيّاشي، ط١، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.

١٠٣. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط١، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

١٠٤. علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، د. ط.، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.

١٠٥. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٥، مكتبة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٠٦. علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، تر: د. يؤئيل يوسف عزيز، (د. ط.)، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

١٠٧. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، (د. ط.)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت.).

١٠٨. علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، د.ط.، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٩. علم اللغة النصيّ (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٠. علم لغة النّص بين النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١١. علم لغة النّص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر الجديدة، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م.

١١٢. علم النص، جوليا كريستيفيا، تر: فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.

١١٣. علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، تر: سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

١١٤. علم النفس في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، ط١، مطبعة القضاء، منشورات دار الوفاق، النجف، ١٩٩٠م.

١١٥. العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابو علي الحسن بن

رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، سوريا، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١١٦. غريب نهج البلاغة (أسبابه، أنواعه، توثيق نسبته، دراسته)، د. عبد الكريم حسين السعداوي، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١١٧. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٤٠٠ه)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١٨. فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٥م.

١١٩. فقه اللغة وخصائص العربية – دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد –، د. محمد المبارك، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٤م.

١٢٠. فن الجناس (بلاغة- أدب- نقد)، علي الجندي، د.ط.، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٤م.

١٢١. في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان توردورف – رولان بارت – امبرتوايكو، مارك انجينو، تر: أحمد المديني، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

١٢٢. في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية)، د. سعد أبو الرضا، د.ط.، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.

١٢٣. في الشعر، أرسطو طاليس، نقل أبي بشر متىّ بن يونس القُنّائي من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية، د. شُكري محمد عيّاد، د.ط.، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦ه/ ١٩٦٧م.

١٢٤. في الشعرية، كمال أبو ديب، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ١٩٨٧م.

١٢٥. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، تح: سامي الغريري، ط١، مطبعة ستار، الناشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

١٢٦. في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، د. شرف الدين علي الراجحي، د.ط.، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

١٢٧. في قراءة النص، د. قاسم المومني، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.

١٢٨. في نظرية الآدب، د. شكري عزيز الماضي، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

١٢٩. قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، د.ط.، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٣٠. قراءات بلاغية، د. فاضل عبود التميمي، ط١، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، العراق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٣١. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٥م.

١٣٢. الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، مراجعة: د. سمير شمس، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٩م.

١٣٣. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣٤. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار ضياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

١٣٥. كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. علي دحروج، نقل النّص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناتي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون،

بيـروت، لبنـان، ١٩٩٦م.

١٣٦. الكلمـة دراسـة لغويّـة معجميّـة، د. حلمـي خليـل، ط٢، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسـكندرية، مصـر، ١٩٩٨م.

١٣٧. الكلمـة فـي اللسـانيات الحديثـة، د. عبـد الحميـد عبـد الواحـد، ط١، مطبعـة النفيـر الفنـي، صفاقـس، تونـس، ٢٠٠٧م.

١٣٨. لـذة النـص، رولان بـارت، تـر: د. منـذر عيّاشـيّ، ط١، مركـز الإنمـاء الحضـاري، حلـب، سـوريا، ١٩٩٢م.

١٣٩. لسـان العـرب، الإمـام العلامـة أبـو الفضـل جمـال الديـن محمـد بـن مكـرم ابـن منظـور الأفريقـي المصـري

١٤٠. (ت ٧١١ هـ)، ط٧، دار صادر، بيروت، د. ت..

١٤١. لسـانيّات النـصّ (مدخـل إلـى انسـجام الخطـاب)، د. محمـد خطابـي، ط١، المركـز الثقافـي العربـي، بيـروت، ، لبنـان، الـدار البيضـاء، المغـرب، ١٩٩١م.

١٤٢. لسـانيات النـص نحـو منهـج لتحليـل الخطـاب الشـعري، د. أحمـد مـداس، ط٢، عالـم الكتـب، أربـد، الأردن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٤٣. لسـانيّات النـصّ النظريـةّ والتطبيـق مقامـات الهمذانـيّ أنموذجـاً، لينـدة قيّـاس، ط١، مكتبـة الآداب، القاهـرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٤٤. اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، د. تمـام حسـان، د.ط.، دار الثقافـة،

الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

١٤٥. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٧م.

١٤٦. مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، أ. ريتشاردز، ترجمة وتقديم وتعليق: د. مصطفى بدوي، مراجعة:

١٤٧. د. لويس عوض وسمير القلماوي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م

١٤٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تح: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، د.ط.، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د. ت.

١٤٩. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ)، تح: محمد محي الدين بن عبد الحميد، د.ط.، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

١٥٠. مجهول البيان، د. محمد مفتاح، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.

١٥١. مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

١٥٢. المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، د.ط.، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥٣. مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، تر: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد، د.ط.، مكتبة التربية، نابلس، مطبعة دار الكاتب- سمير أميس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٥٤. مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجر، تر: سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

١٥٥. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، (د. ط.)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩ه.

١٥٦. مدخل إلى علم النّص (مشكلات بناء النص)، زتسسيسلاف وأورزنياك، تر: د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥٧. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م.

١٥٨. مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي، ط١، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م.

١٥٩. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ط١، دار الوفاء

لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

١٦٠. مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو واللغة، د. مهدي المخزومي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

١٦١. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ط٢، بيروت، ١٩٧٠م.

١٦٢. المستقصى من أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨ه)، ط١، مطبوعات دار المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٣٨١ه/ ١٩٦٢م.

١٦٣. المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٨م.

١٦٤. المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنجليزي- عربي)، د. محمد عناني، ط٣، طبع في دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٦٥. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٩م.

١٦٦. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغنو، تر:

محمد يحياتن، ط١، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٨م.

١٦٧. معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، د. ط.، جامعة الكويت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، الكويت، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د. ت.

١٦٨. معاني القرآن الكريم، النحّاس (ت ٣٣٨ هـ)، تح: الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، مركز احياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م.

١٦٩. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٧٠. المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٧١. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

١٧٢. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود،

١٧٣. (د. ط.)، مطبعة المغرب للنشر، منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.

١٧٤. معجم اللسانيات، جورج مونان، تر: جمال الحضري، د.ط.،

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

١٧٥. معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

١٧٦. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، رتبه ونقحه لفيف من المستشرقين، نشره د. أ. ي. ونسنك، مكتبة بريل، لندن، ١٩٦٣م.

١٧٧. معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ط١، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٩م.

١٧٨. المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، ط٢، دار الأمل، الأردن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٧٩. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط.، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٨٠. المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء – التمكين – التوجيه)، د. مزاحم مطر حسين، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٣م.

١٨١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: د.

عبد اللطيف محمد الخطيب، (د.ط.)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٨٢. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

١٨٣. مقالات في اللغة والأدب، د. تمّام حسّان، ط١، عام الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٨٤. من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل وعلم المعاني)، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٨٥. من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، بول ريكور، تر: محمد برادة، حسان بورقيه، ط١، دار روتابرينت للطباعة، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م.

١٨٦. مناهج البحث في اللغة، د. تمّام حسّان، د. ط.، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

١٨٧. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي د.ط.، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.

١٨٨. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي (ت ٧٠٤ هـ)، تح: علال الغازي، ط١، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

١٨٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٩٠. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

١٩١. نتائج الفكر، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

١٩٢. النثر في العصر الجاهلي، د. هاشم صالح منّاع، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

١٩٣. النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٩٤. نحو المعاني، أحمد عبد الستار الجواري، د. ط.، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٩٥. نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحويّ)، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

١٩٦. نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد،

ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٩٧. نحو النص بين الأصالة والحداثة، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٩٨. نحو النص (نقد النظرية... وبناء أخرى)، د. عمر محمد أبو خرمة، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٢٥م/ ٢٠٠٤م.

١٩٩. النداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس، ط١، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٠٠. نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م.

٢٠١. النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، محمد عزام، د.ط.، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

٢٠٢. النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠٣. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمّام حسّان، ط١، الناشر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٠٤. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى

حميدة، ط١، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

٢٠٥. نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، تر: عبد القادر قينيني، د.ط.، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

٢٠٦. نظرية علم النصّ (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د. حسام أحمد فرج، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٠٧. نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، دار جواد الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٠٨. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، د.ط.، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

٢٠٩. نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٢٠٩هـ)، تح: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلى، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢١٠. نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، د. صبحي الصالح، أنوار الهدى، بيروت، لبنان، ١٣٧٨هـ.

٢١١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تح: فاتن محمد خليل اللبّون، د.ط.، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الناشر ،مؤسسةالتاريخالعربي،بيروت،لبنان،د.ت.

٢١٢. الهاء في اللغة العربية، د. أحمد سليمان ياقوت، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.



**الرسائل والأطاريح**

١. الاتساق في العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، (رسالة ماجستير)، جبار سويس حنيحن الذهبي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢. الاتساق في نهج البلاغة (دراسة في ضوء لسانيات النص)، (رسالة ماجستير)، رائدة كاظم فياض العكيلي، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣. الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوستة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٩هـ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨م – ٢٠٠٩م.

٤. أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، (أطروحة دكتوراه)، مشتاق عباس معن علي، جامعة صنعاء/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية والترجمة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥. الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـــ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م- ٢٠٠٦م.

٦. أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية)، (أطروحة دكتوراه)، خالد كاظم حميدي الحميداوي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١١م.

٧. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، (رسالة ماجستير)، عبد الخالق فرحان شاهين، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٨. الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة (دراسة دلالية)، (رسالة ماجستير)، معتصم جابر محمود، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٩. الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، (أطروحة دكتوراه)، كاظم عبد فريح المولى الموسوي، جامعة البصرة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠. الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور انموذجاً)، (أطروحة دكتوراه)، نوال لخلف، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م.

١١. الانسجام في النص القرآني (مظاهره وجمالياته)، (أطروحة

دكتوراه)، عبد الله خليف خضير عبيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٢. الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم (دراسة اسلوبية دلالية)، (رسالة ماجستير)، عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري، جامعة البصرة/ كلية الآداب، ١٩٩٥م.

١٣. البناء الفني في شعر الحب العذري (أطروحة دكتوراه)، سناء البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

١٤. تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش،

١٥. (رسالة ماجستير)، فتحي رزق الخوالدة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م.

١٦. التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة)، (أطروحة دكتوراه)، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

١٧. الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (رسالة ماجستير)، هادي شندوخ حميد السعيدي، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨. خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص، (رسالة ماجستير)، راشد مدفون مخيف، جامعة القادسية، كلية التربية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٩. دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها، (رسالة ماجستير)، وليد عبد الله، جامعة اليرموك، عمان، ٢٠٠٠م.

٢٠. رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية، (رسالة ماجستير)، سعد عزيز شنو، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٠م.

٢١. السبك النصي في القرآن (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، (رسالة ماجستير)، أحمد حسن حيال، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠١٢م.

٢٢. سورتا آل عمران ومريم دراسة نصيّة (أطروحة دكتوراه)، وسن عبد الغني مال الله أحمد المختار، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

٢٣. المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، (دراسة بلاغية)، (رسالة ماجستير)، حيدر أحمد حسين الزبيدي، كلية التربية، جامعة ديالى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٤. موضوع النثر في الشعرية العربية، (رسالة ماجستير)، كريمة بوطران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ١٤٣٠هـ – ١٤٣١هـ. / ٢٠٠٩م – ٢٠١٠م

٢٥. النون في العربية، (رسالة ماجستير)، مشتاق عباس معن، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

٢٦. الوصايا في الآدب الأندلسي، (رسالة ماجستير)، حذيفة عبد الله عزام، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.

٢٧. الدوريات

٢٨. إتجاهات لغوية معاصرة، د. سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع ٣٨، الموافق ١٠ رمضان ١٤٢١ه/ ديسمبر ٢٠٠٠م.

٢٩. أثر التكرار في التماسك النصيّ مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٠. الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة،

٣١. د. عبد الكاظم محسن الياسري، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان، الكتاب الأول، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣٢. الإجمال والتفصيل، د. فايز الفرعان، مجلة ابحاث اليرموك، مج١٢، ع١، ١٩٩٤م.

٣٣. أدب الوصايا في نهج البلاغة (قراءة في خصائص الأسلوب)، د. مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج ١٤،

ع ٤، ٢٠١١م.

٣٤. الأسلوبية الصوتية، د. ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية، كانون الأول لسنة ١٧، ١٩٩٢م.

٣٥. الانسجام النصي وأدواته، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٨، ٢٠١٢م.

٣٦. التوازي في نهج البلاغة (دراسة في الدلالة التركيبية)، د. فاطمة كريم رسن، مجلة العميد، مج ٤، ع (٦)، شعبان ١٤٣٤هـ/ حزيران ٢٠١٣م.

٣٧. الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. نعمة رحيم العزاوي، كتاب المورد، ط١، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٨. حبك النص (منظورات من التراث العربي)، محمد العيد، مجلة الدراسات اللغوية، م٣، ع٣، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٩. رؤيا الملك أوماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية)، د. فاضل عبود التميمي، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع١٧، ٢٠٠٧م.

٤٠. السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء إنموذجاً)، د. رحيم كريم علي الشريفي والدكتور حسين علي هادي، مجلة دواة، مج١، ع٣، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٤١. ظاهرة التنغيم في العربية، الاء حسين داود الشرع ودريد

عبد الجليل الشاروط، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج ٣، ع١،تشرين الأول/ ٢٠٠٤م.

٤٢. ظاهرة التوازي في شعر الخنساء، د. موسى ربابعة، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، مج ٢٢، ع (٥)، ١٩٩٥م.

٤٣. علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج ٩، ع٢، ٢٠٠٦م.

٤٤. عناصر الاتساق والانسجام قراءة نصية تحليلية في قصيدة (أغنية لشهر آيار) لأحمد عبد المعطي حجازي، مجلة جامعة دمشق، مج٢٩، ع (١-٢)، ٢٠١٣م.

٤٥. في التوازن اللغوي (المعادل الإيقاعي والمعنوي)، د. مصطفى الجوزو، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع (٦٨-٦٩)، ١٩٩٩م.

٤٦. في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، د. بشرى حمدي البستاني، د. وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، م ١١، ع ١، ٢٠١١م.

٤٧. القرآنية في نهج البلاغة، علي ذياب محي العبادي، مجلة العميد، مج٤، ع٦، ١٤٣٤م/ ٢٠١٣م.

٤٨. قضايا صوتية في النحو العربي، د. طارق عبد عون الجنابي،

مجلة المجمع العلمي العراقي، ع (٢-٣)، مج ٣٨، حزيران/ ١٩٨٧م.

٤٩. المطاوعة حقيقتها وأوزانها، د. هاشم طه شلاش، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ١٤، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤م.

٥٠. مظاهر الاتساق في النص القرآني (دراسة وصفية لغوية)، لبنى عبد الرحمن وأكمل خريزي عبد الرحمن، شمس الجميل يوب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، سبتمبر/ ٢٠١١م.

٥١. من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مراد حميد عبد الله، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، مج٥، حزيران/ ٢٠١٠م.

٥٢. من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي، ع١-٤، الجزائر، أيلول/ ٢٠٠٤م.

٥٣. نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، فصول مجلة النقد الأدبي، مج١٠، ع (١، ٢)، ١٩٩١م.

٥٤. المواقع الإلكترونية

٥٥. الاستبدال ودوره في تماسك النص، أ. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح

٥٦. http//www.ta5atub.com/montada

٥٧. نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله .

٥٨. http//www.alssunnah.com

# المحتويات

**المقدمة** ..... ٩

**التمهيد: في مفهوم (النص، الرسالة، الوصية)** ..... ١٣

## الفصل الأول
## الاتســاق النـصي في الرسائل والوصايا

**المبحث الاول**: الاتساق الصوتي والمعجمي ..... ٢٥

**أولاً**: الاتساق الصوتيّ ..... ٢٩

الف – السجع ..... ٣١

باء – الجنـــاس ..... ٤٠

جيم – التنغـيم : ..... ٥٧

**ثانياً**: الاتساق المعجمي ..... ٧١

١ – التكـــرار ..... ٧٢

٢ – المصاحبات المعجمية ..... ١٠٥

**المبحث الثاني**: الاتساق النحوي ..... ١٢١

**أولاً**: الإحالـــة ..... ١٢٢

**ثانياً**: العطف ..... ١٦١

**ثالثاً**: الحذف ..... ١٨٠

**رابعاً**: التوازي التركيبي ..... ١٩٤

## الفصل الثاني
## الانسجام النصي في الرسائل والوصايا


**توطئة** -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢١٥

**المبحث الأول**: مبادئ الانسجام ومظاهره-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٢١

**أولاً**: التأويـــل . ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٢١

**ثانياً**: التغريض . -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٢٥

**ثالثاً**: ترتيب محتوى النص . -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٣٠

**رابعاً**: الحالة العادية المفترضة للعوالم (المعرفة الخلفية). -..-..-..-..-..-..-..-..-٢٣١

**خامساً**: البنية الكبرى وقواعد البناء . ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٣٨

**سادساً**: وحدة الموضوع بين النصوص. -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٤٥

**المبحث الثاني**: العلاقات الدلاليّة والأبنية العليا ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٥٣

**أولاً**: العلاقات الدلاليّة . ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٥٣

١- علاقة الإضافة (الاستقصاء) : -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٥٦

٢- علاقة الاستثناء : ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٦٦

٣- علاقة الشرط بالجواب : ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٦٩

٤- علاقة التضاد : .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٧٢

٥- علاقة إعادة الصياغة : .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٧٥

٦- علاقة السبب بالنتيجة: ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٨٦

٧- علاقة البديل . .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٩٥

٨- علاقة التمثيل . -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٢٩٩
٩- علاقة الإجمال والتفصيل . -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٠٢
١٠- علاقة القسم والجواب : .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣١٣
١١- علاقة السؤال والجواب : -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣١٦
١٢- علاقة التفسير والبيان : ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣١٩
١٣- علاقة التتابع المفاجئ : ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٢٠
**ثانياً**: الأبنية العليا. .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٢٦

## الفصل الثالث
## معايير نصية اخرى في الرسائل والوصايا

**توطئة**.-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٣٣
**المبحث الاول**: معايير تتصل بمستعملي النص(القصدية والمقبولية والإعلامية) .-..-٣٣٥
**أولاً**: القصديّــة . ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٣٥
**ثانياً**: المقبوليّــة . ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٥٣
**ثالثاً**: الإعلاميّــة . .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٦٠

**المبحث الثاني**: المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٨٣
**أولاً**: السياق . ...-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٨٣
- السياق وخصائصه. .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٨٥
- ضروب السياق في الرسائل والوصايا ...-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٣٩٤

**ثانياً** : التناص . .-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤١٦

أولاً: التناص الديني ...-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤٢٣

ثانياً: التناص الأدبي. ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤٣٤

ثالثاً : التناص الشعري. -..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤٤١

رابعاً : التناص التاريخي. ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤٥٠

**المصادر والمراجع** ..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-..-٤٥٥